دِيوَانُ المعَانِي

لِلإِمَامِ اللُّغَوِيّ الأَدِيبِ أَبِي هِلَالٍ العَسْكَرِيّ

الجزء الثانى

عن نسخة الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطى
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطانى

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
دار الكتب المصرية
EGYPTIAN LIBRARY

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة ـ باب الخلق ـ حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ وحقوق الطبع محفوظة



الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذو به النجم والشجر ويرب الحب والثمر رحمة للأنام ونظراً للانعام فله الحمد أولاً وآخراً . والصلاة على نبيه محمد الذى أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محملها ويقرب متناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويغترف منها بذنوب .

وكنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضريب

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعي قال قال أبو عمرو لذى الرمة أى قول الشعراء فى المطر أشعر ؟ قال قول امرىء القيس :

دِيمةٌ هطلاءُ فيها وَطَفٌ   طَبقَ الأرض تَحرَّى وتَدُرّ

قوله طبق الأرض غاية فى صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الاناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :

سحائبُ قِيستْ بالبلادِ فألفيتْ   غِطاءً على أغوارها ونجودِها

هدتها النُّعامَى مُثقلاتٍ فأقبلتْ   تهادَى رُويداً سيرُها كركودِها

قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وتمامها من كثرة مائها .

والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرىء القيس قوله :

وترى الشجراءَ في رَيِّقه   كرؤوسٍ قُطِّعت فيها الخُمُر

الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها إلا فروعها فكيف يكون فى شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمائم ، والخمار ههنا العمامة .

وقالوا أجود ما قيل فى المطر قوله :

كأنّ أبانا في أفانين وبله كبيرُ رجالٍ في بجادٍ مُزمّل (١)

يقول كأن أبانا ـ وهو جبل ـ من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء، وخفض مزمل على الجوار وهو نعت كبير كما تقول جحر ضبٍ خربٍ .

وقالوا أجود ماقيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج

وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال الأصمعي قلت لأبي عمرو ما أحسن ماقيل في المطر فقال قول القائل (٢) :

دانٍ مسفٍ فُوَيقَ الأرضِ هيدَبُهُ يكادُ يدفعُهُ من قامَ بالراحِ

فمن بنجوته كمن بمحفوته والمستكن كمن يمشي بقرواح (٣)

يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ماجاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال سألت أعرابياً من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك (٤) ودث وبغش ثم قطقط فأفرط ثم ديم وأغمط ثم ركد فأجثم ثم

---

(١) في ديوان امرىء القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يامن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضيء الصبح لماح

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمطر ركيك أي قليل .

وبل فسح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبعاً تباعا لا يريد انقشاعا حتى ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف ، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملأ . والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبينا نرمّقُ أحشاءَنا ... أضاءَ لنا عارضٌ فاستنارا

فأقبل يزحف زَحْفَ الكسير ... سياقَ الرعاءِ البطاءِ العشارا

تغنى وتضحك حافاتهُ ... امامَ الجنوبِ وتبكى مرارا

كأنا تضىء لنا حُرة ... تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا

فلما حسبنا بأن لا نجاةَ ... وأن لا يكون فرار فرارا

أشارَ له آمرٌ فوقَهُ ... هَلُمَّ فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمتِ الريحُ ريحُ الجنوبِ ... فهاجتْ هوًى غالياً وادّكارا

وساقتْ سحاباً كمثلِ الجبالِ ... إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا

اذا الرعد جلجلَ في جانبيهِ ... فروّى النباتَ وأروى الصحارى

تطالعنا الشمسُ من دُونهِ ... طلاعَ فتاةٍ تخافُ اشتهارا

تخاف الرقيبَ على سرّها ... وتحذرُ من زوجها أن يغارا

فتسترُ غُرتها بالخمار ... طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا

وقد مرت هذه الأبيات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ ... وانهمرَ الماءُ منهُ انهمارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت ... عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان ... وكان الضواحك منها البهارا

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل فى سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ ... بدوامعٍ لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ... ضحكٌ يؤلفُ بينهُ وبكاء
ثقلت كلاهُ وأنهرتْ(١) أصلابهُ ... وتبعجت(٢) من مائه الاحشاء
غدقٍ يُنتِج بالاباطح فرّقا ... تلدُ السيولَ وما لها اسلاء(٣)
وكأنّ ريقهُ ولما يحتفل ... وَدْقُ السحابِ عجاجة كدراء
غرٌّ محجلةٌ روائحُ ضمنت ... حفْلَ اللقاحِ وكلها عذراء
سحمٌ فهنَّ إذا كظمن فواحمٌ ... وإذا ضحكنَ فانهنَّ وضاء(٤)
لو كانَ من لجج السواحلِ ماؤهُ ... لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة فى قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مفيض لمياه الأرض فمصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يغرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذى ينقض هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة فى ذلك معروفة ولو كان الأمر على مايقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لامحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه. (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه فى الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرقت الناقة أخذها المخاض فندت فى الارض فهى فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهى الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيئة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه فى الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الفقعسى :

يا صاحبيَّ أعينانى بطرفكما أنى تشيان(١) برقَ العارضِ السارى

أبصرتهُ حينَ غاب النجمُ واسفرت عنا غفائر (٢) من دجن وأمطار

فباتَ ينهضُ بالوادى وجلهتهِ (٣) نهضَ الكسيرِ بذىءأو تَيْن جرّار(٤)

حيرانَ سكرانَ يغشى كلَّ رابيةٍ من الروابى بأرجافٍ وأضرار

مفرّقٌ لديماتِ الأرضِ منهمرٌ رعابُ أفئدةٍ شعالُ أبصار

كأنَّ أبلقاً عِراباً تحت رَبقه عوداً تذبُّ برمح عندَ امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأنَّ ربقهُ لما علا شطبا (٥) أقراب أبلق ينفى الخيلَ رماح

ومن أبلغ ماقيل فى ذلك قول الاعرابية التى سألها ذوالرمة عن الغيث فقالت : غثنا (٦) ماشئنا . فكان ذوالرمة يقول قاتلها الله ماأفصحها . وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا ياأسلمى يادارَ ميّ على البلى ولازالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

فقيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادَكِ غيرَ مفسدِها صوبُ الربيعِ وديمةٌ تهمى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الارجاء فاهرمع مطرها حتى رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيل النجاف وملأ

---

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلهة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابنا الغيث .

الأودية فرعيها فما لبثنا إلا عشراً حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصيوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقي أعرابياً فأمر باحضاره فأتي به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب متوطة بجباليها حاملة أثقالها. قال انما عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سقاب[1] ولا أطناب يختلف عصراها ويتعاقب سراجاها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت[2] السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً فثرت وأرزغت[3] ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها[4] متواصية[5] لاخطيطة[6] منها حتى هبطت تمشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعفا الآثار وملأ الجفار وقوب الاشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطامت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الثيران فقات وجار الضب فمادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغثاء والوحوش مقذوفة على الارجاء فمازلت أطأ السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهواً ساكناً ، ثرت تركته ثرية[7] ، أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والردغة الطين اذا غطى القدم ، رسغت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الخطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتمشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقأت من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

---

(١) أي أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها ولم تسل . (٤) أي أتتبعها قرية قرية . (٥) أي متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أوالتي مطر بعضها .

(٧) أي ترابا مبلولا .

مايوصف به المطر وهو عندهم الذى يجر الضب من وجارها فيخرجها من كثرة سيله . وقوله والحزون متافمة بالغثاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها فبقى الغثاء فى موضعه .

ومن الوصف الجيد التام فى تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار وقطر كبار وكأن الصغار لحمة للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتكاثفه .   ومن أجود ماقاله محدث في وصف السحاب والقطر والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نفطويه للمتابى :

أرقتُ للبرقِ يخفو ثُمّ يأتلقُ ... يخفيهِ طوراً ويُبديهِ لنا الأُفُقُ
كأنه غُرةٌ شهباء لائحةٌ ... فى وجهِ دَهماءَ مافى جلدِها بلقُ
أوثغرُ زنجية تفترُّ ضاحكةً ... تبدو مشافرُها طوراً وتنطبقُ
أوسلةُ البيض[1] فى جأواءَ مظلمة ... وقد تلقت ظباها البيضُ والدرق
والغيمُ كالثوبِ فى الآفاقِ منتشر ... من فوقهِ طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لافتقَ فيه فإن ... سالت عواليهِ قلتَ الثوب منفتق
ان مَعمعَ الرعدُ فيهِ قلتَ ينخرق ... أولا لألأ البرق فيهِ قلتَ يحترق
تستكُّ من رعدهِ أذنُ السميع كما ... تعشى إذانظرَت من برقه الحدق
فالرعدصهصلقٌ[2] والريح منخرق ... والبرق مؤتلقٌ والماء منبعقُ
قد حالَ فوقَ الرُّبى نَورٌ له أرجٌ ... كأنهُ الوشىُ والديباجُ والسَّرَق
من صفرةٍ بينها حمراء قانية ... وأصفرٌ فاقعٌ أو أبيضٌ يَقَق

فاستحسنت هذه الطريقة فقلت :

برقٌ يطرز ثوبَ الليل مؤتلق ... والماء من نارهِ يهمى فينبعق
توقدت فى أديم الارضِ حمرتهُ ... كأنها غرةٌ فى الطرفِ أو بلق
ماامتدٌ منها على أرجائه ذهبٌ ... إلا تحدر من حافاته ورق

---

(١) السيوف .   (٢) الصهْصَلِقُ من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمعت ... سلاسل التبر لا يبدو لها حلق
فالرعد مرتجس والبرق مختلس ... والغيث منبجس والسيل مندفق
والضال فيما طما من مائه غرق ... والجزع فيما جرى من سيله شرق
والغيم خز وأنهاء[1] اللوى زرد ... والروض وشى وأنوار الربى سرق
والروض يزهوه عشب أخضر نضر ... والعشب يجلوه نور أبيض يقق

ومما ورد في المياه[2] :

من سيول يمجها الواديان ... وثلوج يذيبها العصران
ذو استواء إذا جرى والتواء ... هل تأملت مزحف الأفعوان
فهو حيث استدار وقف لجين ... وهو حيث استطار سيف يمان

وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزل ... يادار جادك وابل وسقاك
بؤساً لدهر غيرتك صروفه ... لم يمح من قلبي الهوى ومحاك
لم يحل بالعينين بعدك منظر ... ذم المنازل كلهن سواك
أي المعاهد منك أندب طيبة ... ممساك ذا الآصال أو مغداك
أم برد ظلك ذي الغصون وذي الحيا ... أم أرضك الميثاء[3] أم ريّاك
وكأنما سطعت مجامر عنبر ... أو فت فأر المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهر ... وكأن ماء الورد دمع نداك
وكأن درعاً مفرغاً من فضة ... ماء الغدير جرت عليه صباك

وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن بنا تيار بحر كأنه ... إذا ماجرت فيه السفين يعربد
ترى مستقر الماء منه كأنه ... سبيب على الأرض الفضاء ممدد

---

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذي يسكن إليه الماء .

(٢) هنا بياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجرى إذا الأرواحُ فيه تقابلت ... كما مالَ من كفِّ النهاميِّ [1] مبرَدُ
فان تسكن الأرواح خلت متونهُ ... متونَ الصفاح البيض حينَ تجرد
فطوراً تراهُ وهو سيفٌ مهنـدٌ ... وطوراً تراهُ وهو درعٌ مسرَّدُ
نصمـدُ فيه وهو زُرقٌ جمـامه ... فنحسـبُ أنا في السماء نصمَّـد

وقال ابن طباطبا العلوى فى مَدِّ الوادى :

ياحسن وادينا ومـدِّ المـاءِ ... قد جاءَ بينَ الصيفِ والشتاء
يختالُ فى حُلتـهِ الـكدراءِ ... أكدرُ يمتـدُّ على غـبراء
في صَحَـبٍ عالٍ وفى ضوضاءِ ... يصافحُ الرياحَ فى الهواء
ترى به تنـاطُحَ الظبـاء ... جماءَ قد شُدت إلى جماء
فانظر الى أعجبِ مرأى الرائى ... من كدرٍ ينجابُ عن صفاء

تقشع الغيم عن السماء

وقال السرى في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواجَ دجلةَ إذ غدت ... مصندلة بالمـدِّ أمواجُ مائها
فظلت صغار السفن يرقصن وسطها ... كرقص بنات الزنج عند انتشائها
تفرقها هوجُ الرياحِ وتعتـلى ... ربى الموج من قدامها وورائها
فهن كدهم الخيلِ جالت صفوفها ... وقد بدَّرتها روعةٌ من ورائها
كأن صفوفَ الطيرِ عاذت بأرضها ... وقد سامها صَقْراً أسودُ سمائها
أوالشبَـحُ المسودُّ حلَّت عقودُهُ ... على تربةٍ محمرةٍ من فضائها

وقلت : مَرَرْتُ بنهرِ المسرُقان عشيةً ... فأبصرتُ أقماراً تروحُ وتغرب
كأنهم دُرٌّ تقطعَ سلـكهُ ... وغودرَ فوقَ الماء يطفو ويرسب
فكم ثم من خشف [2] على الماء لاعب ... فيا مَنْ رأى خشفاً على الماء يلعب
كأنَّ السميريات فيه عقاربٌ ... تجىء على زُرقِ الزجاجِ وتذهب

---

(١) النهاميّ بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعنقت ... منها الى شطٍّ وشطّ
حسبت أن بطها الا ... مواج والامواج بطّ

وقال : وروضةٍ أريضة الأرجاءِ ... من ذهب الزهر لجين الماء
يجري على زمرد الحصباءِ ... بين استواءٍ منه والتواء
كما نفضت حيّة الحوّاء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر الى الزهر البديع ... والماءِ في برك الربيع
وإذا الرياحُ جرت عليـ ... ـه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا ... ئح بينها حلق الدروع

ومن أوائل ماجاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :

فتوسطا عرْضَ السماء فصدعا ... مسجورة متجاوزٌ قلامها
محفوفةٌ وسَطَ اليراع يظلها ... منه مُصرّعٌ غابةٍ وقيامها

وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود ... نغضُّ الطرفَ كالابلِ القماح
إذا قطعت براكبها خليجاً ... تذكر ماالديه من الجناح

الفصل الثاني من الباب السابع

في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ماقيل في وصف روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياضِ الحزنِ مُعشبةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مسبلٌ هطِل
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ ... مؤزرٌ بعميم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيبَ منهـا نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ

قال المصنف خص العشي لأن كون الانسان بالعشي أحسن منه بالغداة لرقة تعلوه بالعشي وتهبج (١) يعتاده بالغداة وتعترى الألوان بالعشيات صفرة قليلة تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن هذا قوله أيضاً ﴿ وصفراء العشية كالعرارة ﴾ وقال بعضهم بل خص العشي لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها ، وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :

وروضٍ أحجمَ الروادُ عنـهُ له نَفَلٌ وحَوْزانٌ (٢) تؤام

تعالى نبتـهُ واعتمَّ حتى كأنَّ منابتَ العلجان (٣) شام

الشام جمع شامة أي ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة أي أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلي :

ميثاءُ جادَ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطَ أعوام

إذا يجفُّ ثراها بلهـا ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالمـاء سجام

لم يرعها أحـدٌ وارتبها زمنا فأوٌ من الأرض محفوفٌ بأعلام

تسمعُ للطيرِ في حافاتها زَجلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ خُدام

كأنَّ ريح خُزاماها وحنوتها (٤) بالليلِ ريحُ يلنجوجٍ وأهضام

ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلأ ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجمالهم وأرادت أن تسبر

---

(١) التهبج بالباء قبل الجيم : شيء من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم.

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أي توأمان (٣) العلجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم أنى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت قال رأيت بقلاً وبقيلاً وماءً غدقاً سيلا يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرعت ·
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهاد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نبتاً ثعداً معداً متراكباً جعداً كأفخاذ نساء بنى سعد تشبع منه الناب وهي تعدواه . بقلاً وبقيلاً : يقول بقل قد طال وتحته صغير قد نشأ ، والغدق: الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة المطر يدوم أياماً فى سكون ولين ، والعهاد أول مايصيب الأرض من المطر الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتهل وتم فالناب وهى المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلأ وهى قائمة لاتطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهى تعدو اى من طول النبات وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لاتحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له · ولاأعرف في جميع ماوصف به كثرة الكلأ أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداه فاذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ماقيل فى طول الكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وثعلب :

أرعيتُها أطيبَ أرضٍ عودا ... الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ واليعْضيدا
والخازباز السَّنِمَ المجُودَا ... بحيثُ يدعو عامرٌ مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمختارة أنما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابى الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالا :

أنتَ والله من الأيـــام لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبتُ عينيَّ ففي قرَّةِ عين

وقلت: أتاهُ بُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا فدوَّمَ من أعلى رُباه ودَيَّما
ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً فأصبحَ منها بالزواهرِ معلما

ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعْمر ومبدى أنيق بالمُذيب ومحْضر
غدا الروضُ منهُ في غداة مَريعة لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أزهر
ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه اذا اعترضتهُ العينُ وشيٌ مُدثّر
تسابقَ فيهِ الاقحوانُ وحَنْوةٌ وساماهما رَندٌ نضير وعبهرُ
يمجّ ثراها فيه عفراء جعدة كأن نداها ماءُ وردٍ وعنبرُ
أعاد نسيم الريح أنفاس نشره وخابل فيه أحمر اللون أصفرُ(١)
بدا الشيحُ والقيصومُ عند فروعه وشتٌّ وطُبّاقٌ وبان وعرْعر
وناضرُ رمانٍ يرفّ شكيرُه بكاذُ اذا ماذرت الشمس يقطر
ويانعُ تفاحٍ كأنّ جنيّهُ نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهر
اذا زرتهُ يوماً تغرد طائرٌ ورا ناك ظبي بين غصنين أحورُ
فاذهاجَ نوحُ الأيكِ في رونق الضحى تذكر محزونٌ أوارتاحَ مقصر
تجاوبنَ بالترجيع حتى كأنما ترنمَ في الاغصانِ صنج ومزهر
مراناةَ مومومقٍ وترجيعَ شائقٍ فللقلبِ ملهاةٌ وللعينِ منظر
واني إلى صحنِ العذيبِ لتائقٌ واني اليه بالمودّةِ أصورَ
مرعت ولازالت تصوبك ديمةٌ يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر
أحم الكلى واهى المرى مسبل الجدى اذا طمنت فيه الصبا يتفجر
كأنّ ابتسامَ البرقِ في حجراته مهندةٌ بيضٌ تشامُ وتشهر

---

(١) أى فاخر الأصفر الأحمر .

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذ منه شيء البتة وهو

والروضُ مغسولٌ بليلٍ ممطر ... جلا لنا وجهَ الثرى عن منظر
كالعصْبِ أو كالوشي أو كالجوهر ... من أبيضٍ وأحمرٍ وأصفرِ
وطارقٍ أجفانه لم تنظر ... تخاله المبين فماً لم يُفغر
وفاتقٍ كادَ ولم ينوّر ... كأنه مبتسمٌ لم يكشر
وأدمعِ القُدْران لم تكدَّرِ ... كأنه دراهمٌ في منثر
أو كمنشور المصحف المنشر ... والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجر ... تسقى عُقاراً كالسراج الأزهر
مُدامةً تعثّر إن لم تمزر ... يديرها كفُّ غزالٍ أحور
ذي طرّة قاطرةٍ بالعنبرِ ... ومَلثمٍ يكشفهُ عن جوهر
وكفَلٍ يشغَلُ فضل المئزر ... تخبرُ عيناهُ بفسقٍ مضمر
يملّ الفجور إن لم يفجر

وقلت: جواهرُ عشبٍ ونورٍ نظيم ... وأفرادِ طلٍّ وقطر نثير
فمن بين صُفرٍ وحمرٍ وخُضر ... على القضبِ غيدٍ وزورٍ وصور
ولعسٍ تناسبُ لعسَ الشفاه ... وبيضٍ تعارضُ بيض الثغور
نواظرَ من بين يقظى ووسنى ... ونُجلٍ وخُزْرٍ وحُولٍ وحُور

وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه:

أما ترى الروضَ قد وافاك مبتسماً ... ومدّ نحوَ الندامى للسلام يدا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيض يقق ... وأصفر فاقع في أحمر نُضدا
مثل الرقيب بدا للعاشقينَ ضحى ... فاحمرّ ذا خجلا واصفرّ ذا كمدا

ومن المشهور قول الحماني:

ديمٌ كأنّ رياضها ... يُكسين أعلامَ المطارف

وكأنما غُدرانها فيها عُشورٌ في مصاحف
وكأنما أنوارُها تهتزُّ[1] بالريح القواصف
طُررُ الوصائفِ يلتقيـ ـن بها إلى طُررِ الوصائف

وقلت : وروضةٍ حاليةِ الصدور كاسيةِ البطونِ والظهور
محمودة المخبورِ والمنظور مونقة المطويّ والمنشور
معجبة الظاهرِ والمستور ضاحكة كالوافدِ المحبور
باكية كالعاشقِ المهجورِ شذّرها الغيثُ بلا شذور
شقائق كمناظرِ المخمورِ واقحوان كثغورِ الحور
ونرجس كأنجم الديجور والطلّ منثور على منثور
يرصعُ الياقوتَ بالبلاور

وقال السرى وأحسن ، وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجناتٍ يُجني الشربَ وهنا جَنَى وهداتِها حتى رباها
إذا ركد الهواءُ جرت نسيماً وان طاحَ الغمامُ طمت مياها
يُفرّجُ وشيها عن ماءِ وردٍ يفيضُ على اللآلى من حصاها[2]
تعانقُ ريحها لممَ الخزامى وأعناق القرنفُلِ فى سُراها
ويأبى زهرُها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها

وقال البحترى :

قطرات من السحابِ وروض نثرت وردها عليه الخدود
فالرياحُ التى تهبُّ نسيمٌ والنجومُ التى تطلُّ سعود

وقال ابن الرومى :

أصبحت الدنيا تروقُ من نظر بمنظر فيه جلاءٌ للبصر

(١) فى نسخة « تفترُّ » . (٢) فى نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقصد شكر أثنت على الله بآلاء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من الكتان أخضر ناضر يباكره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرفت وإلى دموع المزن كيف تذرّف
وعلى الربى حلل وشاهن الحيا قسهم ومقتصب ومفوّف
وملابس الأنواء فيها سندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
ثم الرياح على الرياض نمائماً ذكرتك الكافور حين يدوف [١]
وعلى التلاع من الاقاحي حلة وعلى اليفاع من الشقائق مطارف
والغيم تنقشه الرياح عشية كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهمي وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلمع مثل سيف ينتضي والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرنا وسمي [٢] ثم خلفه ولي فالأرض كأنها وشي منشور عليه لؤلؤ منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترب البلاد وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القوي الأكول بالضعيف المأكول. وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح من ريق محتفلات بالحيا دلح
جون إذا هطلت في روضة طفقت عيون نوارها تبكي من الفرح

وقال أبو الغضبان اليمامي :

غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الاباريق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجري دمعه وهو يضحك

---

(١) أي يذاب . (٢) الوسمي: أول المطر ، والولي الذي يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مثمر ذهباً   ومن اللجين لسعجد ورق

لازال يُمتِعُنا بجدته   وجديده بجديدنا خَلَق

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياضَ كأنهنّ عرائسٌ   يُنقلنَ في صفراءَ من حمراء

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهرِ وهي تَمَرْمَرُ   وغدا الندَى في حليهِ يتكسرُ

مطرٌ يروقُ الصحوُ منهُ وبعدهُ   صحوٌ يكادُ من النضارةِ يمطر

وندًى إذا ادّهنت به لممُ الثرَى   خلتَ السحابَ أتاهُ وهو معذّر

ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بهجةً   لو أنّ حُسنَ الروضِ كان يُعمّر

أوَلا ترى الأشياءَ إذ هي غيرت   سَمُجَت وحسنُ الروضِ حين يَغير

ياصاحبيّ تقصيا نظريكما   تَريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصوّر

تريا نهاراً مشمساً قد شابهُ   زهرُ الربى فكأنما هو مقمر

دنيا معاش للورى حتى إذا   جُلّي الربيعُ فإنما هي منظر

أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها   نوراً تكادُ له القلوبُ تنور

من كلّ زاهرةٍ ترقرقُ بالندى   فكأنما عينٌ عليه تحدرُ

تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها   عذراءُ تبدو تارة وتخفر

الجميم متكاثف النبت، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها فيغطيه الجميم :

صنعُ الذي لولا بدائعُ لطفهِ   ماعاد أصفرَ بعدَ إذ هو أخضر

وقلت في مديح :

إني أرى لك في السماحة والندَى   طلقاً ذرّبتَ به على الأطلاق

كطلق الغمامِ سرَى بوجهٍ باسرٍ   يُروى الوجوهَ ومبسم براق

ثقلت على عنق الصبا أعباؤهُ   مثل الضعيف ينوء بالأوساق

فترى النباتَ يروقُ وسط رياضهِ — مثل الحليّ تروقُ وسطَ حقاقِ

وقال البحتري :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلدٍ — مستحسنٍ وزمانٍ يشبهُ البلدا

يمسي السحابُ على أجبالها فرقاً — ويصبح الروضُ في صحرائها بددا

فلستَ تبصرُ إلا واكفاً خضلا — أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

وقال أيضاً: ولازال مخضرٌّ من الأرض يانع — عليه بمحمرٍّ من النورِ جاسد

يذكرنا ريّا الأحبةِ كلما — تنفس في جنح من الليل بارد

شقائقُ يحملنَ الندى فكأنهُ — دموع التصابي في خدودِ الخرائد

ومن لؤلؤ في الأقحوانِ منضد — على نكت مصفرة كالفرائد

كأنّ جنى الحوذان في رونقِ الضحى — دنانيرُ تبر من توأم وفارد

رباع تروت بالرياض مجودة — بكلّ جديد الماءِ عذبِ الموارد

إذا راوحتها مزنةٌ بكرت لها — شآبيب مجتاز عليها وقاصد

كأنّ يدَ الفتح بنِ خاقانَ أقبلت — تليها بتلك البارقاتِ الرواعد

وقلت : أما ترى عودَ الزمانِ نضرا — ترى لهُ طلاقةً وبشرا

أتتهُ ألطافُ السحاب تترى — وساقت الجنوبُ غيماً بكرا

تبسطُ في الصحراءِ بسطاً خضرا — وتمنحُ الروضةَ زهراً صفرا

ونرجساً مثلَ العيونِ زهرا — وأقحوانٍ كالثغور غرّا

كأنما يصوغُ فيها تبرا — كأنما يدوفُ (١) فيها عطرا

كأنما ينثرُ فيها درّا — فأعمل الكاسات شمطاً شقرا

كالماء لوناً والعبير نشرا — ثم مُرِ الزّيرَ يناغي الزمرا

والعيشُ أن تُسَرّ أو تَسُرّا — لاتفسدنّ بالغرامِ العمرا

أحسن ما قيل في النرجس قول أبي نواس :

---

(١) أي يذيب .

لدى نرجسٍ غضّ القطافِ كأنهُ ... اذا ما منحناهُ العيونَ عيون
مخالفة في شكلهن فصفرةٌ ... مكانَ سوادٍ والبياضُ جفون

والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومما لم يقل مثله قول ابن الرومي:

خجلت خدودُ الوردِ من تفضيلهِ ... خجلاً تورُّدُها عليهِ شاهدُ
لم يخجل الورد المورود لونهُ ... إلا وناحله الفضيلة عائد
للنرجسِ الفضل المبينُ وان أبى ... آبٍ وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائدٌ ... زهرَ الربيع وان هذا طارد
شتانَ بين اثنين هذا مُوعدٌ ... بتسلُّبِ الدنيا وهذا واعد
واذا احتفظتَ به فأمتعُ صاحب ... بحياتهِ لو أنَّ حياً خالد
يحكي مصابيحَ السماءِ وتارةً ... يحكي مصابيحَ الوجوهِ تُراصد
ينهى النديمَ عن القبيح بلحظهِ ... وعلى المدامةِ والسماع يُساعد
ان كنتَ تطلبُ في الملاح سميهُ ... يوماً فانك لامحالةَ واجد
هذي النجوم هي التي ربتهما ... بحيا السحابِ كما يربي الوالد
فانظر الى الأخوينِ مَن أدناهما ... شبهاً بوالدهِ فذاك الماجد
أين العيونُ من الخدود نفاسةً ... ورياسةً لولا القياسُ الفاسد

وقلت : ونرجس مثل أكفٍّ خُرَّدٍ ... درن علينا بكؤوسِ الذهبِ
ناولنيه مثلهُ في حسنه ... فحلَّ من قلبيَ عقدَ الكُرَبِ
مبتسمٌ عنهُ وناظرٌ به ... هذا لعمري عجبٌ في عجب

وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغوايةَ حقها ... ونجري مع اللذات جريَ السوابق
بمحمرةِ الاجسادِ مبيضة الذُّرى ... كمثلِ سقيطِ الطلِّ فوقَ الشقائق
لدى الصفر في أوساطِ بيضٍ كأنها ... كؤوسُ عقارٍ في أكفٍّ عواتق

وقال ابن الرومي :

للنرجس الفضلُ برغم من رغم | على صنوف الورد والفضلُ قسم
العينُ قبل السن وهي المبتسم | فما لها والخد وهو المتقدم
ماأطيبَ الريح وما أزكى النسم | ماهو إلا نعمةٌ من النعم

ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظني طرفها | يشبهُ ديناراً على درْهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُرَرٍ | وشرابهم دُرَرٌ على ذهب

وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً | فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلٍّ | علقت بالنبات والأشجار
وتدلت على الغصونِ فجاءت | كشنوف الكواعبِ الابكار

وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره | مثلَ عروس تُجلى وتشتهرُ
نامَ الندَى في عيونهِ سحراً | فاعتاده من منامهِ سهر
لم يغتمض والظلامُ حلَّ بهِ | كأنما في جفونه قصر
تحيرَ الطلُّ في مدامعه | فليسَ يرقا وليس ينحدر
كدمعةِ الصب كادَ يسكبها | فردَّها في جُفونهِ الحذر

وقلت : وغنت الطيرُ بألحانها | فانتبهَ النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمهُ في الغصنِ قرصُ بَرْدٍ | ضمّ فم لقبلة من بُعد

وقلت فيه إذا تفتح :

مرَّ بنا يهتزُّ في خطره | ما بينَ أغصان وأقمار
يديرُ في أنمله وردةً | جاءت من المسك بأخبار
يلوحُ في حمرتها صفرةٌ | كالخدِّ منقوطاً بدينار

وقال ابن المعدل :

عشيةَ حيانى بورد كأنه ... خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض

وقالت: قومى انظرى ورداً كخدك أحمراً ... ترك الربيعَ وراءه وتقدما

قد ضمه بردٌ ففتقه ندى ... كالصبِّ قبل فاك ثم تبسما

ولم أجد فى تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب ولكنى تركت الاكثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة وللبيضاء الوتيرة ويشبه بها قرحة الفرس[1] قال عمرو بن معدى كرب :

يبارى قُرْحةً مثل الــــوتيرة لم تكن مَعْدى

وقد أحسن على بن الجهم فى قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيتٌ يطيفُ بها ... زمردٌ وسطها شذرٌ من الذهب

وهو من قول أزدشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد يتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبهَ النيروزُ فى غلس الدجى ... أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما

يفتحه بردُ الندى فكأنه ... يبثُّ حديثاً كان قبلُ مكتما

وقلت فى تفضيل الورد على النرجس :

أفضلُ الوردَ على النرجسِ ... لا أجعلُ الأنجمَ كالأشمس

ليس الذى يقعدُ فى مجلس ... مثلَ الذى يَمْثلُ فى المجلس

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيت مُنضدة ... على الزمردِ فى أوساطها الذهبُ

كأنه حينَ يبدو من مطالعهِ ... صبٌّ يُقَبلُ صباً وهو مرتقب

ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس فى البيت دليل على أنه أراد الاحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

---

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الغرة .

أصبحَ الورد فى الغصون يحاكي   أوجهَ الحورِ فى مقامع خضر
مثل فرسانِ غارةٍ يستلبهم   لمّ من دماء سحرٍ ونحر
ويلوحُ النهارُ أسفلَ منهُ   فهو كالرّجالِ (١) فى عمائم صفر
بين نبْذ من الشقائق يحكى   غلْمةَ الدرّ فى مطارف حمر

وقال ابن المعتز :

ولازورديّةٍ أوفت بزرقتها   بين الرياضِ على زرْقِ اليواقيت
كأنها فوقَ طاقات ضعفنَ بها   أوائلَ النارِ في أطراف كبريت

والصحيح أنه فى الخُرّم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافهُ فحكت   دمعاً ينشفُ كحلا يوم تشتيت

قوله « كأنها فوق طاقات ضعفن بها » يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة لايضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرّم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه فاعرف ذلك . وقلت فى البنفسج :

وروضةٌ كأنها من حسنها   تبرزُ في أثوابِ سعد ومُنى
قد نثرَ الليلُ على أنوارها   لآلىءَ الطلّ وأفراد الندى
بكت عليها مزنةٌ فابتسمت   عن لؤلؤ بينَ فرادى وثنى
وحولهـا بنفسجٌ كأنه   أواخر النيرانِ فيجزلِ الغضا (٢)

وقال آخر :

وكأنّ البنفسجَ الغضّ فيه   أثر اللطمِ فى خدودِ الغيد

وقلت : وبحافاتها البنفسج يحكي   أثرَ القرصِ في خدودِ المذارى

وقلت فى الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربى شيئاً :

ومغنّج قالَ الكمالُ لخلقهِ   كن مجْمَعاً للطيبات فكانهُ
زعمَ البنفسجُ أنهُ كعذارهِ   حسناً فسلُّوا من قفاهُ لسانه

---

(١) أى الرجال .   (٢) الغضا : شجر يبقى جمره كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على وردِ البنفسج قبل تأنيبِ الحسُود
فكأنما أوراقها آثارُ قَرص فى الخدود

أغرب معنى جاء فى الشقائق قول الأُخيطل :

هذى الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرقات على قضبانها الذللِ
كأنها دمعةٌ قد مسَّحت كُحُلاً جالت بهِ وقفة فى وجنتى خجلِ

وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده فى أهجن معرض وفي أشد مايكون من التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لاتجول فنظمته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بينَ مكحل ومُجسَّد
كالخدِّ بصبغهُ الحياءُ بحمرة وجرى عليهِ الدمعُ خلطَ الأثمد

ومن غريب ماقيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحمامِ وقد شجا شجوَ القيانِ فشقّ فضلَ ردائه
وتحيرت مابين إثمد ماقه فى الخدِّ دمعتهُ وبينَ حيائه
فكأنه الحبَشيُّ بُضِّعَ جسمهُ فثيابهُ مُخضَّلةٌ بدمائه

وجعل الشقائق واحداً وهى جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدينارِ منقوطه

وقال التنوخي :

شقائقٌ مثلُ خدودٍ نقشت شواربٌ بالمسك فيها ولحى

وهو بعيد لأن السواد الذى فيها لايشبه الشوارب .

ومن أحسن ماقيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعنى رُوح دِنانٍ صافيه
في روضةٍ كأنها جلد سماءٍ عاريه

كأنما أنهارها بماء وردٍ جاريه
كأن آذريونها غِبَّ سماء هاميه
مداهنٌ من ذهب فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصيّر آذريونهُ فوقَ أذنهِ ككأسِ عقيقٍ في قرارتها مسك

وقالت : ولاحَ آذريونُها مثلَ الغوالي في السرر

وقال الشمشاطي[1] :

تراهُ عُيوناً بالنهارِ نواظراً وبعدَ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج

وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهب مُشرفاتٌ وسطهنّ غاليه

أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ماقيل في البهار قول ابن الرومي :

وروضة عذراءَ غيرُ عانسه خضراء مافيها خلاة يابسه
فيها شموسٌ للبهارِ دارسه كأنها جماجمُ الشمامسه
ترُوقك النَّوْرةُ منها الناكسه بعينِ يقظى وبجيد ناعسه
وخُرّم في صبغهِ الطيالسه مثل الطواويسِ غدت مُطاوسه

وقال ابن المعتز :

في روضة كحُللِ العروسِ وخرَّم كهامةِ الطاووس

وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي :

خرّمةٌ كهامة الطاووسه داريَ من بهجتها مأنوسه
والعين في فنائها محبوسه محفوظةٌ تحسبها محروسه
تعجبني منظورة ملموسه مرفوعة الهامة أومنكوسه

---

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بآل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

ياقوتة لكنها مفروسة في زهر [1] كالشمل المقبوسة
كخلال ألوانها ملبوسة

وقال التنوخي :

ومن خُرَّم غض خِلالَ شقائقٍ يلوحُ كخيلانٍ على وردتي خد

وإذا كان في الخد خيلان لم يستحسن الخال الواحد . وقلت :

على رياضٍ خُرَّم كأنها رؤوسُ هداب حرير ا لحل

وقال ابن طباطبا :

وطَوَّس فيها خُرَّمٌ فكأنها صِمامات وشيٍ هُيئَت لمخازن

وقلت في البهار والورد :

وردٌ إلى جنبه بهار كالخدّ أصغى اليه قرط

وقد جمعت أصناف المنثور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوانُ منثورٍ يريك حسنها ألوانَ ياقوت زها في عقده
ياحسنها في كفّ من يشبهها فانظر إلى الندّ بكفّ نِده
من أشهل كعينه وأبيضٍ كثغرهِ وأحمر كخده
وأصفرٍ مثلٍ صريع حُبه إذا تغشاهُ غواشي صَدّه

وقال السري في الورد :

أما ترى الوردَ قد باحَ الربيعُ بهِ من بعد ما مرّ حولٌ وهو اضمار
وكان في حللٍ خضرٍ وقد خلعت إلا عرى أغفلت منها وأزرار

وقلت : ليس ينفكّ للغمام أيادٍ تتكافأ وأنعم تتجدد
فترى رعدهُ يشقّ حريراً وسنى برقه بطرز مُطرد
وترى للزمانِ غصناً وريقاً يملأ الطرفَ إذ يقومُ ويأود

---

(١) في نسخة « زهرة » .

أنبتَ الأرضَ عسجداً ولجيناً   فالروابى مكللٌ ومقلد
وجرى الريحُ سجسجاً[1] ورخاءً   فالمناهي[2] مسلسلٌ ومسرّد
وسبى العينَ لؤلؤ وعقيقٌ   نظما في زمردٍ وزبرجد
فترى ثَمَّ مضحكاً يتجلى   وترى ثَمَّ وجنةً تتورد
قطرات الندى أحادٌ ومثنى   مثل دُرٍّ منظم ومبدد
وكأنّ الشقيقَ كأسُ عقيقٍ   طرحَ المسكَ في قرارتها ند
فترى النجدَ في رداءٍ موشى   وترى الوهدَ في قميص مُممد
وعليهِ منَ البهارِ عطاف   ومن الوردِ والشقائق مُجسّد
وترى النورَ مثلَ مَضحكِ خَودٍ   وترى الغصنَ مثلَ شاربِ أمرد

ومن بديع ماقيل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :

فكأنهُ في الماءِ صاحبُ مذهبٍ   أغراهُ وسواسٌ بأن لا يطهر

وقال السرى[3] :

ونيلوفرٍ أوراقهُ الخضرُ تحتهُ   بساطٌ اليهِ الأعينُ النجلُ شُخّص

هذا البيت غير مختار الوصف ظاهر التكلف :

إذا غاصَ في الماءِ النمير حسبتهُ   رؤوسَ إوزّ في الحياض تغوص

وقوله « النمير » لايحتاج اليه . وقال آخر من أبيات :

كأنما كلُّ قضيبٍ بها   يحملُ في أعلاهُ ياقوته

وقلت : فشربتها عذراءَ من يدِ مثلها   تحكي الصباحَ مع الصباح المشرق
في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها   بمنمنم من نبتها ومنمق
فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع   وانظر إلى زهر هناك مفرق

---

(١) في نسخة « سجسداً » .   (٢) المنهي : المحل الذي ينتهي اليه الماء .

(٣) هو السري الرفاء الموصلي ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبي والكبار ، وكان بينه وبين الخالديين معاداة .

تجني بوردٍ كالعجين مكفرٍ منها وورد كالعقيق مخلق
وكذاك تنحف من مناقع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابة أخلق
يبدو ويكمن في الغدير كأنه جانٍ يحاول أن يبين ويتقى
فالى السرور لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائد في العنان المطلق

وقد أحسن القائل في صفة الرياض :

بكين فأضحكن الربى عن زخارف من الروض عنهن الثرى متهاملُ
ترى قضب الياقوت تحت زبرجد تنوء به أعناقهن الموائل
تلقحها الأنداء ليلاً بريقها فيصبحن أبكاراً وهن حوامل

وقلت في الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ مونقٌ كالنور غب السبل الساجم
طالت فيه غرراً وضحا كمثل أيام أبي القاسم
والآس في كفي أحبيهمُ مثل شوابير بني هاشم

وقلت في الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواق الحمام
لها حسن العوارض حين تبدو وفيها لين أعطاف الغلام

وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيث آثارها وأعلنت الأرض أسرارها
وكانت أكنّت لكانونها خبيئاً فأعطته آذارها

والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
ويسفح فيها دماء الشقيق ندى طلٍّ يفتض أبكارها
وتدنى الى بعضها بعضها كضمّ الاحبة زوّارها

كأنَّ تفتحها بالضحى عذارى تحللُ ازرارها
تغضُّ لنرجسها أعيناً وطوراً تحدِّقُ أبصارها
اذا مزنةٌ سكبت ماءها على بقعةٍ أشعلت نارها

وقال فيها : وأقبلَ ينظمُ أنجادَها بفيضِ المياهِ وأغوارَها
وأرضعَ جنانها دَرَّهُ فعمَّم بالنورِ أشجارَها
ودارَ بأكنافها دَوْرَةً تنسى الاوائل بِرْجارها

وقال أيضاً في الباقلى :

جنىٌ بوم لم يؤخر لغدِ ولم ينقل من يدٍ الى يدِ
كالعقدِ إلا أنه لم يُعقدِ أو كالفصوصِ في أكفِّ الخرَّد
أو ككبار اللؤلؤِ المنضدِ في طيِّ أصدافٍ من الزبرجد
مفروشة بالكرسفِ الملبَّد

وقلت فيه أيضاً :

أبدى الربيعُ لنا من حُسنِ صنعته شباته اتفقت في الشكلِ والصور
خضرٌ ظواهرُها بيضٌ بطائنها تحكي القباطي تحت السندس النضر
بيضٌ شباتهُ في خضرٍ ملائمةٍ مثل الزبرجدِ مثنياً على درر
ينشقُّ أخضرُها عن أبيضٍ يققٍ كالثغرِ يشرقُ تحتَ الشاربِ الخضر

ومن المشهور في ورد الباقلى قول الصنوبرى :

وبنات باقلى يُشبه نَوْرُها بلقَ الحمامِ مُشيلةً أذنابها

وقلت فيه : وبُرْهي وَرْدُ باقلى كأطواقِ الشفانين

وقال السرى في غير ذلك :

في زاهرٍ عبقٍ تضوعهُ فكأنَّ عطاراً يعطره
ضاهى ممسكهُ معنبرهُ وحكى مُدَرْهمه مدنَّره

ومن أجود ماقيل في البساتين ومواضع الاشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضي البصرة ليتيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل الى الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المد صب مافيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يابني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ماأعطاك منها وادع بالبركة لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول فى وصفها :

ترفعت عن يد الاعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
فالتف بالزهر والريحان أسفلها ومال بالنخل والرمان أعلاها
وصار يحسده فيها أصادقه ولأم لام فيها من تمناها
أيا معاوية اشكر فضل واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز فى السرو والنرجس :

لدى نرجس غض وسرو كأنه قدود جوار رحن في أزر خضر
وقلت : لبس الماء والهواء صفاء واكتسى الروض بهجة وبهاء
فكأن السماء سرن رياضاً وكأن الرياض عدن سماء
وكأن الهواء صار رحيقاً وكأن الرحيق صار هواء
وتخال السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهار سماء
جللتها الأنواء زهراً وصفراً يوم ظلت تنادم الأنواء
فتراها ما بين نوء ونور تتكافا تبسماً وبكاء
وتظل الأشجار تتخذ الحسن قميصاً أو الجمال رداء
لبست حين أثمرت خلدات [(١)] واكتست حين أورقت سيراء [(٢)]
وترى السرو كالمنابر تزهى وترى الطير فوقها خطباء

وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوس طوراً فأرعوى وطوراً تواتيني على القصف والفتك

---

(١) أى أقراط. (٢) نوع من الثياب .

بنرس كأبكار الجوارى وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك

وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمان :

إن شيطانك فى الظر ف لشيطان مريد

فلهذا أنت فيه مبدىء ثم معيد

قد أتتنا طرف منك على الظرف تزيد

طبق فيه خدود وقدود ونهود

وقد أحسن التنوخى فى وصف النارنج حيث يقول :

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب

وقال: تطالعنا بين الغصون كأنها خدود عذارى في ملاحفها الخضر

أتت كل مشتاق بريا حبيبه فهاجت له الأحزان من حيث لا يدرى

وقال : إذا لاح فى أغصانه فكأنه شموس عقيق فى قباب زبرجد

وقال فى المركب :

مركب تعجب من حسنه قد كنز الفضة فى تبره

يشبه كل العاشق فى لونه ويشبه المشوق فى نشره

وقال الصنوبرى فى التفاح وقد ظرف :

أعطت يداه محبه تفاحة تعطى المحب أمانه من صده

وهذا البيت متكلف جداً :

فعلمت حين لثمتها من كفه انى سألثم أختها من خده

وقال أيضاً فى أترجة وأحسن :

جاء فحيانى بأترجة من ذهب قد حشيت فضه

أتى بها ناعمة غضة من كفه الناعمة الغضه

تبذل للقبلة حسناً ولا تصلح أن تبذل للعضه

أحبب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضه

وقلت فى الأترج والنارنج :

ترى النارنجَ فى ورقٍ نضيرٍ فتحسبهُ عقيقاً فى زبرجـد
وأترجّ على الأغصان يزهى كما رفعَ الفتى قنديلَ مسجد

وقال بعضهم فى دستنبوية :

يا حبذا تحيـةٌ رحت بها مسرورا
مخزّنة من ذهبٍ قد مُلئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهرُ فى السراج نشربها على كراةٍ عاج
ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحدقَ ليمونٌ بأترجة كأنجم تحدقُ بالبـدر
مخروطة الأجسادِ من فضـة ملبسات قمصَ التّبر
قد شدّ من هامتها زرُّها ياعجباً من ذلك الزّرّ
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحفِ الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير فى معناها وهى التى أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر ألطافهم عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها وبعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال المحمودة وتنظم الخلال المرموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقفك على نبلها وأكشف لك عن سرائرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع فى التفاح الصفرة الدرية والحمرة الخمرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم اللذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتونى بتفاحة أعتصم برائحتها ربما أقضى وطرى من المناظرة. فلم يستحضرها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء لعلاج المزاج الحاد الكائن فى المعدة مع المزاج البارد الكائن فى الرأس وغثيان النفس وقلة الاستمراء لطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانىء : ماعالج المريض المبتلى وسكنت حرارة الشكلى وردعت شهوة الحبلى ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى الغضبان ولاردت غرامة الصبيان بشىء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك وإن رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

حمرةُ التفاح فى خضرتهِ ... أقربُ الأشياء من قوسِ قزح

والخمرة تفاحة ذائبة والتفاحة خمرة جامدة . وقال الشاعر « الخمر والتفاح شكلان »

وقال آخر: تفاحةٌ حمراءُ منقوشةٌ ... ركبتُها فى غُصنِ الآس

ألبستُها ورداً وكللتها ... إكليلَ نسرين على الراس

وقال آخر فى التفاحه :

كأنما حُمرتها ... حمرةُ خدٍّ خجل

وقال ابن أبى أمية :

مازلتُ أرجوكَ وأخشى الردى ... معتصماً بالله والصبر

حتى أتتنى منك تفاحةٌ ... زحزحتِ الأحزانَ عن صدرى

حشوتها مسكاً ونقشتها ... ونقشُ كفيك من السحر

واهاً لها تفاحةً أُهديتْ ... لو لم تكن من خُدَعِ الدهر

فاذا وصلت اليك ـ أوصلك الله إلى رحمته وعطفه ـ فتأمل وصفها بيمينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة جامدة وقلب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه ولا يدري ماقدرها عند إخوانه ويقصر من حياه وينتقص من أهداه ولاتخدشها بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذاطال لبثها لديك وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب ببهجتها ويحول نضرتها فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره.

وقلت في الريحان :

ثم انثنينا الى خُضرٍ مُنعمةٍ كأنَّ أوراقها آذانُ جُرذان

وقهوة كجنيّ الوردِ وشّحهُ من لؤلؤ القطرِ والأنداءِ سمطان

وقال السري في دستنبوية :

وأغنّ كالرشأ الغريـــر نشا خلالَ الربرب

في خدّه وردٌ حمـا هُ من القطافِ بعقرب

حيـا بدستنبويةٍ مثل السنان المذْهب

وقال أيضاً فيها :

صفراء ماعنّت لعينيْ ناظرٍ إلا توهمها سناناً مُذْهبا

وقلت: وأترج يحفُّ بها أقاحٍ كبدرِ الليلِ تكنفهُ النجوم

وقال السري في نارنجة :

أهدت على نأيِ المحلّ وقد أنأى التصبرَ طُولُ هجرتها

نارنجةً منها استعيرَ لها ما ألبستْ من حُسنِ بهجتها

وشُعاعُها من نور وجنتها ونسيمها من عطرِ نكهتها

وكأنّ ما يخفيه باطنها ماأضمرتْ من سوء غدرتها

وحكى اخضرارٌ شابَ وجنتها … قُرصَ الالاء كفّ أديمَ وجنتها
فأتتك مُكمَلةً محاسنها … تختالُ في أثواب زينتها
فثمارُها صفوُ اللجين ومن … ذهبٍ مصوغٌ ثوبُ بذلتها
تُهدى إلى الأرواح من بعدٍ … تُحفَ السرور لطيبِ نشوتها
ويصونها مسرَى روائحها … من أن تباشرها بشمتها
فاشربْ عليها من شقيقتها … في نعتِ ريّاها وصبغتها
واعطفْ عِنانَ النفسِ عن فكرٍ … راحت معذّبة بفكرتها [1]

وقال ابن طباطبا العلوي في الاترج :

ريحانةٌ في اصفرارِ مهديها … شبهتها بعد فكرةٍ فيها
أحبةً لم تُصبِحْ لماذلها … تسُدُّ آذانها بأيديها

فأورد المعنى في بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقنمة في غصن آس فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفرُ يهوى من ذؤابةِ أخضرٍ … كما انقضّ نجمٌ في الدجنةِ ثاقب
له شعبٌ تهوى [2] على سرَواتهِ … كمثل بنان الكفّ يلويه حاسب
فناولنيه ذو دلالٍ كأنما … لهُ الشمسُ أمٌّ والبدورُ أقارب
فأصبح مشهورَ الجمالِ مُشهراً … له الحسنُ خدنٌ والملاحةُ صاحب

وقال بعضهم في الأترج :

لهـا ورقٌ ريحها ريحهُ … وما ذاك في غيرهِ لو طلب
كأن تعطف أوراقها … أكفٌّ تشيرُ إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

اذا ذلت الأشجارُ يوماً لجفوةٍ … فانّ لها عِزَّ القناعة والصبرِ
تصرَّفُ في اللذاتِ من كلّ مطعمٍ … تصرفَ زيدٍ آخذاً بقفا عمرو

---

(١) في نسخة (بصحبتها) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت فى التفاح :

ليسَ ريحُ التفاح عنـدى بريحٍ   لاولـكنهُ صـديقٌ لروحى
حُمرةُ الخـدّ واخضرارُ عِذارٍ   فليحٌ يطوفُ حـولَ مليح

وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحـة فمانبى   فتىً رآها كخـدّ معشوقه
فقال خـدُّ الحبيب تأكلهُ   فقلتُ لابل أمصُّ من ريقه

وقال السرى :

لو جُمّـدتْ راحُنا اغتدت ذهباً   أوذابَ تفاحُنا غدا راحا

وقلت فى الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضيا :

حكى الرمانُ أوّلَ مابـدّى   حقاقَ زبرجد يحشين دُرّا
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عقيقاً   ويكسوهُ مرورُ القيظ تبرا
ويحكى فى الغصونِ ثدىَّ حور   شققنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت فى خوخـة :

وخوخـة ملء يدِ الجانيهْ   تملكُ لحظَ الأعينِ الرانيهْ
مصفرة الوجنـةِ محمرة   كأنها عاشـقةٌ سالـيه

وأجود ماقيل فى العنب قول ابن الرومى :

ورازقىّ مخطف الخصورِ   كأنه مخـازنُ البللور
قد ملئتْ مسكاً إلى الشطورِ   وفى الاعالى ماءُ وردٍ جُورى
لم يُبقِ منها وهجُ الحَرورِ   إلا ضياءً فى ظروف نور
له مـذاقُ العسل المشورِ   وبردُ مسّ الخصر المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ   لو أنهُ يبقى مع الدهور

قرّط آذانَ الحسانِ الحور

وقال في معناه :

ورازقيٌّ مخطفٌ خصورهُ قد أينعت أنصافهُ الأسافل
كأنها مخازنٌ مملوءةٌ من ماءِ وردٍ فيهِ مسكٌ ثافل

لايزيد على هذا الوصف أحد . ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال له هشام ماأطيب العنب عندكم ؟ قال ماأخضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحنت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير المؤمنين راجلا لحنتَ فلحنتُ ونحوتَ فنحوتُ . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

يا كرّنا الدهرُ بسرّائه وكفّ عنا بأسَ بأسائه
وجاءنا أيلولُ مستبشراً يثني على الدهرِ بآلائه
أما ترى الرقةَ في جوّه تناسبُ الرقةَ في مائه
أنظر الى أنواع أثماره قد ضمها في بُردِ أحشائه
راحت عليها نسماتُ الصبا تقرصها في بردِ أفنائه
أما ترى حسنَ ملاحيه يُهدَى الى بهجةِ شمرائه
أنظر الى رمّانه ضاحكا حمراؤهُ في وجهِ بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجنَ من ورق كالحبشي الزنجُ في خضرٍ من الأُزر

ويروى لابن المعتز في التفاح :

وتفاحة صفراءَ حمراءَ غضة كخدِّ مُحبٍ فوقَ خدِّ حبيب
أحبابها طوراً وأشربُ مثلها من الراح في كفي أغن ربيب

وقلت في النارنج :

روضٌ زهاهُ المزنُ في كرّانه بعكفرٍ (١) ومُزعفرٍ ومُضرّج
فتبسم النارنجُ في شجرانه مثلَ العقيقِ يلوحُ في الفيروزج

---

(١) أي ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغنّ يزينه وجنات ورد في عذار بنفسج

ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودي عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب:

ضربنَ العرقَ في ينبوع عين طلبنَ معينه حتى ارتوينا (١)

بنات الدهر لايخشينَ محلاً إذا لم تبقَ سائمة بقينا

كأنّ فروعهنّ بكل ريح عذارى بالذوائب ينتصينا (٢)

وقد ملح النابغة في قوله:

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها إذا طارَ قشرُ التمر عنها بطائر

من الواردات الماءَ بالقاع تستقى بأعجازها قبلَ استقاء الحناجر

وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهن وردن الماءَ يعني الماء الذي في بطن الأرض معينا. وقال النمر «طلبن معينه» فجعل الماء الذي في بطن الأرض معيناً، والمعين إنما هو الماء الجاري على وجه الارض ظاهراً.

ومن أجود ما قيل في الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الاشرف (٣):

ونخيل في تلاع جمة تخرجُ الطلعَ كأمثال الاكف

وقال الربيع بن أبي الحقيق:

أذلك أم غرسٌ من النخل مترع بوادي القرى فيه العيونُ الرواجعُ

لها سعفٌ جعدٌ وليفٌ كأنه حواشي برود حاكهن الصوانع

وهذا في وصف الليف حسن. وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودي عن الحرث بن اسمعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر: إن رسلي أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

---

(١) في نسخة «حتى روينا». (٢) أي يأخذ بعضها بنواصي بعض.

(٣) هو كعب الطائي الشاعر الشجاع الجاهلي كان ينال من المسلمين فقتله الأنصار.

من مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يسود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت الأحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ أُتخذ ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله لاتتخذ عيسى إلـٰهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رَسَت بشاطئ تَرعٍ رَيان
تمتارُ بالاعجازِ والاذقانِ لاترهبُ المحلَ من الازمان
ولا توقَّى خَتلَ الذؤبان ولاترى ناشدة الرعيان
ولاتخافُ عِزّةَ الاوطانِ سُحم الرؤوس كُمتُ الابدان
لها بيوم البارح الحنانِ مثلُ تناصى الخرَّد الحسان
إذ هي أبدت زينةَ الرُّهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
يطلعُ منها كيد الانسان إذا بدت ملمومة البنان
غلت بورسٍ أو بزعفران حتى إذا شبه بالآذان
من حمرُ الوحشِ لذي عِيانِ وهذا لفظ زائد على معناه :
شققهُ علجانِ ماهرانِ من لؤلؤٍ صيغَ على قُضبان
مصوغةٍ من ذهب خلصان ثم ترى السبع والثمان
قد حالَ مثلَ الشذرِ في الجمان يضحكُ عن مشتبهِ الأقران
كأنهُ في باطنِ الأفنان زمردٌ لاحَ على التيجان
حتى إذا تمَّ لهُ شهران وانسدلت عثاكلُ القنوان
كأنها قضبٌ من العقيان فصلْنَ بالياقوتِ والمرجان
من قانئٍ أحمرَ أرجوان وفاقع أصفرَ كالنيران

مثل الأكاليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :

ونخيل وقفنَ فى ممطف الرمـــــلِ وقوفَ الحبشانِ فى التيجان
شربتْ بالأعجازِ حتى تروّت وتراءت بزينـةِ الرهان
طلعَ الطلعُ في الجماجم منها كأكفٍّ خرجنَ من أردان
فتراها كأنها كُتُبُ الخيـــــلِ توافت مُحمرةَ الآذان
أهو الطلعُ أم سلاسلُ عاجٍ حُملت فى سفائن العقيان
ثم عادت شـبابُها تتباهى بأعالى شـبابه أقران
خرزاتٌ من الزبرجد خضرٌ وهبتها السلوكُ للقضبان
ثم حال النجارُ واختلفَ الشكـــلُ فلاحت بجوهرٍ ألوان
بينَ صُفرٍ فواقعٍ تتباهى فى شماريخها وحُمرٍ قوانى

وقال بعض العرب * طلعاً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرُّطب :

كقطع العقيقِ يانعاتٍ بخالصِ التبرِ مُنوّعاتِ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكنُ بن السعيد قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد يدمجه ولكنك يا ابن العاص لا تمراً تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتقرف[1] فقال معاوية رغماً فقال عمرو أضعاف الرغم لك ومابى إلا بعض مابك .

ومن الغلو فى صفة التمر ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن اسماعيل ابن أسحق القاضى عن أبى نصر قال قال الأصمعى قيل للغاضرى أى التمر أجود ؟ قال : الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة فى فمك فتجد

(١) أى تقذف .

حلاوتها في كسبك يمنى الصيحاني . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر كأن بنات الورد فيه جواهر
كأن القماري والبلابل بينها قيان وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة كأن على أحداقها الدر دائر

وقال غيره :

أي يوم لنا على التل بالما ء[1] وعيش تضيق عنه النعوت
ورد الدر فيه في شجر اللو ز وفي الخوخ ورد الياقوت

وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً بالما من حدائق وجنان
خطرت بينها الرياح سحيراً فتناصت[2] تناصي الأقران
وتناجي الغصون فيها سراراً وتنادي الطيور بالاعلان
فتناجي الغصون شبه عتاب وتنادي الطيور مثل أغاني
من كروم تمايلت بعناقيـ ـد كجعد الزنوج والحبشان
وملاحية تميل أخرى كرجوه الخرائد الغزلان
كلآلي تشبثت بلآل وبنان تشبكت ببنان
فهي كالنجم في فروع كروم وهي كالشمس في بطون الدنان

وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعاني صلحن لوقت إكثار وقله
وإحداهن تبرز في عباء وأخراهن في حبر وحله
ومنها ماتشبهه بدوراً فان قطعتها رجعت أهله

وقلت : ولون واحد يلقى فيأتينا بألوان
بسمران وسودان وحمران وصفران
كوشي في يدي واش وشهد في يدي جاني

---

(١) الماه : اسم لناحية. (٢) أي أخذت كل واحدة بناصية الأخرى

فمن أُدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنانِ

وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردُ الودائق يحملنَ لذاً طعمهُ للذائق
كأنها غدائرُ العواتق تُناطُ في حُجرٍ من المعالق
كأنها أناملُ القرانق

وهو من قول الآخر : « يحملنها بأنامل النقران » وقلت في الأقداح :

انظر الى الأقداح تنظرُ معجباً يجلو عليكَ مُفضَّضاً في مُذهّب
يعلو مفارقَهُ قلانسُ أخفيت من تحتهنَّ دراهمٌ لم تضرب

وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

وممشوقةِ القاماتِ بيضٍ نحورُها وخُضرٍ نواصيها وصفرٍ جُسومها
لها حقبٌ لا تستطيع اطراحها وليس يطيقُ سلبَها من يرومها
وهنَّ رماحٌ لا تريقُ دمَ العدى ولكن يُراقُ في القدودِ صميمها
يميل على أعرافها عذباتُها كحور تناهى هندُها ورميمُها(١)
تناهى بها الأدراكُ حتى كأنها يُمَلُّ بماءِ الزعفرانِ أديمُها
ترى الريح يغريها بنجوى خفيّة إذا ماجرى قصرَ العشيّ نسيمها

ومن جيد ماقيل في السِّدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرٍ منظراً أحسن من أفنانِ طلحٍ مَروحِ(٢)
كأنها والريحُ تسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفتوح
وسدرة مدت بأفنانها على سواقٍ كمتونِ الصفيح

إلا أن قوله « للفُتوح » فضلٌ لا يحتاج اليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح مثلها إذا نُشرت لغير الفتوح فذكر الفُتوح لغو .

وإنما أوردفي هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأُريدُ أن

---

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أي أصابته الريح .

أدلُّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل فى النبق قول بعضهم :

أتانى فتَى بنبقٍ كأنه حُلِىّ عَروسٍ زان ليناً وأخدعا
بأحمرَ كالياقوتِ يَقطُر ماؤه وأصفرَ كالعقيان ضمَّهما معا

وقال آخر :

أقبلَ تحتَ الليل كالظبيِ الفَرِق بالراحِ والرَّيحانِ والمسكِ عَبِق
فجادَ بالوصلِ وحيَّا بالنبق وقلتُ نبقى هكذا ونتفق
ما اخضرَّ عودٌ أبداً لا نفترق

وقلت فى النبق :

جلى الربيعُ علينا كواعباً أبكارا
مُتوَّجات عقيقاً مسورات نضارا
ترى لهنّ من الور دِ شوذراً وخمارا
أهدى لنا جوهرات تحيرُ الابصارا
ياحسنَ حُمرٍ وصُفرٍ نريك جمراً ونارا
قد راقَ ذاكَ احمراراً وراع ذاكَ اصفرارا
وخالتُ هذا عقيقاً وخلتُ ذاك نُضارا
وذاك شهداً مشاراً وذاك راحاً عُقارا
لو كان يبقى سليماً نظمتُه تقصارا [١]

وقلت فى المشمش ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبحُ وَردىُّ العَذَب بنادقاً مخروطةً من الذهب
قد ضُمِّنتْ أمثالها من الخشب والتفَّ منها خشبٌ على غَرب
وصار منهُ السمُّ حشواً للضَرب فهى لعمرى عجبٌ من العجب

الغرب الفضة ، والضربُ العسل . ولا أعرف فى التين أجود من قول القائل :

---

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتين جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكي الصباحَ بعضُه وبعضُه يحكي الغسق
كثغرٍ مضمومةٍ قد جُمِعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفُستق :

من الفُستقِ الشامىّ كلُّ مصونة تصانُ من الاحداث في بطنِ تابوت
زبرجدة ملفوفة في حريرةٍ مضمّنةٍ دُرّاً مُغشى بياقوت

وقلت في خيارة :

زبرجدةٌ فيها قراضةُ فضّةٍ فان رجمت تبراً فقد خس أمرُها
تلم بناطورينِ في كلّ حجّةٍ فيكثر فينا خيرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ ليس يفقدُ نفعها وعندَ الخريفِ ليس يُؤمَنُ ضرُّها

وأما ذمُّ البساتين فمن أجود ماقيل فيه قول ابن الرومى :

لله ماضيّعتُه من الشجر أطفال غرسٍ تُرتجى وتُنتظر
ومُعجبات من بقولٍ وزهر مصفرة قد هرمت لامن كبر
في بقعةٍ لاسُقيت صوبَ المطر حالقة لنبتها حلقَ الشعر
ضميرها النارُ وان لم تستعر كلُّ امرىء غيرى من هذا البشر
بستانه أنثى وبُستاني ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابى :

مُطِرنا فلما أن روينا تهادرت شقاشق فيها رائبٌ وحليب
ورامت رجالٌ من رجالٍ ظُلامةً وعدّت ذُحُولٌ بيننا وذُنوبُ
ونصّت ركابٌ للصبا فتروّحتْ ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
بنى عمنا لا تُعجلوا انضبَ[1] الثرى قليلاً ويشفى المترفينَ طبيبُ
ولو قد تولى الضبُ وامترت القرى وحنّت ركابُ الحىّ حين تؤوب

---

(١) أى جفافه .

وصارَ غَبوقَ الخَودِ وهي كَريمةٌ ... على أهلها ذو جُدَّتين مَشوبُ
وصار الذي في أنفه خُنزُوانةٌ ... ينادي إلى هادي الرحا فيجيبُ
أولئك أيامٌ تُبَيِّنُّ للفتى ... أكابَ سَليبٍ أوأشمُّ نجيبُ

« الفصل الثالث من الباب السابع »

في ذكر النسيم

من غريب ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيم يُبَشِّرُ الأرضَ بالقطـ ... ـرِ كذيلِ الغلالة المبلول
ووُجوهُ البلادِ تنتظرُ الغيـ ... ـثَ انتظارَ المحبِّ رَدَّ الرسول

وقال ابن الرومي :

حيَّتك عنا شَمالٌ طافَ طائفها ... بجنَّةٍ فجرت رَوْحاً وريحانا
هبَّت سُحيراً فناجى الغُصنَ صاحبُهُ ... سِرّاً بها وتنادى الطيرُ إعلانا
وُرْقٌ تغنى على خُضْرٍ مُهدَّلةٍ ... تسمو بها وتشمُّ الأرضَ أحيانا
تخالُ طائرها نشوانَ من طربٍ ... والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رياضاً قد تيقَّظ نورُها ... وبلَّلها دمعٌ من المُزنِ ذارفُ
كأنَّ عبابَ المسك بين بقاعها ... يفتحها أيدي الرياح الضعائف

وقلت : والصبا يجلبُ الغمامَ إلينا ... فترى القطرَ للرياضِ نديما
وترى للغصون فيها نحيباً ... وعلى زَهْرةِ الرياضِ نعيما

وقال ابن الرومي :

كأنَّ نسيمها أرجُ الخُزامى ... ولاها بعد وسميٍّ وليٌّ (١)

---

(١) الولي المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هديةُ شمألٍ هبّت بليلٍ ... لأفنانِ الغصونِ بها نجيُّ
إذا أنفاسُها نسمت سحيراً ... تنفّسَ كالشجيّ لها الخليّ

وقال ابن المعتز :

وما ريحُ قاعٍ عازبٍ طله الندى ... وروضٌ من الريحانِ درّت سحائبُه
فجاءت سُحَيراً بينَ يوم وليلة ... كما جرَّ في ذيلِ الغلالة ساحبُه

وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله :

ومهمه كرداء الوشي مُشتبه ... تَنفذ ته والدجى والصبح خيطان
والريحُ تجذبُ أطرافَ الرداء كما ... أفضى الشفيقُ إلى تنبيه وسنان

وقلت :

وأقبلَ نشرُ الروضِ في نفس الصبا ... فباتَ به ثوبُ الهواء مُكفرا (١)

ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا المكتفي بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه لهمرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم عاد فنظر فإذا الريحُ تُحركُ الباب حركة كأنها دق بيد ، قال فقلتُ له قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار :

طرقتني صباً فحركتِ البا ... بَ هدُوّاً فارتمتُ منهُ ارتيابا
فكأني سمعتُ حسَّ حبيب ... نقرَ البابَ نقرةً ثم هابا

قال ما كنت أظنُّ أنه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجري مما لم يذكرهُ الناس .

وقال ابن الرومي وأحسن :

لولا فواكهُ أيلولٍ إذا اجتمعت ... من كلّ نوعٍ ورقّ الجوُّ والماءُ
إذاً لما حفلت نفسي متى اشتملت ... عليهِ هائلة الحالين غبراء
ياحبذا ليلُ أيلولٍ إذا بردت ... فيهِ مضاجعُنا والريح سجواءُ
وجش القرُّ فيه الجلدَ وائتلفت ... من الضجيعين أحشاءٌ وأحشاءُ

---

(١) أي فيه كافور .

وأسفرَ القمرُ الساري فصفحتهُ ... رؤيتها من صفاء الجو لألاءُ
ياحبذا نفحةٌ من ريحه سحراً ... يأتيك فيها من الريحان أنباءُ
قل فيه ماشئتَ من شهرٍ تمهّدهُ ... في كلِّ يومٍ يدٌ لله بيضاءُ

وقلت: وله مجذبحُ الأصيلِ نسيم ... لينُ المعطفِ هينُ الخطرانِ
أرجٌ يقتدي به نفسُ المسـ ... ـك وتحكيه نكهةُ الزعفرانِ
كم غدا مُدنفاً وراحَ حسيراً ... يتهادى في دجلة المسرُقانِ
فرأينا له لبوسَ شجاعٍ ... ووجدنا بها ارتعاشَ جبانِ

وإلى هذا انتهى بنا القولُ في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأمللنا ولم نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير[1] والأعيان منه أولى وبالله التوفيق.

انقضى البابُ السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة وجعل لخلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادع إعذاراً وتحذيراً وحجة وتنبيها فمن لم يقنعه ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه حكم فيه السيفُ وسلط عليه السوط ليردّه إلى سبيل الحق بعد أن يجعله نكالاً للخلق والله عليم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني

قالوا أبلغُ ما قيل في صفة الحرب قول الأوَّل :

كأنَّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ ‏ ‏ وتحتَ النار آسادٌ تزيرُ

وقريب منه قول مُحدث (١) :

ويوم كأن المصطلينَ بحرِّهِ ‏ ‏ وان لم يكن جمرٌ وقوفٌ على جمرِ

صبرنا له حتى تجلى وإنما ‏ ‏ تُفرَّجُ أيامُ الكريهةِ بالصبرِ

ومن بليغ ما قيل في شدة الروع قول زيد الخيل :

والخيلُ تعلمُ أني كنتُ فارسَها ‏ ‏ يوم الأكس به من نجدةٍ روق

وقول المفضل الكندي :

فـداهٌ خالتي ابني حيٍّ ‏ ‏ خصوصاً يومَ كسُ القومِ روقُ

معناه ان الأكس وهو القصيرُ الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أخذَهُ أبو تمام فأجاده في قوله * فخيل من شدة التعبيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مَدح لأن الكلوح في الحرب لايدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم ثلج :

ويوم كأن الأرضَ شابت لهولهِ ‏ ‏ قطعتُ بخيلٍ حشو فرسانها الصبرُ

---

(١) هذا البيت لنهشل بن حرى التميمي فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلي – كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً ... وآثارها طُرزٌ وأطرافها حُمرُ

أجود ماقيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبَّستها بكتيبة ... حتى تقولَ نساؤهم هـذا الفتى

يخرجنَ من خَلل الغبار عوابساً ... كأنامل المقرور اقعى فاصطلى

يتخالسونَ نفوسهم برماحهم ... فبمثلهم بَاهى المباهي وانتمى

ومن أجود ماقيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :

والخيـلُ من خَللِ الغبارِ خوارجٌ ... كالتمرِ ينثر من جِراب الجرمِ (١)

وقال آخر :

ورُبَّتَ غارةٍ أوضعتُ فيها ... كسحِّ الخزرجيِّ جريم تمر

وقد أحسن الاعرابى في قوله :

نُقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيئاً ... وقد هربت منا تميمٌ ومذحجُ

بغزوٍ كولغ الذئبِ غادٍ ورائح ... وكسرٍ كصدع السيفِ لا يتمرج

وقال أبو فراس :

وسمرٍ أعادَ يلمعُ البيض بينهم ... وبيضٍ أعادَ فى أكفهم السمرُ

وخيل يلوحُ الخيرُ بينَ عيونها ... ونصلٍ إذا ماشمته نزلَ النصر

وقوم متى ما ألقهم رَوِيَ القنا ... وأرضٍ متى ماأغزها شُبعَ النسرُ

ومن أبلغ ماقيل فى اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق (٢) بأيدى لاعبينا

وقول قيس بن الخطيم * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب *

ومن أحسن ماقيل في الضرب قول الحمانى :

وإنا لتصبحُ أسيافنا ... إذا ما انتضين ليوم سُفوك

منابرُهنَّ بطونُ الأكفِّ ... وأغمادُهنَّ رؤوسُ الملوك

---

(١) جمع جارم الذى يجنى التمر . (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة .

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فإنّ أسيافنا بيضٌ مُهندةٌ عتقٌ وآثارها فى هامكم جُددُ
وإن هويتم سلاتاها فما غمدت إلا الاوهامُ بنى بكرٍ لها غمدُ

وقال مسلم * ونغمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذا احمرّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مقيلا

وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنابها أسود تنفضُ ألبادَها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجماجمَ أغمادها

وأحسن ماقيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شقّ الصفوفَ بسيفهِ وشفى حزازاتِ الأحَنْ
دامي الجراحِ كأنه وردٌ تفتح في فَنَنْ

ومن عجيب ماقيل فى كثرة الطعن يقع فى الجسد قول بعضهم :

فلولاَ اللهُ والمهرُ المفدّى لرحتَ وأنت غِربالُ الاهاب

وقال قيس بن الخطيم فى سعة الطعنة :

طعنتُ ابن عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشُعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يرَى قائمٌ من دونها ماوراءها

ومن أبلغ ماقيل فى مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبادَ سيفٍ قديم اثرهُ بادى
تظلّ تحفرُ عنهُ ان ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادى

وهذا من الافراط والغلوّ وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان فى هذا الحدّ وعند آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضروبَ وتجاوزه حتى غاص فى الأرض فاحتجتَ أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك فى الغلو قول النابغة :

يطيرُ قُضاضاً بينهم كلُّ قونسٍ (١) ويتبعها منهم فراشُ الحواجب
تَقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعفَ نسجُهُ وتوقد بالصُّفَّاح نارَ الحُباحب (٢)

يقول انها تقدّ الدرعَ التي ضُوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدح النار بالصُّفَّاح وهي حجارة . ومن بليغ ماقيلَ في صفة السيف قول ابن يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الايامى القاضى عن الهيثم بن عدى قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يُسمى الصمصامة إلى الهادى وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدى فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بنى العباس خُلقاً وأكثرهم عطاءً للمال قال فجرّده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتل فيه دنانير فقال قولوا فى هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّبيديّ من بيـن جميع الأنام موسى الأمينُ
سيفُ عمرو وكانَ فيما سمعنا خيرَ ما أُغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقَهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الزُّعاف القُيون
فاذا ما هززته (٣) بهرَ الشمسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصار كالقبسِ المشتعلِ ماتستقرُّ فيه العيون
وكأنّ الفرندَ والجوهرَ الجا رىَ فى صفحتيه ماءٌ معينُ
نِعمَ مِخراقُ ذى الحفيظة فى الهيجا بمضّانها ونعمَ القرينُ
مايبالى إذا انتضاهُ لضربٍ أشمالٌ سطت به أم يمين
وكأن المنونَ نيطت اليـه فهو من كلّ جانبيه مَنون

أُخِذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قد حطهُ درجات ، فقال موسى أصبتَ مافى نفسى واستخفه الفرحُ فأمر له بالمكتل والسيف

---

(١) قُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوق : درع منسوب لبلدة سلوق ، والحباحب ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سللته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم لأجلي فدونكم المكتل ولي في هذا السيف غنى ، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل » .

وذكر الهيثم بن عدي هبة عمر بن معدي كرب[1] الصمصامة لسعيد بن العاص فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدي كرب هب لي الصمصامة فانك قد ضَعُفتَ عن حمله وكان وزنه سِتَّة أرطال فقال عمرو ما ضَعُفَتْ قناتي ولا جناني ولا لساني وان اختلّ جُثماني وهو لك على انه اوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه[2] ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهُ ولكنّ المواهبَ في الكرام

خليلٌ لم أخنهُ ولم يخنّي على الصمصامِ أضعافُ السلام

قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يُقبسه » يقول اذا كنتُ أستوحش من جانب العدو آنسني واذا أظلم لي الليل اضاء لي . وقال البحتري :

مُصْغٍ الى حُكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقّد يَبرى بأوّلِ ضربة ما أدركتْ ولو أنها في يذبل

فاذا أصابَ فكلُّ شيء مقتلٌ واذا أصيبَ فما له من مقتل

يغشى الوغى فالترسُ ليس بجنّة من حدّهِ والدرعُ ليس بمعقِل

وذكر عمرو بن معدي كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيي عن ابن الاعرابي قال حدثني رجلٌ من ولد أبي سرحة الغفاري قال قدم عمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسأله عن سعد بن أبي وقاص فقال عمرو اعرابيٌّ في نمرته عاتقٌ في حجلته أسدٌ في تامورته نبطيٌّ في جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال بَصيرٌ قال فأخبرني عن النبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فأخبرني عن الرمح

---

(١) كذا ولعل صواب رسمها « معديكرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما في هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الثكلى قال بل أمك والحمى أضرعتني لك . النمرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والماتق الجارية الكعاب وصفه بالحياء والتامورة ههنا الاجمة ، فقال نبطي في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ، وقوله الحمى أضرعتني لك أي الاسلام قيدني لك وأذلني ولو كنت في الجاهلية ما كلمتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضربه عند الشيء يضطرها الى الخضوع .

ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال قال الاغر النهشلي ووقع بينه وبين قومه شر فأرسل ابنه وقال يا بني كن يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظل الموت واتق الرمح فانه رشا المنية ولا تقرب السهام فانها رسل تعصي وتطيع قال فبم أقاتل ؟ قال بما قال الشاعر :

جلاميد املاء الاكف كأنها رؤوس رجال حلقت في المواسم

فعليك بها فألصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقف الحمام ولم يزغ عن ساحتيه وزاغت الابصار
فقنا يسيل من الدماء على قنا بطوالهن تقصر الاعمار
ورؤوس أبطال تطاير بالظبى فكأنها تحت الغبار غبار

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قوم اذا غضبوا على أعدائهم جروا الحديد أزجة ودروعا
وكأن أيديهم تنفر عنهم طيراً على الأبدان كن وقوعا

وقال أيضاً :

بطعن تضيع الكف في لهواته وضرب كاشق الرداء المرعبل

وقال أيضاً :

قرينا بعضهم طعناً وجيعاً وضرباً مثل أفواه اللقاح

وقال البحترى وأحسن فى ذلك :

ألوى اذا طعنَ المدجج صكهُ ... ليديهِ أو نـشرَ القناة كُعوبا
فأنا النذيرُ لمن تغطرسَ أوطغى ... من مارنٍ يدعُ النُحورَ جُيوبا

وقد ظرّف فى قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤٌ بفرارهِ ... لكانَ لصدرِ الرُمح في لؤلؤٍ ثقب

ومن المختار قول مالك بن نُويرة :

بشُمرٍ كأشطانِ[1] الجزُور نواهلٍ ... يجور بها ذو المنايا ويهتـدى
يقعنَ معاً فيهم بأيدى كأنما ... كأنّ المنايا للرماح بموعـد

ومن أبلغ ماقيل في صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربعى :

فالطعنُ شعشعةٌ والضربُ هيقعة ... ضربَ المُعَوّلِ تحتَ الديمةِ العضدا
وللقسىّ أزاميـلٌ وغمغمةٌ ... حِسّ الجنوب تسوّى الماءَ والبردا

الهيقعة : وقع الشىء الصُلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحديد ، وشبّه أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو أن يعمد الراعى اذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين متقاربتين ويستكن تحته ، والعضُد مايعضد من الشجر أى يُقطَعُ والعضْد المصدر.

ومن أجود ماقيل فى نفوذ التدبير فى الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومى في صاعد :

يَظلُّ من الحربِ العوانِ بمعزل ... وآثارهُ فيها وان غابَ شُـهّدُ
كما احتجبَ المقدارُ والحُكمُ حُكمهُ ... على الناسِ طراً ليس عنه مُعَرّدُ[2]

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهـرُ طلاعٌ بأحـداثهِ ... ورُسـلهُ فيها المقادير
محجوبة تُنفذ أحكامَها ... ليسَ لنا عن ذاكَ تأخيرُ

وقال: حصرتَ عبدَ الزّنج حتى تخاذلت ... قواهُ وأودى زاده المُتزودُ

---

(١) جمع شطن وهو الحبل . (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل ... تحيّفها حتى كأنك مبردُ
تُفرقُ عنهُ بالمكايد جُندَهُ ... وتزدادُهم جنداً وجيشك محصد (١)
سكنتَ سكوناً كان رَهناً بوثبة ... عماس كذاك الليثُ للوثب يلبدُ
فما رمته حتى استقلّ برأسه ... مكان قناة الظهر أسمرُ أجرد
مناك له مقدارُه فكأنما ... تقوَّضَ ثهلانٌ عليه وصندَدُ

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعلل إلا درهم وهجرع وهو الطويل الأحمق ، وهبلع وهو الكثير البلع ، وقلعم وهو الكثير القلع للأشياء ، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح ، وكابر أيضاً على فتح الراء من « درم » فى قصيدته التى أولها :

* أفيضا دماً ان الرزايا لها قيم * وانما هو « دَرِم » .

وأحسن ما قيل فى الكيد والحرب قول أبى تمام :

هززتَ له سيفاً من الكيدِ انما ... تجذ به الاعناق مالم يجرّد
يسرُّ الذى يسطو به وهو مغمدٌ ... ويفضحُ من يسطو به غير مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته افتضحت وخبت .

وقد أحسن فى وصف الرماح حيث يقول :

أنهبتَ أرواحهُ الأرماح إذ شُرعت ... فما تُردُّ لريبِ الموتِ عنهُ يدُ
كأنها وهى فى الأرواحِ والغةٌ ... وفي الكلى تجدُ الغيظَ الذى يجدُ
من كلِّ أزرقَ نظارٍ بلا نظرٍ ... الى المقاتلِ مافى متنهِ أوَدُ
كأنه كان خِدنَ الحبِّ مُذ زمنٍ ... فليس يُعجزهُ قلبٌ ولا كبد

ويُشبّه بياض السيف بالملح فمن أجود ماقيل فيه قول النمرى :

ذكرٌ برونقه الدماءُ كأنما ... يعلو الرجالَ بأرجوان ناقع

---

(١) أى قوى مجتمع متضافر .

وترى مضارب شفرتيه كأنها ملحٌ تناثرَ من وراء الدارع

ويُشبَّه الفرند بدبِّ الذرّ فمن قديم ما قيل فيه قول امرىء القيس :

مُتوسِّداً عَضْباً مضاربُه في مَتنهِ كدبةِ النمـل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّهُ ابن مُجدّع له رونقٌ ذرّيه يتأ كلُّ

وأشبرنيه الهالكيُّ كأنه غدير جرى في متنه الريحُ سلسل

وأخرج منه القينُ أثراً كأنه مَدبُّ دَباً سود سرى وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرّدَ من اغماده كلَّ مُرهَف إذا ماانتضته الكفُّ كاد يسيلُ

ترى فوقَ متنيه الفرندَ كأنما تنفسَ فيه القينُ وهو صقيلُ

وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانب خصره أمضى من الأجل المُتاح

وكأنما ذرُّ الهبا ءَ عليه أنفاسُ الرّياح

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

أجالدُهم يومَ الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مِخراقُ لاعب

بسيفٍ كأنَّ الماءَ في صفحاته طحاريرُ غيمٍ أو قرونُ جنادب

أخذه ابنُ المعتز فقال :

ولي صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ فما ينتضى إلا لسفك دماء

ترى فوقَ متنيه الفرندَ كأنه بقيّةُ غيمٍ رقّ دون سماء

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خيرُ مااستعصمت به الكفُّ عضب ذكرٌ متنهُ أنيثُ المهزّ

ماتأمّلتَه بعينيك إلاّ أبرقت صفحتاهُ من غير هزّ

مثله أفزعَ الشجاعَ الى الدّر ع فغالى به على كلّ بزّ

ما أبالي أصممت شفرتاه في محزّ أو جازتا عن محزّ

وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغماد

وكأنّ الآجالَ ممن أرادوا وظُباها كانت على ميعادِ

وقالت : تميلُ كفي من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بين السيفِ والقلمِ

وقال ابن المعتز :

وسيوفٍ كأنها حين سُلت ورق هزّهُ سُقوطُ قِطارِ

ودروعٍ كأنّها شَمَطٌ جعـد دهينٌ يضلُّ فيه المداري

وقال ابن الأعرابي أحسن ماقيلَ في صفة الرماح :

وبكلِّ عرّاصِ المهزّةِ مارنٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقد

أحسن ماقيل في صفة الرماح قول المزرد :

أصم إذا ما هُزَّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائل

له رائدٌ ماضي الغرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحل

وقال الأصمعي أحسن ماقيل في صفة الرمح قول أبي زبيد :

وأسمر مربوعٌ يرى ماأرينه بصيرٌ إذا صوّبته المقاتل

وقال ابن الأعرابي أحسن ماقيل في ذلك قول مسكين :

بكلّ رُدَيْنيّ كأنّ كعوبه قطا نسق يستورد الماءَ صائف

كأن هلالاً لاحَ فوق سراته جلا الغيمَ عنهُ والقتامَ الحراجفُ[1]

وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ اليهِ والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيج الممددِ

الصيصية الشوك الذي يسوى به الحائك الثوبَ ، والصيصية أيضاً الحصن ويقال للناشز من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحتري في قوله :

في معركٍ ضنكٍ تخالُ به القنا بين الضلوع إذا انحنينَ ضلوعا

---

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ماقيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :

وقد طالَ حملى الرُّمحَ حتى كأنهُ   على فرسى غُصنٌ من البانِ نابتُ

يطولُ لسانى فى العشيرةِ مُصلحاً   على أنه يومَ الكريهةِ ساكتُ

والسكوت فى الحرب دليل على سكون الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمارة الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلتُ فى الرمح :

يغدو بصدْقِ الكعوبِ لَدْنٍ   يهتزُّ ما بينَ كوكبينِ

أعنى الزج والسنان . وقال البحترى :

كأنما الحربة فى كفهِ   نجمُ دُجى شيعهُ البدرُ

وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك لشهرته واستفاضته . أجود ماقيل فى القوس من قديم الشعر قول أوس بن حجر[1] وهو أوصف العرب للسلاح :

فجرَّدها صفراء لا الطولُ عابها   ولا قِصرٌ أزرَى بها فتعطلا

كتوم طلاع الكفّ لادونَ ملئها   ولا عجسها عن موضع الكف أفضلا

وحشو جفيرٍ[2] من فروع غرائب   تنطعَ فيها صانعٌ وتأملا

تُخيرنَ أنضاءً وركبنَ أنصلاً   كجمر الغضا فى يوم ريح تزيلا

وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبضَ الرامونَ عنها ترنمت   ترنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائز

وقال آخر : وهى إذا أنبضت عنها تسجعُ   ترنم الثكلى أبتْ لاتهجعُ

وقال آخر : تسمعُ عندَ النزع والتوتيرِ   فى سيتيها رنّة الطنبورِ

وقال الاصمعى : أحسن كلام فى الايجاز قول عكلى فى صفة قوس :

* في كفه معطيةٌ منوع * ومن أحسن ماقاله محدث فى القوس قول ابن المعتز بالله :

---

(١) هو الشاعر التميمى المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الاسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أتيح لها همّانٌ يحطم قوسه [(١)] بأصفر حنان القرى [(٢)] غير أعزلا
فأودعه سهماً كبدرى مواشط يمنّ به فى مفرق فتفلفلا
بطيئاً اذا أسرعتَ إطلاقَ فوقه ولكن اذا أبطأتَ فى النزع عجلا

وأجود ماشُبه به أفواقُ السهام قول الآخر :

أفواقها حشوُ الجفير كأنها أفواهُ أفرخةٍ من النّغران

والنغران جمع نغرة وهى عصفورة . وقال الفندُ الزمانى [(٣)] :

* ونبلى وقفاها كعراقيب قطاً طحل * أخذه عتّابُ بن ورقاء فقال [(٤)] :

وحطّ عن منكبه شريانة مما اصطفى بارى القسىّ واشتهى
أمّ بنات عدّها صائنُها ستّينَ فى كنانة مما برى
ذات رؤوسٍ كالمصابيح لها أسافلٌ مثل عراقيبِ القطا
ان حُرّكت حنت الى أولادها كحنة الواله من فقد الطلا [(٥)]
حتى اذا ماقُرنت بمضها لانت ومال طرفاها وانثنى

وقال ابن الرومي فى قوس بندق [(٦)] :

كأنّ قراها والغرور [(٧)] التى بها وان لم تجدها العينُ الا تتبّعا
مدَرّ سحيقِ المسك فوقَ صلابة أدبّ عليها دارجُ الذّر أكرُعا
لها أولٌ طوع اليدين وآخرٌ اذا سمتَهُ الاغراقَ فيه تمنعا
تطوعُ لراميها الرمايا كأنما دعاها له داعى المنايا فأسمعا
يُقلبُ نحو الجوّ عيناً بصيرةً كعينك بل أذكى ذكاءً وأسرعا

---

(١) جعل الاثر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزمانى اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلى ، كان سيد بكر وقائدها فى زمانه .
(٤) من أمراء العرب الأبطال . (٥) هو الصغير من أولاد الحيوان .
(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) الغرور : الغضون

لها عَولةٌ أولى بها من تصيبهُ وأجدرُ بالأعوالِ من كان موجَعا

وهذا مثل قوله فى امرأة :

تشكى المحبَّ وتلفى الدهرَ شاكيةً كالقوسِ تصمى الرمايا وهى مرنان

وقال المتنبى فى سداد الرمى :

يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض فلولا الكسرُ لاتصلت قضيبا

وقال الراجز فى ضد ذلك :

مستهترٌ بالرمى واهٍ عَضُده يطيمهُ القلبُ وتعصيه يَدُهْ

أحصن شىء يومَ يرمى طَرَدُه كأنّهُ فؤاده أو كَبِده

وقال ابن الرومى فى سهام :

وكل ابن ريح يسبقُ الطرفَ مَعجه مَرُوقٌ ومنزوعٌ لدى حَومَة الجذب

صنيعٌ مريشٌ قَوّمَ القينُ متنَهُ فجاءَ كما سُلَّ النخاعُ من الصلب

يغلغلهُ فى الدرع نصلٌ كأنّهُ لسانُ شجاع محرج همّ بالسلبِ

وقال ابن المعتز فى قوس البندق :

وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ تحاكي الحلىَّ بأطواقها

غدونا عليهِ وشمسُ النهار لم تكسهُ ثوبَ إشراقها

فظللنا وظلت عُيونُ القِسىّ ترمى الطيورَ بأحداقها

وقد أحسن القائل فى صفة الرماح على العوانق :

ترى غابةَ الخطىّ فوقَ رؤوسهم كما أشرفت فوقَ الصوار (١) قرونها

ومما يجرى مع ذلك قول أبى فراس بن حمدان :

وما الذنبُ إلا العجز يركبهُ الفتى وما ذنبهُ ان جاوزتهُ المطالبُ

ومن كان غير السيفِ كافل رزقهِ فللذلّ منهُ لا محالةَ جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية فى النشاب شىءٌ إلا قول سيف بن

---

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذي يزن يذكر القوس :

هزّوا بنات الرياح نحوهمُ أعوجُها طامحٌ وزمزمها
كأنها بالفضاء أرشيةٌ يخفُّ منقوضها ومُبرَمُها

فأما النبلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ .

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :

وبيض من النسج القديم كأنها نهاء [1] بقاع ماؤها مترايع [2]
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتمقبها الأمطارُ فالماءُ راجع

وهو مأخوذٌ من قول امرىء القيس :

تفيضُ على المرء أردانها كفيض الأتى [3] على الجدجد

وقال البحترى :

يمشون فى زرد كأنَّ متونها فى كل معركةٍ متونَ نهاءِ
بيضٌ تسيل على الكماة فضولها سيلَ السرابِ بقفرة بيداء
وإذا الأسنةُ خالطتها خلتها فيها خيال كواكبٍ في ماءِ

ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق اليه .

ومن مليح ماجاء فى صفة الدرع قول بعض بنى هاشم :

وعلىَّ سابغةُ الذُّيولِ كأنها سلخٌ كسانيهِ الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ماجاء فى صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائنى قال قال رجل من بنى تميم لعبادى: لم يكن لآل نصر بن ربيعة صولة فى الحرب قال لقد قلتَ بُطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا عُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد فى فيلق حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذا هاجت لم تتناه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمعٌ جامع وقد وثقت بالظفر لعزِّ أنفسها

---

(١) جمع نهي وهو الغدير (٢) أى متردد. (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالغلبة لضراوة عادتها فلها العلوُّ والتمكينُ ولمن ناوأها الذلُّ والتوهين خصَّت بذلك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم عن العقدى عن أبي جعفر قال أنشد جريرٌ هشام بن عبد الملك :

لقومىَ أحمى للحقيقةِ منكمُ وأضربُ للجبّار والنقعُ ساطع
وأوثقُ عندَ المُرْدَفاتِ عشيةً لحاقاً إذا ماجرَّدَ السيف لامعُ

فقال هشام لم تركتَ نساءك حتى أُردفن ألا جعلتهن كنسوة الخبَّل فما سمعنا بعربيات قط أمنع منهن حيثُ يقول :

وساقطة كُور الخمار حييّةٍ على ظهر عُرْيٍ زالَ عنها جلالهُا
تَشُدُّ يديها بالسنامِ وقد رأتْ مُسوَّمةً يأوى اليها رِعالها
نزلنا فساقينا الكُماةَ دماءَها سجال المنايا حيث تُسقى سجالها

وأجود ماقيل فى ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عبّاد :

قرِّبا مربطَ النعامةِ مِنِّى لقَحَتْ حربُ وائل عن حِيال
قرِّباها فإنَّ كفىَّ رهنٌ ان تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف اللهُ ذلك فى كتابه فقال (ان اللهَ يُحبُّ الذينَ يُقاتِلونَ فى سَبيلِهِ صَفّاً كأنّهم بُنيانٌ مَرْصُوصٌ)ولم يصف أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال سمعتُ عبد الله بن المعتز يقولُ لولم يكن للبُحترى إلا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته فى البركة « ميلوا الى الدار من ليلى نحييها » واعتذاراته فى قصائده الى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار بن عبد الله التى وصف فيها مالم يصفه أحدٌ قبله أولها « ألم تر تغليس الربيع المبكر » ووصف حرب المراكب فى البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً ما ينشد له ويعجبُ من جودته :

غدوتُ على المأمونِ صُبحاً وإنما … غدا المركبُ الميمونُ تحتَ المظفَّرِ
إذا زجرَ النوتيُّ فوقَ علاتهِ … رأيتَ خطيباً فى ذُؤابةِ منبرِ
يغضُّونَ دُونَ الاستنامِ عيونَهم … وقوفَ السماطِ للعظيمِ المؤمَّرِ
إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له … جناحا عُقابٍ فى السماء مُهجِّرِ
إذا ما انكفا فى هبوةِ الماءِ خلتَهُ … تلفعَ فى اثناءِ بُردٍ محبَّرِ
وحولك ركّابونَ للهولِ عاقروا … كؤوسَ الردى من دارعينَ وحُسّرِ
تميلُ المنايا حيثُ مالت أكفُّهم … إذا أصلتوا حدَّ الحديدِ المذكَّرِ
إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم … ليُقلعَ إلا عن شواءٍ مُقتَّرِ
صدمت بهم صُهبَ العثانين دونهم … ضِرابٌ كايقادِ اللظى المتسعِّرِ
كأنَّ ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم … إذا اختلفت ترجيعُ عودٍ مُجرجرِ
تقارب من زحفيهم فكأنما … تؤلِّفُ من أعناقِ وحشٍ منفَّرِ
فما رحت حتى أجلت الحربُ عن طُلى … مقطعةٍ فيهم وهامٍ مُطيَّرِ
على حين لا نقعٌ يطوِّحُه الصبا … على الارضِ باقٍ للصريعِ المقطَّرِ
وكنت ابن كسرى قبلَ ذاك وبعدَهُ … مليّاً بأن توهى صفاةَ ابن قيصرِ
جدحت له الموتَ الزعافَ فعافَهُ … وطار على ألواحِ شطبٍ مسمَّرِ
مضى وهو مولى الريحِ يشكرُ فضلها … عليه ومن يولى الصنيعة يشكرِ

ومن أجود ماقيل فى السهم من قديم الشعر قول عنترة :

أبينا فما نُعطي السّوامَ عدونا … قياماً بأعضادِ السراء (١) المعطَّفِ
بكلِّ هتوفٍ عجسها رَضوِيّة (٢) … وسهمٍ كسيرِ الحيريِّ الموقفِ

وقال راشد بن سهاب (٣) اليشكرى :

ونبلٍ قرانٍ كالسّور مَلاجِمٍ … وفلقٍ هتوفٍ لاسقيٍّ ولا نَشَم

---

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .
(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة — على مافى القاموس .

ومُطَّرِدِ الكعبين أحمر عاقد وذات قتير في مواصلها دَرَم

صف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الاملس الذى حجمله ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذى يشرب الماء ، والنشم شجر .

ومن أجود ماقيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل (١) :

اذا ماعلونا ظهر نشز كأنما على الهام منا قيضُ بيض مفلَّق

وقول الآخر * كأنّ نعام الدوّ باض عليهم * ورواه بعضهم : كأن نعاج الجو باض عليهم * فقيل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج لاتكون في الجو والآخر انها لاتبيض . ومن أحسن ماقيل فيه قول ابن المعتز :

وبيضٍ كأنصافِ البدورِ أبيةٍ اذا امتحنتهن السيوفُ خيارُ

فتشبيهها بأنصاف البدور تشبيه غريب مصيب .

أجود ماقيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :

حمرُ السيوفِ كأنما ضربت لهم أيدى القيونِ صفائحاً من عسجد

في فتيةٍ طلبوا غُبارك انَّهُ رَهجٌ ترفّع عن طريق السؤدد

كالرمح فيه بضعُ عشرةَ فقرة مُنقادة خلفَ السنانِ الاصيدِ

وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

اذا شدُّوا عمائمهم ثنوها على كرمٍ وان سفروا أناروا

يبيعُ ويشترى لهمُ سواهم ولكن في الطعانِ هُمُ التجار

ومن أجود ماقيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

خُلِقت أناملُهُ لقائم مُرهَفٍ ولبثِّ عارفةٍ وذروة منبرِ

يلقى الرماحَ بوجهه وبصدره ويُقيمُ هامتَهُ مقامَ المغفرِ

ويقولُ للطَّرف اصطبرْ لشبا القنا فهدمتَ رُكنَ المجدِ إن لم تعقرِ

واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبلٍ مُتسربلٍ سربالَ ليلٍ أغبر

---

(١) هو الشاعر الجاهلى التميمى الحجازى ، يُعدّ في طبقة المتلمس .

أوما الى الكوماء هذا طارقٌ ... نحرتني الاعداء إن لم تنحري[1]

ومن أبلغ ما حُذِّرَ به الحرب قول بعض العجم : دافع بالحرب ما أمكن فان النفقة فى كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح .

وقال النابغة الجعدى :

وتستلب المالَ الذى كان ربها ... ضنيناً به[2] والحرب فيها الحرائب

فتبعه أبو تمام فقال « والحربُ مشتقة من الحرب » وقول جدل الطعان :

دعانى أشبُّ الحرب بينى وبينه ... فقلتُ له لا بل هَلُمَّ الى السلم

وإياك والحرب التى لا أديمها ... صحيحٌ وما تنفكُّ تأتى على الرغم

فان يظفر الحزبُ الذى أنت منهمُ ... وينقلبوا ملءَ الأكفِّ من الغُنْم

فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهمُ ... وإلا فجرحٌ لا يكون على العظم

فلما أبى خلَّيتُ فضلَ ردائه ... عليه فلم يرجع بحزمٍ ولا عزم

وكان صريع الخيلِ أوَّلَ وهلةٍ ... فبعداً له مختارَ جهلٍ على علم

ومن أجود ما قيل فى تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد فى خبر أخبرناه عن الصولى عن عبيد الله السكونى قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :

يا أيها الرَّجلُ الذى بيمينه ... غيثُ الزمانِ وصولةُ الحدثان

أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا ... انَّ السيوفَ تحيةُ الفتيان

قد أبطرتكَ سلامةٌ فنسيتَ ما ... أسلفتَ من برٍ ومن إحسان

والدهرُ خِدنُ مَسرةٍ ومضرةٍ ... مُتقلِّبٌ بالناسِ ذو ألوان

يخاطب نفسهُ ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون ذلك سبباً للحرب فيحيي بالسيوفِ فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيان .

وقال علىُّ بن جبلة :

---

(١) تقدم بعض هذه الأبيات فى الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كأنّ أرماحه تملي إذا عملت تحت العجاجة أسماعاً وأبصارا

ومن أحسن ماقيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرّد قول النابغة وذكر أنه أحسن ماقيل فى تقسيم الخيل فى الحرب :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العجاج وخيلٌ تعلك اللجما

قال ثعلب قلتُ لابن الأعرابي الصائمة التى لا تصهل وغير الصائمة التى تصهل فما هذه الأخرى ؟ قال التى تعلك اللجم في الكمين .

أخذه محمد بن مسلمة البشرى يصف تأديبه فرسه :

عوّدته فما يزور جبائبي إمهاله وكذاك كلُّ مخاطر

فاذا احتبي قربوسه بعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الغبار ولمعان الأسنة فيه من قديم الشعر قول النابغة:

تبدو كواكبه والشمس طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بإظلام

قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضح الاسنة في سواد العجاج . ومن أحسن ماقيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وقال الثرى: ليل من النقع لاشمس ولاقمر إلا جبينك والمذروبةُ الشرعُ

وقول ابن المعتز :

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرماح شرارُ

وأبلغ ماقيل فى الاقدام والاقتدار على العدو قول بعضهم :

عشيةَ كنا بالخيار عليهم أننقصُ من أعمارهم أم نزيدها

ومن بديع المعانى فى صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلّ جرداءِ القَرى [1] أعوجيةٍ إذا طرَدت لم ينجُ منها طريدها

---

(١) القرى : الظهر .

وما قادَ من قوم الينا جيادَهم　　فنلقاهمُ إلا رجعنا نقودها

وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبى　　وعَشّوا السرايا بالأُلهى والرغائب
إذا طلبوا رَوحَ الحياة وطيبها　　فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيضُ في سُود القساطل أنجمٌ　　غوارِبُ تهوى في الطلى والغوارب
وتحملهم يومَ الكريهةِ ضُمَّرٌ　　تشولُ الى الهيجاءِ شَولَ العقارب
فكم وقفـة في الروع منهم وحملةٍ　　أثارت بنات الحتفِ من كلِّ جانب
تَردُّ الجياد تحت قسطلة الوغى　　جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقولٍ كأن بحدِّه　　ضرائبَ من تصميمه في الضرائب

ومن أجود ماقيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق [1] :

بجأواءَ ينفي وردُها سَرعانها　　كأن وميض البرقِ فيها كواكبُ

الجأواء : الكتيبة يضربُ لونها الى الكافة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان : الأوائل ، يقول ان المياه لاتسعهم والأمكنة تضيقُ بهم فكلما نزل فرقة منهم رحل من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاءِ مريضةً　　مُعضلةً منا بجمع عرمرم

التعضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه . ومثله قول النابغة :

جمعٌ يظلُّ به الفضاء مُعضلاً [2]　　يدعُ الاكامَ كأنهنَّ صحارى

وأعجب من هذا قول زيد الخيل [3] :

---

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلا ضاق ، والأرض بأهلها غصت .

(٣) لقب بزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلل أحد أبطال الجاهلية كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء وأسلم وسُر به الرسول ﷺ

بجيشٍ تضلُّ البلقُ في حجراته ترى الأُكْمَ فيه سُجداً للحوافرِ
وجمعٍ كمثل الليلِ مرتجس الوغى كثيرٌ تواليهِ سريعُ البوادرِ

أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول * بجيش تضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خثعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه :

لعمري وما عمري عليَّ بهين لنعمَ الفتى غادرتمُ آل خثعما
وكانَ إذا ما أوردَ الخيلَ بيشةً(١) إلى جنبِ اشراجٍ أناخَ فألجما
فأرسلها رَهواً كأنَّ رعالها جرادٌ زهتهُ ريحُ نجدٍ فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تضل البلقُ في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ، ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة أن النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس المقداد(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرسِّ النزوع(٣) لياليا بأرعنَ جرارٍ عريضِ المبارك
ترى العرفجَ الحولىَّ(٤) تذرى أصوله مناسمُ أخفافِ المطىِّ الروائك
إذا ارتحلوا عن منزلٍ خلتَ أنه قريبُ المدى بالموسم المتعارك
نسيرُ فلا تنجو اليعافيرُ وسطنا وان داءلت منا بشد مواشك

---

(١) بيشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « النزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلجاتِ الشام قد حالَ دونها ... ضرابٌ كأفواه المطىّ الأوارك

بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقاً وأيدى الملائك

إذا أقبل الغضروط من أرضِ عالج ... فقولا له ليس الطريقُ هنالك

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا فى ترهيب العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابى فى المعنى الذى تقدم :

وأقبلَ عامرٌ من ابن سيراً ... إلينا ثم أقسمَ لا يَديم

بجمع تهلكُ البلقاءُ فيه ... فتنشدُ والمفضضةُ اللطيمُ

ومن بليغ ماقاله محدث فى كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول أبى نواس :

امامَ خميسٍ أدجوانٍ كأنه ... قميصٌ محوكٌ من قنا وجيادِ

الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجى ، وروى الارجوان وهو الأحمر وقال البحترى :

لما أتاك يقودُ جيشاً أرعناً ... يمشىَ عليه كثافةً وجموعا

وقال ابن الرومى :

فلو حصبتهم بالفضاءِ سحابةٌ ... لظل عليهم حصبها يتدحرجُ

وهو من قول قيس بن الخطيم :

لو انك تُلقى حنظلاً فوق بيضنا ... تدحرج عن ذى سامةِ المُتقارب

السامُ : عِرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة فى البيض . وقلت :

ولقد نقودُ الخيلَ تخطرُ بالقنا ... فتَصُبهنّ على العدى آجالا

ما إن يلين لها مَدًى فتخالها ... تجرى بطاءً إذ جَرَيْنَ عجالا

وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ماقيل فى صفة جيش قول النابغة :

أو يزجروا مكفهراً لا كِفاءَ له ... كالليلِ يخلطُ أصراماً بأصرام

تبدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ ... نوراً بنورٍ وإظلاماً بإظلامِ[1]

(١) فى ديوان النابغة المطبوع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجّاج :

كأنما زهاؤه لمن جهر ليلٌ ورزُّ وغره إذا وغر

سار سرى من قِبَلِ العين فجر

والأول أحسن عندى . ومن أجود ماقيل فى صفة السوط قول الشعبى :

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبى إذا تحدّث كأنّه لم يستمع من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدّث يوماً فقال له رجلٌ كان يجالسه يقال له حُنيش : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبى ما أحوجك الى محدرج عظيم الثمرة لين المهزّة أحد من مغرز عنقٍ الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك منك فيكثر لك رقصاتك من غير جذل . قال وماهو بأبى أنت وأمّى ؟ قال أمرٌ لك فيه أدبٌ ولنا فيه أربٌ . يعنى السوط .

ومن أحسن ماوُصف به الرأس اذا حُمل على القناة قول مُسلم :

«ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبلِ» مأخوذ من قول جرير «تيجان كسرى وقيصرا»

ومن أجود ماقيل فى المصلوب ماأنشدنيه بعض البصريين :

أنظر اليه[1] كأنّه فى جذعه لما توشّح بالحبالِ ودُرّعا

رامٍ رمى عن قوسه بعذلّقٍ وأراد صحة رميه فتسمّعا

وهذا من أتم ماقيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :

فتراه مُطّرداً[2] على أعواده مثلَ اطّراد كواكب الجوزاءِ

وقول ابن الرومى :

يلعبُ الدستبندَ[3] فرداً وان كا نَ له شاغلٌ عن الدستبند

وقال مُسلم بن الوليد :

---

(١) فى الأصل «الى» . (٢) أى مستقياً . (٣) لعل الدستبند لعبة يأخذ فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدى بعض ويرقصون ، وهذا يعديه ليرقص وحده

كأنه شلو (١) كبش والهواء له تذرو شاوية والجذع سفود (٢)

ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم عن المقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال قال بعض أهل خراسان لوكيع كيف قتلت ابن خازم ؟ قال لما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر فغلبته بفضل القنا وقلت يالثارات دويلة فقال لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوى كف نوى وتنخم فى وجهى فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه . فذكر ابن هبيرة يوماً هذا الحديث فقال هل البسالة إلا أن يكثر الريق على تلك الحال .

ومن جيد ما قيل فى طرائق الدمّ على المطعون قول أبى خراش الهذلى :

ونهنهت أولى القوم عنى بطعنة كأوشحة العذراء ذات القلائد

أوشحة جمع وشاح وهو سير كأنه شراك عليه ودع فشبه لون الدم بالسير والزبد بالودع . ومما يجرى مع ذلك ذكر الحذر من الموتور ما قلت فيه :

لا تأمننّ أخا العداوة إنه إن أمكنته فرصة لم يمهل

لله درّك كيف تأمن محنقاً تغلى عداوة صدره فى مرجل

ما الحزم إلا فى اجتثاث أصوله والأيم (٣) لم يؤمن إذا لم يقتل

ومن الجيد مما قيل فى سعة الطعنة قول بشر :

إذا نفذتهم كرت عليهم بطعن مثل أفواه الخبور (٤)

الخبر المزادة والجمع خبور . وقال عمرو بن شاس (٥) :

بطعن كإيزاغ (٦) المخاض إذا انقت وضرب كأفواه المفرجة الهدل

شبه اللحم الذى يتدلى من فم الجرح بمشفر البعير الذى به قروح فى فمه

---

(١) الشلو : المسلوخ . (٢) السفود كتنور : الحديدة التى يشوى بها .

(٣) الأيم : الثعبان . (٤) الخبور : القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلى الاسدى ، شهد القادسية فى الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشىء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :

وأسيافنا آثارهنّ كأنها مشافر قرحى فى مباركها هُدلُ

وقال غيره :

بضربٍ كآذانِ الفراءِ فضولهُ وطعن كإيزاغ المخاض تبورها

الفراء جمع الفرا وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :

وأطعن الشجساجة المشلشله على غشاشٍ دَهَش وعجله

يردُّ فى نحرِ الطبيبِ فتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خداش بن زهير [1] :

وطعنةٍ خلس كفرغ الأزاء [2] أفرغ فى مثعبِ الحائر

تهالُ العوائدُ من فرغها [3] تَردُّ السبار على السابرِ

السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والحائر المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

---

(١) شاعر جاهلى من أشراف بنى عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر.

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولهن فرغ الضربة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر اتماماً للنعمة على عباده واكمالاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنيعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحمنُ عَلّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الانْسانَ عَلّمهُ البَيان)وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَم الذى عَلّم بالْقلمْ عَلّمَ الانْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال(نَ والْقَلمِ وما يَسْطُرُون) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم فى شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

فى صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿الباب التاسع من كتاب ديوان المعانى وهو ثلاثة فصول﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة فى ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها وينظم منثورها . وقلت فى معناه :

الكتبُ عُقلُ شواردِ الكلم والخطُّ خيطُ فرائدِ الحكم
بالخطِّ نُظِّمَ كلُّ منتثرٍ منها وفُصِّلَ كل مُنتظم
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفُهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلم

واختلف الناسُ فى الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهمُ الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ ميت والمخاطب به حى يُمكن صاحبه أن يُبصرَه حتى يبلغ منه غرضَه .

ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صُور الناس مع اجتماعهم فى الصفة وخط الانسان كحليته ونعته فى اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه كاضافة القافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ماقيل فى حُسن الخط والشكل قول أحمد بن اسمعيل :

مستودَعٌ قرطاسُهُ حكما كالروضِ ميَّز بينه زَهَرُه
وكأنَّ أحرُفَ خطِه شجرٌ والشكلُ فى أضعافه ثمره

ووصف أحمدُ بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديمُ وجهها وكأن قلمها بعضُ أناملها وكأن بيانها سحرُ مُقلتها وكأن سكِّينها سيفُ لحظها وكأن مقطها قلب عاشقها .

وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سبيبُ
يُعبِّرُ عنه الروضُ وهو مُنمنمٌ ويُخبر عنهُ الوشىُ وهو قشيبُ
سوادُ مداد فى بياض صحيفة يقول شبابٌ بالمشيبِ مَشوبُ
كأنَّ ظلامَ الليلِ أذرَى دموعَه فظلَّت على خدِّ الصباح تصوب

ومن غريب ماقيل فى الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال أنشدنى عبد الله بن المعتز لنفسه :

فقد وَنكَّهُ مُوَشّى غنمته ... وحاكته الأنامل أيّ حوكِ
بشكلٍ يؤمنُ الاشكالُ فيه ... كأنّ سُطورَهُ أغصانُ شوكِ

وقلت : بياضُ صحيفةٍ تلتاحُ حُسناً ... كمتنِ السيفِ في كفِّ المليح
كنعيمٍ رقَّ في أطرافِ جوٍّ ... وماء ساحَ في قاعٍ فسيح
ويحكى أرضَ كافور صريح ... بها نَبْذٌ من المسكِ الذبيح
كمثلِ الليلِ في صُبحٍ صديعٍ ... ومثلِ الصُّدغِ في وجهٍ صبيح
وبين سُطورِهِ نجمٌ[1] قد تصبّب ... كمثلِ الخالِ في الخدِّ المليح

وأحسن ماقيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سُئل بعضُ الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصَفَ بالجودة فقال : إذا اعتدلت أقسامُه وطالت ألفه ولامه واستقامت سُطوره وضاهى صعودُه حُدوره وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه وأشرق قِرطاسه وأظلمت انقاسُه[2] ولم تختلف أجناسُه وأسرع في العيون تصوُّره والى العقول ثمره وقُدِّرَتْ فصوله واندمجت وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الورّاقين وبَعُد عن تصنُّع المحررين وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجلل قرطاسَه ... وساوَرَه القلمُ الأرقش
تضمنَ من خطهِ حُلّةً ... كمثل الدنانير أو أنقش
حروفاً تُعيدُ لعين الكليل ... نشاطاً ويقرؤها الاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذى نظرَ الأعمى الى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صممُ

إلا أنّه أحسن الاخذ وأجاد اللفظ . ومن مليح التشبيه قول الاعرابي وقد قال له هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي

---

(١) العجم : النقط. (٢) انقس بالكسر : المداد ج أنقاس .

يحسنُ القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بحلقة صغيرة تتبعها ثلاث كاظباء الكتابة يفضي الى هنة كأنها قطاة بلا منقار . ففهم هشام بالصفة أنها «خمسة» (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى العباس الربعى عن الطلحى عن أحمد ابن ابراهيم قال دخل اعرابى الى الرشيد فأنشده أرجوزة واسمعيل يكتب بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطاً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد للاعرابى صف هذا الكاتب فقال مارأيت أطيش من قلمه ولاأثبت من كلمه ثم قال ارتجالاً :

رقيقُ حواشى الحلمِ حينَ تَبورُهُ ... يريك الهوينا والأمورُ تطيرُ
له قلمـا بُؤسى ونُعمى كلاهمـا ... سحابتهُ فى الحالتـين دَرُورُ
يناجيك عمـا فى ضميـرك لحظهُ ... ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسـير

فقال الرشـيد قد وجب لك ياعرابى حق عليـه هو يقضيك إياه وحق علينا فيه نحنُ نقومُ به ءادفعوا اليه دية الحُرّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد . قوله « رقيق حواشى الحلم » ردىء لانّ الحلم يُوصَفُ بالرزانة لابالرقة ، واستعمل أبو تمام هـذا اللفظ فعيب به . وقوله « يريك الهوينا والامور تطير » رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحبُ قلم صاحبَ سيف فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلاقلى السيف معاده أما سمعتَ قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... فى حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعب

وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للاقلام مُذْ بُرِيَتْ ... انَّ السيوفَ لهامُذ أرهفت خدم

---

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ماالسيفُ سيفُ الكمىّ … بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ

له شاهدٌ إنْ تأمّلتَهُ … ظهرتَ على سرّه الغائبِ

اداةُ المنيةِ في جانبيه … فمن مثلهِ رَهبُ الراهبِ

سنانُ المنيةِ فى جانبٍ … وسيفُ المنيةِ في جانب

ألم ترَ فى صدرهِ كالسنانِ … وفي الرّدفِ كالمرهفِ العاضبِ

وقد أحسن الخالدى فى قوله :

ففى كفّ ليث الورَى للندَى … وفى كفّ ليث الشرى فى الغياض

وقلت : أبيت بالليلِ غريب الكرى … يأخذُ منى الدرسُ والكتبُ

وقيّمُ الحكمةِ فى أنملى … يصوغُ مايسبكهُ اللُّبُّ

أنفُ ضميرى حينَ أرعفتهُ … أفرغ مااستوعبهُ القلبُ

لسانُ كفِى حينَ أنطقتهُ … أرضاك منهُ المنطقُ العذب

مُنحّفٌ فى خلقهِ ذابلٌ … مُعظّمٌ في فعلهِ ندبُ

ان لم يكن كالعضبِ فى حدّهِ … فانه في فعلهِ عضبُ

ينكسهُ المرءُ فيعلو به … ورُبَّ نكسٍ غِبُّهُ نصبُ

ومُذْ عرفنا لذّةَ العلمِ لا … يُعجبنا الحلوُ ولا العذب

وقال البحترى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم … أبدّت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارح

فلا غرّ لى من بعدكم عِزّ كاتبٍ … اذا هو لم يأخذ بحجزة رامح

ومن أحسن ماوُصف به القلم قول أبى تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلمُ الأعلى الذى بشباته … تُنالُ من الأمر الكلى والمفاصل

لعابُ الافاعى القاتلاتِ لعابهُ … وأرْى جنى شارته أيد عواسل

له ريقةٌ طلٌّ ولكن وقعها … بآثاره في الشرقِ والغربِ وابل

فصيحٌ اذا استنطقتهُ وهو راكبٌ   وأعجمُ إن خاطبتهُ وهو راجلُ
إذا ماامتطى الخمس اللطاف وأفرغت   عليه شِعابُ الفكرِ وهي حوافل
أطاعته أطراف الرماح وقوّضت   لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت   أعاليه فى القرطاسِ وهى أسافل
وقد رفدته الخنصرانِ وسدّدت   ثلاثَ نواحيهِ الثلاثُ الأنامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهفٌ   ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانهِ   قلبَ كئيبِ القلبِ حرّانهِ
لو فرجَ الكربةَ عن مُدنفٍ   تشفُّهُ لوعة أحزانهِ
برقمة ينظمها كفه   نظمَ لآليه ومرجانه
بمرهفِ الأحشاءِ ذى حُلةٍ   موشيَّةٍ ترفعُ من شانه
امابهُ بسرٌّ وعسرٌ اذا   جاد به تقليحُ أسنانه
إذا امتطاه بشبيهاته [(١)]   كشّف أسراراً باعلانه
يركض فى ميدانِ قرطاسهِ   ركضَ جوادٍ وسط ميدانه

وأحسن القصار فى هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم :

أفدى البنانَ وحسنَ الخطّ من علمٍ   إذا تقمعن بالحناءِ والكتم [(٢)]
حتى اذا قابلت قرطاسها يَدُها   ترى ثلاثةَ أقلامٍ على قلم

ومن أحسن ماقيل في الدواة والاقلام قول أحمد بن اسماعيل :

فى كفهِ مثلُ سنانِ الصعده   أرقش بزّ الأفعوانُ جلده
يلتهمُ الجيشَ اللُّهامَ وحده   لو صادمَ الطودَ المنيفَ هدّه
لو صافحَ السيفَ الحسامَ قدّه   يأوى الى ظئر له مُحتده

---

١) فى الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخلط بالحناء، واذا طبخ صار مدادا

يُمزَجُ فيها صَبِرٌ بشُهدِه يُرضعها من مقلةٍ مُسوده
يَمُدُّها جارٍ كثيفُ المُدّه كأنّه الليلُ اذا استمدَّه
مُقلتُها مكحولة بِنَدّه

وقلت في القلم:

أنظر الى قلمٍ تنكّسَ رأسهُ ليَضُمَّ بينَ موصلٍ ومُفصّلِ
تنظر إلى مخلابِ ليثٍ ضيغمٍ وغرارِ مسنونِ المضاربِ مفصل
يبدو لناظرهِ بلونٍ أصفرٍ ومدامعٍ سودٍ وجسمٍ مُنحل
فالدَّرجُ أبيضُ مثل خدٍ واضحٍ بثنيهِ أسودُ مثل طرفٍ أكحل
قسم المطايا والمنايا في الورى فاذا نظرتَ اليه فاحذر وأمل
طعمان شوبُ حلاوةٍ بمرارةٍ كالدهرِ يخلط شُهدَه[1] بالحنظل
فاذا تصرّفَ في يديكَ عِنانُه ألحقتَ فيهِ مُؤمّلاً بمؤمّل
ومُذلّلاً بمُعزّزٍ ولربّما ألحقتَ فيهِ معزّزاً بمذلّل

وقلت: الا القلمُ الجارى ببؤسٍ وأنعم فمنها بوادٍ ترتجى وعوائدُ
اذا ملأ القرطاس سود سطوره فتلك أسودٌ تُتقى وأساودُ
فتلك جنانٌ تجتنى ثمراتُها ويلقاك من أنفاسهنّ بواردُ
وهنّ برودٌ مالهنّ مناسجٌ وهنّ عقودٌ مالهنّ معاقدُ
وهنّ حياةٌ للوليّ رضيةٌ وهُنّ حتوفٌ للعدوّ رواصد

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائى قال أنشدني أبو الحسين بن أبي البغل:

لهم هِمَمٌ تُناطُ إلى الثريا وتحكمُ في الطريفِ وفي التلاد
وأقلامٌ تشبهها سيوفاً مهنّدةً هوادٍ في الهوادى

---

(١) في الأصل « شُهده » بضم الشين وهو سائغ فقد جاء في القاموس « الشهد بالفتح وبضم ».

يخطُّ بهـا سوادٌ في بياضٍ   فتحسبهُ بياضاً في سوادِ
إذا فزِعَ الصريخُ أمـدَّخيلاً   بخيـل تستثارُ من المـداد

وقد أحسن ابن الرومي في وصفِ الكتاب حيثُ يقول :

متمنطقٌ من جـلدهِ   متختمٌ من خصره
أبداً تراهُ وصـدره   في بطنـه أو ظهره

وقال ابن المعتز يذكر أرضةً أكلت كتاباً :

شـغلي إذا ما كانَ للناسِ شـغل   دفترُ فقه أو حـديث أو غزَل
أرقطُ ذو لونٍ كشيبِ المكتهل   تخالهُ مكتحـلاً وماا كتحل
راكبُ كفٍّ أينَ ماشاءَ رحل   وهو دليـلٌ لمقـالٍ أو عمـل
يقيمُ وزنَ العقل حـتى يعتـدل   ويُذكرُ الناسيَ ما كان أضل
كأنه بنشرٌ عن نقش حالل   يخاطب اللحظَ بنطقٍ لا يكل
ولا يملُّ صاحباً حتى يمل

ثم قال في وصف الأرضة * تأكل أثمـار القلوب لا أكل * وكتب الصاحب في وصف كتاب : وصل كتابك فجعلت يوم وصوله عيداً أؤرخ به أيام بهجتي وأفتتح به مواقيت غبطتي وعرفت من خبر سلامتك ما سألت الله الكريم أن يصله بالدوام ويرفعه على أبدى الأيام . وكتب أيضاً : وصل كتابه أيده الله يضحك عن أخلاقه الارجة ويتهلل عن عشرته البهجة ويخبر عن عارية الله إياه عمـا رأيت شمل الحرية به منتظما وشعب المروءة له ملتئما ويتحمل من أنواع بره ماأقصر عن ذكره ولا أطمع في شكره ويؤدي من لطيف اعتذاره في أثناء عتبه ما تزداد به أسباب السرور تمهداً . وقلت في كتاب أكلته الأرضة :

وجليس حسنُ المحـــــضرِ مأمونُ المغيبِ
ميتٌ يُخبرُ حياً بخفيـاتِ الغيوبِ
أبلهٌ غيرُ لبيبٍ وهو في حالِ اللبيب

جاهلٌ غيرُ أديبٍ وهو عونُ الأديبِ
أخرسٌ غيرُ خطيبٍ وله لفظُ الخطيبِ
مفحمٌ ينظمُ شعراً مثلَ إقبالِ الحبيبِ
ساكتٌ يروى حديثاً مثلَ إعراضِ الرقيبِ
عقده الكفُّ حتى هو كالوشى القشيبِ
من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومَشيبِ
فيه إمتاعٌ لأبصا رٍ وأنسٌ للقلوبِ
دبَّ فيهنَّ دبيبٌ كان من شرِّ الدبيبِ
من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتِ الذنوبِ
أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبي
أفرحتْ قلبَ جهولٍ وكوت قلبَ لبيبِ
وبِل هاتيك المعاني من بديعٍ وغريبِ
وأفانينِ كلامٍ بين سهلٍ وصليبِ
من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيبِ
بُدِّلَ الاصلاحُ منهنَّ بإفسادٍ عجيبِ
فنجومُ العلمِ والفهمِ تهاوتْ للغُروبِ
كلُّ شيءٍ سوفَ يفنى عن بعيدٍ وقريبِ

ومن بديع ما وُصِف به الورّاق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبي هفّان قال سألتُ ورّاقاً عن حاله فقال : عيشى أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج وحظى اخفى من شق القلم ويدى أضعف من قصبة وطعامى أمرّ من العفص وشرابى أسود من الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاء ببلاء فحسبك .

وقلت في المحبرة والاقلام :

مَنهلةٌ من أشرف المناهـل　　تضمن ری الصفر الذوابل
مَركبها ذوائبُ الانامـلِ　　إذا مشت عاليـةَ الاسافل
بكت على الطرس بدمع هاملِ　　فارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غُـرر الدلائل　　بيضاء تبدو فى لباسِ الثاكل
لـكنها تلبسهُ من داخل

ومما لا أعرف فى معناه خيراً منه قول كشاجم الـكاتب [1] :

لا أحبُّ الدواةَ تحشى يراعاً　　هى عنـدى من الدُّوِى معيبه
قـلم واحدٌ وجودَةُ خطٍ　　فاذا زدتَ فاستزد أنبوبه
هـذه قعدةُ الشجاع عليها　　أبداً سـيرهُ وتلك جَنيبه

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنمـا النقسُ إذا اسـتمده　　غاليـةٌ مذوفةٌ بنـده

ونتن الـكرسف [2] مما يُعابُ به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب [3] :

مِدادٌ مثـلُ خافية الغراب　　وأقـلامٌ كمرْهفةِ الحراب
وقرطاسٌ كرَقراقِ السراب　　وألفاظٌ كأيام الشباب

وقلت : أ كثر ما تُثبته الأقـلامُ　　لم تسع فى زواله الأيامُ
يالك من خُرسٍ لها كلامُ　　موفٍ اليها النقضُ والابرامُ

---

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالـكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد فى اسمه طاء من طبيب فقيل طـكشاجم ولـكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة .

(٢) الـكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .

(٣) كان معاصراً لأبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لما مات رثاه البحترى .

قِوامُ مجـد مالهُ قِوامُ نِظامُ ملك خانه النظامُ
أصاغرٌ شؤونها العظامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إنمـا الزعفرانُ عطرُ العذارى وسوادُ الدَّوِيِّ عطرُ الرجال

وقلت فى سكين :

انجاز وعدك فى السكين مكرمةٌ غراءفضلك فيها غيرُ مجحود
أحسنْ به أزرقاً في أبيضٍ يَقَقٍ لمناطق من بيضٍ ومن سودِ
خلفُ الوعيدِ حميدٌ لايذمُّ به ولم يكن خلف موعود بمحمود

وكتب كافى الكفاة فى ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وابرامه نقض تستغيث الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان حثثته بالأنامل قطف فألفاظى فى سنيه مأسورة ومعانىَّ فى شقيه محصورة وقد صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عسرته وأقول لعله يصلح بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زللاً وعثاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطىء فيمحو مايخطه بريقه وهو :

ورأيتهُ في الطرسِ يكتبُ مرةً غلطاً يواصلُ محوَهُ برُضابه
فوددتُ أنى فى يديه صحيفةٌ ووددتهُ لايهتـدى لصوابه

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا الغلابى قال حدثنا مهدى ابن سابق قال رأى المأمون فى يد جارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال

أرانى منحتُ الودَّ من ليسَ يعرفه فمـا أنصفتنى فى المحبة مُنصفُ
وزادتْ لدىَّ حظوةً يومَ أعرضت وفى أصبعيها أسمرُ اللونِ أهيف
أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحركٌ ينالُ جسيماتِ المدى وهو أعجف

عجبتُ له أنى ودهرك معجبٌ   يُقوِّمُ تحريفَ العباد مُحرَّفُ

وكتب الصاحبُ أبو القسم في وصف كتاب : ومن هذا الذي لا يحبّ أن يواصل علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم ومجمع الدراية والفهم أم من لا يرغب فى مكاثرة من يتنسب الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَه من طبعه ويتوشح بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابهُ فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه حتى إذا فضضتُ ختامَه أقبلت الفكرةُ تتكاثر والدُّرَرُ تتناثر والغُررُ تتراكم والنُكتُ تتزاحم فاذا حكمتُ للفظة بالسبقِ أتت أختها تنافس وأقبلت لدتها تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومة ونفضتُ يدي من غبار الخصومة وأخذتُ أقول كأنّكنَّ صوادرٌ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالمن ونواقدٌ عن معدنٍ فاردٍ فتصالحن وقد وليتُ النظر بينها من كمل لنسج بُرودها ووفى بنظم عُقُودها .

ومثل ما تقدّم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يا مولاى أنشأتُ هذه الأحرف وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يَسلَمُ معها فكرٌ ولا يسمح بينها طبعٌ وتناولت قلماً كلابن العاق بل العدو المشاق فاذا أدرته استطال وإذا قومته مال وإذا حثثتهُ وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق مُتفاوتُ البري معدوم الجري محرّفُ القط مشبج الخط ثم رأيت العدُول عنه ضرباً من الانقياد لأمره والانخراط فى سلكه فجهدته على رغمه وكددته على صغره لاجرم أن جناية اللجاج بادية على صفحات الحروف لاتخفى وعادية المحك لائحةٌ على وجوه تتجلى .

وكتبتُ فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستفزنى الفرحُ قبل رؤيته وهزٌ عطفى المرحُ قبلَ مشاهدته فما أدرى أسمعت بورود كتاب أم ظفرتُ برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل عريض فتأملته فلم أدر ما تأملت أخطاً مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منثوراً أم وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ في أثنائه أبيات شعرٍ أم عُقُودُ دُرٌ ولم أدرِ ما حملته أغيثٌ حل بواد ظمآنَ أم غوثٌ سيق إلى لهفان ،

وكتب الصاحب : ووصل كتاب القاضي فأعظمت قدر النعمة في مطامعه وأجللت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضر منه فضلا ولم أتخط سطراً الا إلى أحسن منه نظما و نثرا .

ورفع رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتذر فيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قبول عذرك فاقتطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ويمكن له درك البغية .

وقال علي رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشي ظرفاً[1] وإناء شحن مزاحاً[2] وجداً ان شئت كان أبين من سحبان وائل وان شئت كان أعيا من باقل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت شجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبناطق أخرس وببارد حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون على بعض بنيه فوجده ينظر في كتاب فقال يا بني ما في كتابك ؟ قال بعض مايشحذ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذي رزقني ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظل مفكراً في قول ولده الطفل .

---

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

« الفصل الثانى من الباب التاسع »

فى ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال يعنى قولا واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الايجاز وترك الفُضولَ . وليس يصلحُ الايجاز فى كل مكان كما لا تصلح الاطالة فى كل أوان بل لكل واحد منهما حين يحسن فيه ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقّه ولم تسلك به طرقه . وقال محمد الامينُ عليكم بالايجاز فان للايجاز افهاماً وللاطالة استبهاماً . أى عليكم بالايجاز فيما كان الايجازُ فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للايجاز موقعٌ يحمد ولا حالٌ تعتمد . والايجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب وقد يكون من الرسائل والخُطب مايكون الايجازُ فيه عِيّاً ولا أعرفه الا بلاغة فى جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحى ومعانيه كالسحر مع قربها من الفهم . والذى لابدّ له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة الذبيانى * فانك كالليل الذى هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنّهُ   ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

وقال أعرابيٌّ : أبلغُ الناس أسهلهم لفظا وأحسنُهم بديهةً . وهذا حسنٌ جداً لأنّ سهولة اللفظ وحُسنَ البديهة يدلان على جودة القريحة والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولاشيء أذهب بماء الكلام وطلاوته ورونقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومى فى قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة فى الغزارة كما جعلها غيره فى الايجاز .

وقيل لهندى ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وقيل لآخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام .

وقال الحسنُ بن سهل : البلاغة ما فهمته العامةُ ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكثم بن صيفى أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه فمنها ما يكون شعراً ومنها ما يكونُ سجعاً ومنها ما يكونُ خطباً ومنها ما يكونُ رسائل فعامة ما يكون من هذه الأحوال فالوحى فيها والاشارة إلى المعنى أبلغُ والايجازُ البلاغة . وتأويل هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قولٌ يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علمٌ كثير فى قول يسير . وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلى عن مغزاك ولا تستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد غنياً عن التأمل . وقال اعرابى : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجازٌ فى صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة .

وقال محمد بن الحنفية : البلاغةُ قولٌ مفقهٌ فى لطف . وقال علىٌّ رضى الله عنه : البلاغة إيضاحُ الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يُمكن من العبارات .

ومثله قول الحسن بن علىٍّ رضى الله عنهما : البلاغةُ الافصاحُ عن حكمة مستغلقة وابانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علىٍّ رضى الله عنه : البلاغةُ تيسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق . والذى قاله صحيح لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لتصحيحه حتى يوجدُ المعنى فيه خطيباً وإنما الشأن فى تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض ليخفى موضع

لاساءة ويغمض موضع التقصير فيه . وقد فسرت فى كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركت إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها فى مظانها هناك تظفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قوم الايجاز فى بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال لكتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا.

وقال بعضهم فى المذهب الأول اذا كان الايجاز كافيا كان التطويل عياً وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لاعرابى ما البلاغة ؟ فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابى فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ فى البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه فى الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها من اللسان الفارسى فحولها إلى اللسان العربى ، ويدلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة وربما كان اللفظ الفارسى فى بعضها أفصح من اللفظ العربى ، من ذلك قول العرب « ولدُكِ مَن دَمّى عَقبيكِ » [1] وقول الفرس « هرك نزاد نرود » واللفظ الفارسى في هذا أفصح من اللفظ العربى وأحسنُ ، وقولهم « كشند ميد » مثل قول العربى « من يسمع يَخَلْ » سواءٌ فى المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم «أصيد بركة خورده [2] » وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

---

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فمر بها عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابنى ابنى فأجابتها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أميد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سألته عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فإن حروف تفسيره بالعربية ضعفا حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « بهشاه أشناه نرودهمدوره » والعرب تقول «جاور بحراً أو ملكاً» .

وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيل فيه ولكن لايراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخول استكشف النقص ، يحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزَانَ) بمعنى العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه : السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تنفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب قرين التثبت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : عاملوا أحرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وسوسوا السفلة بالمخافة والهيبة . وقريب من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا ألطف .

وقال بعضهم : ينبغي للوالي أن يتفقد أمور رعيته فيسد فاقة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس : أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فمله ولم يختدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لايكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودي :

والخيرُ تزدادُ منهُ ما لقيتَ بهِ والشرُّ يكفيكَ منهُ قلما زادُ

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الظلم على المظلوم .

وقال أبرويز : لاتغشوا قليلا فتنغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لايشحذ امرؤ

منكم سيفه حتى يشحذ عقله . وأظنُ المتنبي ألمّ بهذا فقال :

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ　　هو أوّلٌ وهي المحلُّ الثاني

وقال لكاتبه : اذا فكرت فلاتعجل واذا كتبت فلا تستعن بالفُضول فانها علاوة على الكفاية ولاتقصرن عن التحقيق فانها هُجنة في المقالة ولا تلبس كلاماً بكلام ولاتباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مماتريد فيالقليل مما تقول . ووافق هذا قول العربي : مارأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الالفاظ تقصيراً . يحث على الايجاز . وقال له إذا أمرت فاحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا ملكت فأسجح وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشي [1] فيسرع　　ويضرب في ذات الاله فيوجع

وقال ازدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبتهُ وفحُش حِرصُه ومن فَحُش حِرصه ذلّت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لاينفعه حزيناً على مالاينالهُ ، وهذا معنى قول الشاعر : * ليس للحاسد إلاماحسد * وقال:من شغل نَفْسَهُ بالمُنى لم يخل قلبه من الأسى .

وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقّ للهتعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته واكرامُ أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويصحها ويحسم مواد الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه عمومُهم بالمودّة ثم تخصيص كل واحد منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ماخفي عليه من منفعة رعية وجهاد عدوٍ وعمارة بلدٍ وسدّ ثغرٍ .　　وقال بُزرجمهر : لاينبغي للعاقل أن يجزع من حطّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر الاخطار .　　وقال بزرجمهر : الزام الجهول الحجّة يسير واقراره بها عسير .

وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبّة من قلوب الخلق .

---

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمضي فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ماأشدّ الأشياء على الأحمق ؟ قال السُّكوتُ . وقيل له أحسن الأشياء ؟ قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :

الصَّحْو يَصْفُرُ دائباً ولأجله ... حُبِس الهزارُ لأنه يترنّمُ
لو كنتُ أجهلُ ماعلمتُ لسرّني ... جهلي كما قد ساءني ماأعلمُ

وقال المتنبي :

ذو العقلِ يشقى في النعيمِ بعقلهِ ... وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعمُ

وقلتُ : أواصلُ الهمّ في ضيقٍ وفي سعةٍ ... كأنّ بيني وبينَ الهمّ أرحاما
إن إمرأً عظمتْ في الناس همته ... رأى السرورَ جوىً والوفر إعداما

وقلت : وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يغمني ... وليس لغمّ العارفينَ مفرج

ورؤى الحسنُ البصرى حزيناً فقيل له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشى . وافتخر قومٌ بالمال عند فيثاغورس فقال : وماحاجتى إلى المال الذى يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتم سره .
وقال بعضُ أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجهلُ بهامنه .
وقيل لسقراط أى السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذى يصاد بالقفاف فما حصل فيها يروم الخروج منها وماكان خارجاً يبغى الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ماسبب موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ماأخبرنى به عم أبى أبو سعيد الحسن بن سعيد أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لى من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وماسبق البريد بخبر؟ قال عرفت ذلك يوم وُلد . فعجب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفزعها فيما ينوبها .

وقال بعضهم حب المال وتد البلايا . وقال سقراط اللذة خناق من عسل .

وقيل لجالوس توفي مانيدس فقال الويح لى قد ضاع مسن عقلى . وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذى تشتهى . وقريب منه قول الاعرابى * وقلة ماقرت به العين صالح *

وقال سقراط الخطأ في إعطاء مالا ينبغي ومنع ماينبغي سواء . ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين : التبذير للمال ذمة كحب التقتير فاجتنب التقتير وإياك والتبذير . وقريب منه قول العربى وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجمد فى حق ولا أزور في باطل .

ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر .

ونحو هذا قول بعض المحدثين :

ما ان يزالُ ببغداد يزاحمنا على البراذين أمثالُ البراذين

وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لئيماً دميا :

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجباً فانظر الى البدر فى يدِ القردِ
وانظر الى الضبّ كيف يفترسُ الـظبيَ على مرقدٍ من الورد
وذُمَّ دهراً يفيضُ أنعمه على اللئيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرة وأتنه فوقَ مُتونِ السوابح الجرد
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمناً ماذا رأى فى تجنبِ القصد

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون . وقال بعض حكمائهم لمتكبر : وددت أنى مثلك فى نفسك وان أعدائى مثلك فى الحقيقة . وقريب من هذا المعنى قول على رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه : أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ماتضمرُ في جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسانُ عما يشتهي قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ماينبغي .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل مابقيت بخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام[1] السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة مُحتاجةٌ إلى المودة والمودةُ مستغنيةٌ عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجبُ المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشةُ كاسمها . وقولهم أصاب مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفوُ زكاةُ الجاه . وقولهم راجي البخيل مُكد . وقول بعضهم قلما تصدقك الامنيةُ . وقيل الصيانة مألف المروءة . وقال بعض الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إليّ من أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذي الكبرياء وصلى الله على محمد خير الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله

---

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .

ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية لاتبلغ . وقولهم لا ينفعك من جار سوء توقٍّ . وقولهم سرك من دمك . وقيل من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلمه . ومن الصدق الذى لا ارتياب فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ماروى ان بنى أمية وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا مالا تنكر وجئناك من بعد ونمتُّ من قرب فمهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ؛ فتطاول عبد الملك وقال يا أهل الشام هذا كلام قومى . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في ظل رقيق الحواشي فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط لسان اليد . وقال النبى صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الحلالُ أنْفَ الغَيْرَة) وقالوا الفكرة مُخُّ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الخُمول دفن الحي . وقلتُ السخاء سُلم المجد . وقلتُ المراء ينقض مرَر المودة والتوانى يُثمر الندامة والكسلُ يُنتجُ الفقر . وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتاب مُقدِّمة السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلٌّ لا يَفُكه إلا شكرٌ أو مُكافأة ، وقلتُ العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذّل رسيل الدَّين والشكر ضامنُ المزيد والغنى مظنة البطر . وقال آخرُ اللحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكر مرتبط النعم . وقال آخر من جرى في عنان أمله عَثَر بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل التواضع سُلّم الشرف . وقلت المال عدوّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة . وقال الاحنف الأدب عُروةُ العزّ . ومن أصدق كلمة أعرفها قول ابن المعتز : من قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريعةُ الفوت وبطيئة العود . وقال نرقّع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقّع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضح العذرُ لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُثَيْثَةٌ تَقْرِمُ جِلداً أملساً * (١) وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأسف وعاقبتها الندامةُ وليس لذى لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم: الفرارُ بقراب أكيسُ (٢) . وعزّى اعرابىٌ رجلاً فقال لاأراك اللهُ بعدهذه المصيبة ماينسيكها . وعزى شبيبُ بن شيبة ذمّياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ماأعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بنُ زرارة أول المعرفة الاختبار .

وقال رجلٌ للأحنف ممّن أنت قال ممن ودّنى . وقال البلاغةُ البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتّدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب (٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أمابعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا اللهُ عليهم فنزل القضاءُ بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم فى جماعة من حماتهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقون ليلاً عن مُعسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأوّلها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافى بالاسلام ماوراءه الذى لاتنقطع موادّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادّ الشكر عليها وإنا كنا وعَدوُّنا على حالتين يسرّنا منهم أكثر مما يَسُرُّنا ويَسُوءهم منا أكثر مما يسرّهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحصنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجلهُ فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبى صفرة . وفى الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتنى نبوتك سلوتك وأسلمنى اليأس منك الى الصبر عنك . وقال أعرابى لمعاوية هززتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد مُعوّلاً إلا عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودنى نحوك الرجاء وتسوقنى اليك البلوى والنفسُ مستبطئة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط رحلك يا أعرابى . وقال سفيان الثورى رأيتُ أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول يارب عندى لك حقوقٌ فهبها لى وللناس عندى حقوقٌ فتحملها عنى ولى عندهم حقوقٌ فقيضها لى وأنا ضيفك اليوم فاجعل قراى الجنة . وذكر بعضهم رجُلا فقال كان قريب مدى الوثبة لين المعطفة يُرضيه القليلُ ولا يُسخطه الكثيرُ .

﴿ أمثلة فى البلاغة الكتابية ﴾

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن يبتدئوا فى الأمور بالحمد لله رب العالمين يُقدمونهُ أمام طلابها كما يُبدىء بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمدُ بن مهران : الحمد لله الذى كثرت أياديه عن الاحصاء وجلّت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً : الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمير سنى الرتبة وعز الدعوة ووصل له حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً يؤدّى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ فى زيادة الأمير والزيادة به وعلى يديه والأيدى الصائلة على عدُوّه بمنّه ولطفه . فأخذ ابنُ دُريد قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : نحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمترى المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادى اليه فى التوفيق لما يُدنى من رضاه ويجير من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله ذى المنّ والطَّول والقوة والحول والغاية والصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومذيله (١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانه .

في طاعته والحل عُقوبَته عن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر وبخذلان حربه حتى يدحر الذى لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعييه المُعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الاثقال الغنيّ المفتقر اليه القويّ المعتمد عليه بالغ أمره بلا مُؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب « الحمدُ لله الذى صَدَقَ وَعْدَه وَنَصرَ عَبدَه وَهزَمَ الأحزابَ وَحدَه » .

وكتبتُ : الحمد لله الذى وفّر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير أيديها وأفاض بالاحسان واديها وعلمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار الخيرة للاخيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتثنت أغصانها وتهدّلت أفنانها ولانت أعطافها وتناهت أطرافها فكأنها هي أيام أبي تمام التي وصفها فقال :

أيامُنا مصقُولةٌ أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ

بما منح من حُسن رأيك أطال الله في كنف السلامة بقاءك وحجب عن عيون الغير نعماءك وخولك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم أصفاها من الشوائب وأبعدها من مُلاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمّته كما قاد اليك الفضل بأزمّته ولازال بك الزمان جديد الحُلّتين مُطرز الطرتين مُتوّج المفرق بما ترك حالي الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولا نزع عنك عارفةً وفر عليك كمالها :

رأيتُ جمالَ الدهرِ فيكَ مُجدّداً فكن باقياً حتى ترَى الدهرَ فانيا

وكتب بمضمم : الحمدلله الذى استسلمت نهاية الشكر لدون ماألزم بصنائعه .

وكتبت : الحمد لله على ماتطوّل به من البرّ وما أوزع (١) على ذلك من الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه .

وكتبتُ : الحمد لله الذى قبض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرُمة البكر

---

(١) أوزع : أي ألهم .

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمدُ لله الذى جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

« ومن جيد الأدعية »

ما كتب الصاحبُ أبو القسم بن عباد : أسعد اللهُ سيدنا بالفضل الجديد والنيروز الجديد سعادة مُتصلة المادة حافظة لجزيل المادة مُوذنة بظاهر العز والبسطة وتزايد السرور والغبطة مؤمنــة من عوادى الأيام وبوادر الزمان وأراه سادتى الفتيان قد اقتفى كلٌّ منهم مجده وحكى في طلب المعــالى أباه وجَدّه وجعــل سيدنا آخذاً من كل مادعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الاعداد .

وكتب الصابى الى أبى القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاى الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجمله فيه وفى أيامه كلها معافى سالمــاً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً مختوماً له ببلوغ الآمال مطروفاً عليه [١] عين الـكمال محظور الافنية عن [٢] النوائب محمى الشرائع عن [٢] الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليــه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب اللهُ بقاءك عزاً يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلاءة تذب عن ودائع مننه عندك وزاد فى نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وأن بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبى نواس :

دارت على فتية ذلّ الزمانُ لهم فــا يُصيبهمُ إلا بمــا شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقــدار مرزوقاً نهاية الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ بلغك اللهُ نهاية من العمر لا نهاية لمستزيد وراءها . وقريبٌ منه قول البحترى :

---

(١) فى الأصل (عنه) . (٢) فى الاصل (على) .

عمرتَ أبا إسحق ما صاح القُمرُ ... ولا زال معموراً بأيامك الدهرُ

وقول الآخر :

فلا زالت الأرضُ معمورةً ... بعُمرك يا خيرَ عُمّارها

ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبى تمام :

من يسأل الله أن يُبقى سَراتكمُ ... فانما رامَ أن يستبقىَ الكرما

وقول المتنبى :

أعيذكم من صروف دهركمُ ... فانهُ بالكرام مُتّهم

ولقلت : فلا زالت الأقدارُ دون محالكم ... سواقطَ والمكروهُ عنكم[(١)] مقصّرا

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذور فى كنف .

وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالى على هواك مُساعفة تتلقاك بأوفر الحبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجرى مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس عنك بالمحذور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل والقماءة[(٢)] . وكتب ابن المعتز أخّرتنى العلة عن الوزير أيدهُ اللهُ فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ويعمرَ ما أخلّته العوائق منى أسأل الله أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويجب له ويتقبل ما تتوسل به الى مرضاته ويضاعفُ الاحسان اليه على الاحسان منه ويُمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه فى مَسرةٍ نقيصةً ولا يقطع عنه فيها عادة جميلة . وهذا مأخوذٌ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ماقبله مُقصراً عما[(٣)] بعده .

وكتب ابنُ المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح لك وأجزل من الخير حَظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .

وكتب الى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجّه اليك وافد السلامة وملاك

---

(١) فى النسخ « منكم » . (٢) القماءة : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) فى الأصل « على مابعده » .

ماأفادك وهنّأك ماقسم لك وأمتع بك وليك والآن لك طاعة عدوك وجمّل الدولة ببقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم لمولانا ولى النعم التمكين والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب القلوب ما أودعهامن محبة دولته ولا يعدم الصدور ماضمنها من خشية صولته ليزداد أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على مايشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن في ارتحاله وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولى نعمته ويستديم المقسوم له من محمدته .

وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى على بن عيسى : وهنأ الله الوزير ماأتاه وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءًا وفاتحةً وأسلمه مآلاً وعاقبةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً (١) ويسر لديه العسير وقرب على يده البعيدوالشطير (٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاثٌ نعمةٌ في حال كونها ونعمةٌ ترجى مُستقبلة ونعمةٌ تأتى غير مُحتسبة فأدام الله لك ماأنت فيه وحقق ظنك فيا ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

﴿ المديح ﴾

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أورده هنا صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :

ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رُخص السعر وأمن السبل وادراك الأماني وبلوغ الآمال . وكتب بعضُ الكتاب : وجرى لك من ذكر ما خصك اللهُ به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياطة

---

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجرى مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة المنصر وزكاء الأصل ونماء الفرع وسنيّ الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها[1] عند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً[2] والأذن بياناً . ومما يجرى مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيّ اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان .

وكتب الصاحب : وليس يبدع أن يجود كلامه وتعتدل أقسامه ويتهذب بيانه ويتسع جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عُد الفقه كان البازل الذى ذلّل الفحول مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم وفحص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكاثر مُكاثرة الآحاد وإن جُورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابةُ فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاديه .

وقال رجلٌ لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلّ وتجبر مااعتل وتكثر ماقل .

وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من وُلاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدبيره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزهُ ويزيدُ فى تأييده .

---

(١) فى الاصل (تحقيقا) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿فأما الذم والتهجين﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بالمنى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدبار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : نزلتَ بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندمٍ وارحل بعدمٍ . وقال أعرابيٌّ : أولئك قومٌ سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلباسُهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابيٌّ لا تُدنس شعرك بعرض فلان فانه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين بخاة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نُواس قوله :

بما أهجوكَ لا أدرى   لساني فيكَ لا يجرى
إذا فكرت فى عرضـــك أشفقتُ على شعرى

واستشارت امرأةٌ امرأةً في رجل تزوجه فقالت لا تفعلى فانه وكلةٌ تكلة يأكل خلاه . ووُكلة وتُكلة بمعنى واحدٍ وهو الذى يتكلُ فى الأمور على غيره ولا يقومُ فيها بنفسه والتاء فى تكلة واو كما قيل تُراثٌ وهو من ورث ، والخلال مايخرجُ من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريبٌ منه قولهم فلان يثيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طمعه وشرهه يُثيرها يطلبُ تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظماً   لقد حدثتَ نفسك بالمحال

﴿فى الشكر (١)﴾

وكتب ابنُ المعتز فى الشكر : قدجلت نعمتك عن شكرى فتولى اللهُ مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جُهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورأفته ؛ وهذا من قول طريح بن اسمعيل ٭ فقصرت مغلوباً وإنى لشاكرٌ ٭ وكتب آخر : إذا كان مجهودى فى شكر النعمة واعترافى بحق العارفة يُبلغنى أقصى نهاية الشاكرين وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك فى نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبي نجى ذكرك ولسانى خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فان أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤملين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضه فتذال لك ونفسه فتواضع دونك وقلبهُ فكان فى رجائك وتأميلك ولسانه فكان فى ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنّ امرأً رفضَ المكاسبَ واغتدى ٭ يتعلم الآدابَ حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ ٭ من حُرّ ماحاك الضميرُ ونظما
مُتشاغلاً عما يُمارسُ غيرُه ٭ حتى لقد أثرى اللئامُ وأعدما
ثقةً برعى الأكرمينَ ذِمامَهُ ٭ لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُحرما

وكتبتُ : وتأملتُ التوقيع في معنى المعيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونُه ونامت عيونهُ وتنحت عن ساحتى خُطوبهُ وهذه نعمٌ أعيا بذكرها فكيف أطمعُ فى إداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شُكراً لها ومقابلة بما خاص إلىّ منها وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .

وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال علىّ بن عُبيدة : النعمة كالروضة والشكرُ كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى عافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لامزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصلٍ : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

ضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية فى البرّ والعقوق .

وكتب أبو على الضرير : تجاوز بى ذكر فضلك ووصف محاسنك والاخبار بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بحاجتى قبلك ليس لأنى جهلتُ لحق علىّ لك ولا لأنى ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكنى رأيتنى فيما أتعاطى منه كالمخبر عن ضوء النهار الباهر الذى لا يخفى على ناظر وكالمنبه على الأمر الواضح الذى يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القولُ فى هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيفاءَ بهِ لم نقدر عليه لكثرته ونرجو أن يقع الاكتفاءُ به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى دَلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ماخلق من الصور وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسان وبهيمةٍ وجان وطائر يمسح صفحات التراب ويأخذ بأهاب السحاب وحنش ينطوى على أدراجه ويستوى مرة فى إعوجاجا إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُختلفة وأجرام متباينة حقيرُها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ وجعل منافعها متاعاً للانسان الذى كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعانى وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس فى قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأنا أجىء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرته واستفاضته ولا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدّ من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء فى صفة الفرس قول أبى دؤاد :

يحمل منه بعضُهُ بعضَهُ ... فراكبٌ منهُ ومركوبُ

وقول الاعرابى :

وأحمرُ كالديباج أما سماؤهُ ... فَرَيا وأما أرضُه فمحُولُ

سماؤه : أعاليه ، وأرضُه : أسافله، يعنى حوافره .

ومن أجود ما قيل فى تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتبي « كأن آذانها أطراف أقلام »

وأحسن ما قيل في اصطفاف الخيل قول الاسعر [1] :

يخرجنَ من خللِ الغبارِ عوابساً ... كأناملِ المقرورِ أقعى فاصطلى [2]

---

(١) فى الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أي كلهن يبادر الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذه على بن جبلة فقال رحمه الله :

كأن خيلك في أثناء غمرتها أرسال قطر تهامى فوق أرسال
يخرجن من غمرات النقع سامية نشر الأنامل من ذى القرة الصالى

والاول أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلوع الجنب *
وفى وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمدانى :

وتهدى بى الخيل المغيرة نهدة اذا صبرت صابت قوائمها معا

ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت احدى يديه بثبرة [١] تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا

وكان الاحسن أن لا يصفها بالعثار الا أن قوله « تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا » مستعار حسن يعنى على إساءته فى وصفه إياه بالعثار ، ودعدع مثل قولهم « لعاً » وهو دعاء للعاثر بالحياة . وأهدى بعضهم شهرياً [٢] وكتب : بعثت بشهرى حسن المجموع لين الموضوع وطىء المرفوع همه أمامه وسوطه لجامه . وقد أحسن ابن المعتز فى قوله :

وخيل طواها القود حتى كأنها أنابيب سمر من قنا الخط ذبل
صببنا عليهم ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها . وقد أجاد فى قوله أيضاً * أضيع شىء سوطه اذ تركبه *
وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا

وقد أحسن الاعرابى القول فى سرعة الفرس حيث يقول :

غاية مجد رفعت فمن لها نحن حويناها وكنا أهلها
لو ترسل الريح لجئنا قبلها

---

(١) الثبرة : الكوم من التراب . (٢) الشهرية بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُه يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يمسُّ الأرضَ منهُ حافرُه

وهذا غاية فى وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره *
ردىء لانه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عُبيدة بن الطبيب فى الثور :

يخفي الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ في أربعٍ مَسّهنّ الأرضَ تحليلُ

يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف يمينه بالتحلة لا تراخي
بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنّ ما يهربُ منهُ يطلبه

وقد أجاد القائل فى صفة كلاب * كأنما يرفعن مالا يُوضع * ومن عجيب
ماقيل في ادامة الجرى قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانَهُ ويُبارى شبَاةَ
الرمح . ويستحبُّ في الفرس إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ماقيل فى
ذلك قول على بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ فى استقبالهِ حتى إذا استدْبرْتهُ قلتَ أكبّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى فى قوله :

إن أدبرتْ قُلتَ لاتليلَ لها أو أقبلت قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طِرْفٌ اذا استقبلته قلتَ حبا حتى اذا استدبرتَهُ قلتَ كبا
ذو أربع يلقى الصفا بمثلها وللحصى من خلفها وثب دبا
اذا ترامينَ به فى سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حِرْزٌ
وبُطونُها كَنْزٌ » وقال الاشعرُ الجعفي في معنى قول النبي ﷺ ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقّي الردَى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ماوصف به حُضْرُ (١) الفرس قول الاعرابى فى فرسه « يحضر ماوجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس فى قوله :

على هيكل يعطيك قبلَ سُؤالهِ أفانينَ جرىٍ غير كزٍّ ولاوان

قوله « قبل سُؤاله » عجيب الموقع ، وقوله «أفانين جرى» أعجب وأبلغ .
وأجودُ ماوُصف به ظفره عند الطلب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكل

فجعل الاوابد وهى الوحش مقيدة له ينالها كيف يُريد .
وقد أجاد أيضاً وأحسن القول فى اليقين بالظفر حيث يقول :

اذا ماولدنا قالَ ولدانُ أهلنا تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطبُ

وأحسن عمارة التقسيم في قوله فى هذا المعنى :

وأرى الوحشَ فى يمينى اذاما كانَ يوماً عِنانهُ فى شمالى

ونقله الشماخ بن ضرار (٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلاد غير قوسٍ وأسهم كأنَّ الذى يرمى من الوحش نازرُ

أى جامدٌ باردٌ يصيبه كيف يُريد . وجعله أبو نواس في نعت كلاب فقال :

بأكلُبٍ تمرحُ فى قداتها تمدُّ عيرَ الوحشِ فى أقواتها

وهو من قول أبى النجم « تعد غابات اللوى من مالها » وقوله :

يردى على حوافرٍ لاتخذُله صم الشوى يحملها وتحمله
حافٍ ومايحفى وماتنعلهُ نار عجاج مستطيل قسطله
تنقش منه الخيل مالا تغزله فى جنبه الطائر ديث عجله
كأنَّ تُربَ القاع وهو يسحله ضيقُ شياطين رقتهُ شمأله

---

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازنى ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام، كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أو خلقٌ ينشقُّ عنــه مملهَ   ترى الغــلامَ ساجياً لا يركاه
يعطيه ماشاء وليس يسأله   فواغت الخيل ونحن نشكاه

ويستحب في الخيل سعة المنخرين فمن أبلغ ماقيل فى ذلك قول مزاحم بن طفيل العقيلى « من منخرٍ كوجار الثعلب الخرب » فجعله خرباً ليكون أوسع. وقال العباس بن مرداس :

ملء الحزامين وملء العـين   ينفشُ عنـدَ الربو منخرين
كنفش كيرين بكفى قين

ومن أبلغ ماقيـل فى طول عُنق الفرس قول مُزاحم العُقيلى أيضاً « كأن هاديه جذعٌ على شرفٍ » فلم يرض ان جعلها جذعا حتى جعلها على شرف كصنيع الخنساء فى قولها « كأنه علمٌ فى رأسه نار » وقلت :

بمعقودِ السراة على اندماج   ومزرورِ القميصِ على انشمار
تُريكَ جبينهُ لمانَ برقٍ   وسائرُ جسمهِ لمعانَ قار
فيشبه تحتَ جُنح الليلِ ليلاً   ويحكى الخالَ في خدِّ النهار
ويقبلُ حينَ يُقبلُ فى سموٍّ   ويُدبِرُ حينَ يُدْبِرُ في انحدار
ويُمسك وهو كالقدن المعلى   ويحضرُ وهو كالمد انفار
يلوحُ البـدرُ منهُ فى جبينٍ   وتتضحُ الثريا فى عـذار

وقد أبدع القائل فى وصف فرس أبلق أغر فقال :

وكأنمـا لطمَ الصباحُ جبينهُ   فاقتصَّ منهُ فخاضَ فى أحشائه

إلا أنه أساء فى العبارة وذلك أن اللطم لا يكونُ إلا على الخد وضرب الجبين لايسمى لطماً والقصاص يكون بمثل الفعل فالقصاص باللطم اللطم لا الخوض فى الاحشاء . وقال ابن دريد وأحسن في وصف الغرة والتحجيل :

كأنما الجوْزَاءُ فى أرْساغهِ   والنجمُ فى جَبهتهِ إذا بدا

ونحوه قول كشاجم :

قد راحَ تحت الصبح ليلٌ مُظلمٌ لو راحَ في السرج المحلى الأدهمِ
ضحكَ الحجينُ على سواد أديمه وكذا الظلام تنير فيه الأنجمُ
فكأنهُ بنات نعش مُلببٌ وكأنما هو بالثريا مُلجمُ

وقال: عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مُطهم يهوى لطيته هُويَّ الأعقب
ذاوي المسيبِ قصيرهُ صافي السيـــب طويلهُ صافي الأديم محبب
كالنور بينَ العشبِ يبهرُ حسنهُ بين الجيادِ إذا بدا في موكب
وتطيرُ أربعهُ به في أبطح فكأنه من طولها في مرقب
صم الحوافر شرب صم الصفا منها الاهلةُ في الصفا والصلبِ
وكأنَّ غرتهُ نفضضُ وجهه والنقعُ يذهبهُ وإن لم يُذهب
وكأنَّ في أكفاله وتليله غسق النجوم فتستطيلُ وترتبي
وكأنما الارساغ ماءٌ لم يسل والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطب
لم يُطلب إلا يفوتُ ويطلب إلا يفوزُ فلم يخب في مطاب
والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا تُ أسيرةٌ في شدة المتلهب
وكأنما يحوى مدارُ حزامه احناءَ بيتٍ بالعراء مطنب

وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله « يرمي الجلاميد بأمثالها » ثم قال رُؤبة « يرمي الجلاميد بجلمود مدق » وأبلغ ما وصف به شدةُ قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشنانداني عن الجرمي :

سِيانَ تحت طموه وطموره أكم الفلا ومقابل الولدان
يطأ الخبار فلا يطيرُ غبارهُ ويرضُّ حافرهُ حصى الحزان

يقول سواء عنده إذا طما في سيره أي ارتفع وإذا طمر أي وثب ، الأكم وهي المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهي ملاعب الصبيان إذا لعبوا بالتراب فمدُّوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبؤا خبيئاً فمن أخرجه فقد غاب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهى الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار فى الرقاق من الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهى مواضع الحجارة ناقل فيها لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر * شادخة تشدخ من أدلاها * يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذى لاشبيه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمرٍ قادحٍ رفعت قوائمه غمامة قسطل

ومحجّل غر اليمين كأنه متبختر يمشى بكم مسبل

وقد أحسن القائل فى قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأوّله فى منعه الخطو آخره

وقد قطعت من لونها الشمس غرّة له وحجولاً ثم كالظلّ سائره

وقال ابن المعتز :

نمت له غرّة كالشمس مشرقة يكاد سائلها عن وجهه يكف

إذا تقرّط يوماً بالعذار غدا كأنه غادة فى أذنها شنف

وقلت : إذا تحلى بالعذار ومشى قلت فتاة تتصدّى لفتى

كأنه تحت الحلىّ روضة درّ عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ماقيل فى طول الفرس فى الهواء قول أبى دؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتلّ عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق

كأنى إذا عاليت حوزة متنه تعلق برى عند بيض أنوق

وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل : فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مضطرم العدو والرّواح تخاله يمشى على أرماح

وأخبرنا أبو القسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال أهدى رجل من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسرى برذوناً وقعد بين يديه فقال ماهذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نمس وان حركته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوعُ من عنانه إذا جُذب

ويشبّهُ الفرس فى عدوه بالنار فأجمعُ ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتى طِرفٌ لاحقٌ بالهاديات (١) طمر

طُوِيَ الشحمُ على متنيه مثل ما يطوى القباطى تجر

فهو نارٌ والترابُ دُخانٌ مستطيرٌ وحصى الأرض جمرُ

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابقٌ أحكمتهنّ المضامير

مكنفات بآذان نواصيها كما يشقُّ عن الطلع الكوافير

تنزو كرائمهمُ فى كل معترك كما يطيرُ من الذعر العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ماوصف به الجرى السهل . ويُستحب فى الفرس الشدق وهو سعه الشدقين فمن المذكور فى ذلك قول بعض العرب * وان يُلق كلب بين لحييه يذهب * ومن مليح ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر فى غرة شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ماجمه يفتحان سفطا

وقال : وغدونا بأعنة خيل تأخذُ الأرض بأيدى عجال

زينتها غررٌ ضاحكاتٌ كبدور فى وجوه الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب بيض دون صافيه الى التمريض

وقال العمانى الراجز :

---

(١) فى نسخة (بالعاديات) .

كأن تحت البطنِ منه أكلبا   بيضاً صغاراً ينتهشن المنقبا

وتبعه الحمانى فقال :

وليـل مثل خافية الغرابِ   عيِّ مذاهبٍ وخفيِّ باب

دلفتُ لهُ بأسودَ مستمر   كما نظرَ الغضابُ الى الغضاب

أجشَّ كأنما قابلتُ منـهُ   تبعُّقَ لُجةٍ وحريقَ غاب

تراهُ كأن عينكَ لا تراهُ   إذا وَصلَ الوثاب الى الوثاب

كأن لدَى مغابنـهِ التماعا   سوادس عنده بقع الكلاب

وليس نظام هذا البيت بمختار ، وذكر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعاً ووضعاً   كما خفقت بنانُك بالحساب

ومن أحسن ماقيل فى الحصى الذى يترامى بسنابك الفرس إذا جرى قول امرىء القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها   إذا نجلته (١) رجلها خذف أعسرا

وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وأتى بمعناه :

يقذفُ بالرجل حصى الطريقِ   كأنهُ رامٍ بـلا تحقيـقِ

وقال : ينفي خفاف الحصى والنقع مُنتشرٌ   كأنها خاذف رجليه الزنابير

وقد أجاد الكميت فى قوله :

كأن حصى المعزاءِ بينَ فروجها   نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوِّب

فجعلها الكثرتها تتلاقى فى الهواء وزاد فى ذلك على المرق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاءِ بينَ فروجها   بوادي نوًى رضاخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز فى قوله * يرضخ مايرضخ مالا يرضخ (٢) * يقول إذا وطئ الحصى نبت من تحت سنبكه فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكأن رضخه أى رمحه والرضخ الرمح . ويشبه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرىء القيس * لهـا حافر مثل قعب الوليد * أخذه ابن المعتز فقال :

---

(١) النجل : الرمى كما هو ظاهر .   (٢) فى الاصل (يضرخ) فى مواضع

قد اغتدى بقادحٍ مُسوَّمٍ يعبوب

بنقى الخدى بحافر كالقدح المكبوب

قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب

وقد أحسن أبو تمام فى قوله :

بحوافرٍ حفرٍ وصلبٍ صلبٍ وأشاعرٍ شعرٍ وخلقٍ أخلقِ

فجعل البيت كله تجنيسا ولعله ماسبق الى ذلك . وقد عاب الآمدى قوله « وصلب صلّب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لاتحفر الأرض وأكثر ماذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور فى صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة فى نعتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه

جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه

جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجىءَ البدرِ حين تمامه

واسودَّ ثم صفت[1] لعيني ناظرٍ جنباته[2] فأضاء فى إظلامه

مالت نواحى عُرفه فكأنها عذباتُ أثلٍ مال تحت حمامه

ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه

وكأن فارسه وراء قذاله ردفٌ فلستَ تراه من قدامه

لانت معاطفه فخيل انه للخيزرانِ مناسبٌ بعظامه

وكأن صهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقعقع في ازدحام غمامه

مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه

والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه

وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيم محجَّل قد رُحتُ منهُ على أغرَّ محجَّل

---

(١) فى الأصل (صفا) . (٢) كذا في الديوان ، وفى الأصل (جلبابه) .

كالهيكل المبنى إلا أنه　　في الحسن جاء كصورة في هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن　　عرف وعرف كالقناع المسبل
جذلان ينفض عذرة في غرة　　يقق تسيل حجولها في جندل
تتوهم الجوزاء في أرساغه　　والبدر غرة وجهه المتهلل
وتراه يسطع في الغبار لهيبه　　لونا وشدا كالحريق المشعل
هزج الصهيل كأن في نغماته　　نبرات معبد في الثقيل الأول
ملك العيون فإن بدا أعطينه　　نظر المحب الى الحبيب المقبل

وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمس أشرقت في وجهه　　لم تمح منه دجى الظلام المطبق
واذا تمطر في الرهان رأيته　　يجرى أمام الريح مثل مطرق

وقال ابن المعتز :

تحملني طرفة صادرة واردة
ترضيك في يومها　　وهي غداً زائده
ورجلها تقتضي　　ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيت الدين ديناً يؤفك　　وأمست القبة لا تستمسك
تفتق من أعراضها وتهتك　　مرت من الباب فسارت د كرك
منها الدجوجى ومنها الارمك　　كالليل إلا انها تحرك

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتنيها وأنت على غير وضوء ، قو
كالليل ألا إنها تحرك ، استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

اذا ما بدا أبصرت غرة وجهه　　كعنقود كرم بين غصنين نورا
وردفا كظهر الترس أسبل خلفه　　عسيبا كميص الطود لما تحدرا

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليل (١) بفتيانٍ غرر على جيادٍ كتماثيل الصور
كأنما خيطوا عليها بالابرْ أوسمّر الفارسُ فيها فاتسمر

وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكاتبه أنائمٌ أنت ؟ قال لا وأيّد الله الأمير ، قال ماأطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة فى آبان جوعة ، قال فما ألذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفىء بها غليلك أو كأسٌ تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التى تدخلُ اليها والهاً وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذى اذا طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت لله درك ، اعطه ياغلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه ياغلام . فأعطاه ألفى دينار .

وقيل لاعرابى أتعرف الجواد المبرز من البطىء المقرف قال نعم أما الجواد المبرز فهو الذى لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا انتصب اتلأبّ ، والبطىء المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الارنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرسلنى واذا قلت أرسله قال أمسكنى .

وقال المهدى لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى البراذين خيرٌ ؟ قال ماطرفهُ أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شرٌ ؟ قال الغليظ الرقبة الكثيرُ الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى .

ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال : إنها لخليقة الجودة وآية ذلك انها سامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان اقناء الاسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فاتت

(١) فى نسخة « قد أشهد اللهو » .

وإن طلبت ثابت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ، صليب الدخيس والكاهل والمحب ، عريض اللبان والجبهة والخد ، مُنيف الجوانح والقذال والقوائم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن مُناذر في وصف فرس :

وإذا أعرَضَ قطريهِ لنا وفيا واستوفيا قَدّاً بَقد

فهو كالقِـدْحِ أقامت دراهُ كفُّ باريهِ فما فيه أَوَدْ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافى القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقى العصب يبوع بيديه ويتدس برجليه ويشير بأذنيه ويمد مدى بصر عينيه يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوزُ الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن زجرته حار وإن طرحتَ عنانَهُ سار كموج في لجة أو سيل فى هجوة ان وجد علماً أمعن وإن فقده ضفن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب اليه : قد بعثت اليك ببرذون لين المرفوع وطىء الموضوع حسن المجموع طويل العذار أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنى به أبو أحمد عن أبيه قال حدثنى أحمد ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن على بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره :

جُعلتُ فِداك قد أمسى حمارى لهُ سَرْجٌ وليس لهُ لجامُ

كمثل العاطل الحسناءِ أمستْ لها حَلْيٌ وليسَ لها نظام

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصـــل الثانى من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها

أطرف ماقيل في صفة الابل قول القطامي :

يمشين زهواً فلا الاعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الاعجاز تتكلُ

فهن مُعترضاتٌ والحصى رَمِضٌ ... والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدل

قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ماقيل في صفة هاجرة .

ومن مليح ماقيل فى ضمر الناقة قول ابن الخطيم :

وقد ضَمرتْ حتى كأنَّ وضينها (١) ... وشاحُ عروس جالَ منها على خصرِ

وتُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ماقيل فى ذلك قول الشاعر :

يعالج مثنى حضرمى كأنه ... حباب نقا يتلوه مرتجلٌ يرمى

وقال ذو الرمة :

رجيعةُ (٢) أسفار كأنَّ زمامها ... شجاع (٣) على يسرى الذراعين مطرق

وأخذه المتنبى فقال « كأنَّ على الاعناق منها الافاعيا » .

من أجود ماقيل فى ضمر الابل قول الفرزدق :

اذا ماأنيختْ قاباتٌ عن ظهورها ... حراجيج أمثال الاهلة شسّف

شبهها بالاهلة لضمرها واحد يدابها . وتُشَبهُ بالقسِىّ فمن أجود ماقيل في ذلك وأجمعه قول أبى عبادة البحترى :

وخدان القلاص (٤) حولاً إذا قا ... بلنَ حُولاً من أنجم الاسحار

يترقرقن كالسراب (٥) وقد خضـ ... ـنَ غماراً من السرابِ الجارى

كالقسىّ المُعطفاتِ بل الأسـ ... ـهم مبرية بل الاوتاد

وقال ابن دُريد :

آليةً بالعْمَلاتِ يرتمى ... بها النجاءُ بينَ أجوازِ الفلا

---

(١) الوضين كالحزام . (٢) أى معاودة . (٣) الشجاع هنا : الحية .

(٤) كذا فى ديوان البحترى ، والذى فى الأصل « وحذاق القلاص » .

(٥) كذا فى ديوان البحترى ،والذى فى الأصل « بالسراب » .

خوص كأشباح الحنايا ضُمَّرٌ   يَرْعفن بالامشاج من جذب البرى
يرسُبن فى بحر الدُّجى وفي الضحى   يطفون فى الآل[1] اذا الآل طفا

ومن غريب ماقيل في عين الناقة قول ذى الرمه :

كأنما عينها منها وقد ضمرتْ   وضمها السير في بعضِ الاضى ميمُ

فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهى الغدير ، وقد قصر بذى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره فرآه ترك في الخط لاماً فقال له ذو الرمة أكتب لاماً فقال حماد وانك تكتب قال لا أكتم عليك فانه كان يأتى باديتنا خطاط فعلمنا الحروف تخطيطاً فى الرمل فى الليالى المقمرة فاستحسنتها فثبتت فى قلبى ولم تخطها يدى .

ودخل أبو تمام على المأمون فى زىّ اعرابى فأنشده :

دِمنٌ ألمَّ بها فقالَ سلامُ   كم حلَّ عُقدةَ صبرهِ الالمامُ

فجعل المأمونُ يتعجبُ من غريب مايأتى به من المعانى ويقول ليس هذا من معانى الاعراب ، فلما انتهى الى قوله :

وُهنَّ الحمامُ فان كسرتَ عِيافةً   من حائهنَّ فانهنَّ حِمامُ

فقال المأمونُ اللهُ أكبرُ كنتَ ياهذا قد خلطت علىّ الامر مُنذ اليوم وكنتُ حسبتك بدويا ثم تأملتُ معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس فى في وصف الناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة اذا   صام النهارُ وقالت العُفرُ[2]
شدَنيّةٌ[3] رعَتِ الحمى فأتت   ملء[4] الجبال كأنها قصر

---

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » .   (٢) العفر : الظباء التى يعلو بياضها حمرة   (٣) شدَن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .
(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنترة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدَنٌ لأقضي حاجةَ المُتلوّم

إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامذةً (١) فتقول رنق فوقها نسرُ

أما إذا وضعته عارضةً فتقول أسبل خلفها (٢) سترُ

أخذه من قول أبي دواد « قوادم من نسور مضرجات » وليس بيت أبي دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفُّ أحياناً فتحسبها مترسماً يقتادُه أثرُ

فإذا قصرتَ لها الزمامَ سما فوقَ المقادمِ ماطمٌ حُرُّ

وكأنها مُصغٍ لتُسمِعهُ بعضَ الحديثِ بأذنِهِ وقرُ

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألمن يقصرنَ من نجب مُخَلَّسة ومن عرابٍ بعيدات من الحادى

أي يسبقن الحادى فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذرُ المطيَّ وراءَها فكأنها صفٌّ تقدمهن وهي امامُ

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهمهٍ رمى بها همٌّ إذا نامَ الورَى سرَى بها

فهي أمام الركبِ في ذهابها كسطرِ بسم اللهِ في كتابها

ومن مُصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تاقي الفلاة بخفٍّ لا يفرُّ لها كأنَّ مسقطهُ في تربها طبقُ

وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمها :

كأنا عندَ نهضتهِ رفعنا خباءً فوقَ أطرافِ الرماحِ

---

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامذة» وهي الناقة التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرةٍ كأنّ حجاجها وقبٌ أنافَ بشاهقٍ لم يُحالِ

وكأنّ مسقطها إذا ماعرّست آثارَ مسقطِ ساجدٍ مُتبتلِ

وكأن آثارَ النسوع بدفها مسرى الأساودِ في دهاسٍ أهيل

ويشدّ حاديها بجبلٍ كاملٍ كعسيب نخلٍ خوّصه لم يُنجل

وقال أيضاً :

كأنّ المطايا إذ غدونَ بسحره تركنَ أفاحيصَ القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ماقيل في سمن الابل :

لنا إبلٌ ملءَ الفضاء كأنما حملنَ التلاع الجوّ فوق الحوارك

وقد أحسن القائل في وصف سُرعتهن حيث يقول :

خُوصٌ نواجٍ إذا حثّ الحداةُ بها حسبتَ أرجلها قُدّامَ أيديها

وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخالُ آخرهُ في الشدّ أوّله وفيه عدوٌ وراءَ السبقِ مذخورُ

وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلقٌ من الريح في أشباح ظلمان

كأن أفلاتها والفجرُ يأخذها أفلاتُ صادرةٍ عن قوس حبسان

وقال آخر :

كأنّ يديها حين يجري ضفورها طريدانِ والرجلانِ طالبتا وترِ

ومن بليغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرتُ بها صباح قفرٍ كأنّه يخافُ لحاقاً أو يبادرُ أولا

توارثهُ الايجافُ حتى كأنّهُ لبيس ضنى أعيا الطبيب المعذّلا

ومن بديع ماجاء فى ذلك قول رؤبة بن العجاج [١]

كأن أيديهنّ بالقاع القرقْ ... أيدى المدارى يتعاطين الورق

وقد أحسن أبو الشيص [٢] فى قوله :

وليل يُرْكب الركبا ... نُ فى أمواجه الخضر

توكلتُ على أهوا ... لها بالله والصبر

وأعمال بنات الريـ ... ـح فى المهمهِ القفر

شماليل يصافحنَ ... مُتونَ الصخر بالصخر

بإيجاف يقدُّ الليـ ... ـل عن ناصيةِ الفجر

وقال : لنا هجماتٌ تنثنى سرواتها ... بأسنمة مثل الاكام سوامق

خبطنَ الربيعَ وانتسفنَ نباته ... كامرت الاجلامُ فوق المفارق

بناها بناء البيت جون رواعدٌ ... تجىء على آثار جون بوارق

تدورُ بأحقيها البروقُ وتنثنى ... كأنّ عليها مذهبات مناطق

وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خُضتُ ظلامهُ ... بأزرقَ لماع وأخضر صارم

وطيارة بالرحل صرف كأنما ... تصافح رضراض الحصى بجماجم

وقال : وليلة خبطت من ظلمائها ... بنازح الخطو إذا الخطوُ دنا

قد انبرى يعترف السير بنا ... فى طرق يخبط فيهنّ الهدى

ينهى الوجى [٣] أمثاله عن السرى ... وساعدته ميعةٌ تنهى الوجى

ومن مصيب التشبيه قول الراعى :

فى مَهمه قلقتْ بها هاماتُها ... قلقَ الفؤوس إذا أردْنَ نصولا

---

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعى ، كان معاصراً لأبى نواس ومسلم بن الوليد ، فى شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل المهارى نسلها إذا ترامتْ يدُها ورجلها

حسبتها غيرَى استفزَّ عقلها أنى التى كانت تخافُ بعلها

أى كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياهما غيرى تخاصم وتشير بيديها لا تفتر . وقلتُ :

ومَهمهٍ (١) قلقتْ فيها ركائبنا والليلُ في قلق تسرى ركائبهُ

ركبته فكأنَّ الصبح راكبهُ وجبتهُ فكأن النجم جائبهُ

بكل ذى ميعة جدَّ الوجيف (٢) به فانهدَّ غاربُهُ وانضم حالبه

وبات ينهب جنحَ الليل فى عجل كأنه لاعبٌ طابتْ ملاعبه

حتى بدا الصبحُ مُبيضاً ترائبهُ وأدبرَ الليلُ مخضراً شواربه

وإنما النجحُ فى ليل ترادفهُ إذا تأوَّب أو صبح يواكبه

وساهر الليل في الحاجات نائمه وذاهب المال عند الجد كاسبه

وقال أبو تمـام :

على كلِّ روَّاد (٣) الملاطِ تهدمت عريكته العلياءُ وانضمَّ حالبه

رعته الفيافى بعد ما كان حقبةً رعاها وماءُ الروضِ ينهل ساكبه

وقلت : واستنهضتكَ الى المآثر والعلا هممٌ تخال زهاؤهنَّ جبـالا

أردفتهن عزائماً فكأنما أردفتَ مُرهفة النصالِ نصالا

حملتها قلص الركابِ كأنهـا قلص النعام إذا ابتعن رئالا

مهروبة الرى السفاد بنحضها فتخالهـا تحت الرحال رحالا

وقال مسلم :

اليك أمـين الله رامت بنا السرى بنات الفيافى كل مرتٍ وفدفد (٤)

أخذْن السرى أخذَ العنيفِ وأسرعَتْ خُطاها بها والنجمُ حيران مهتدى

---

(١) المهمه : المفازة . (٢) . الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .

(٣) فى ديوان أبى تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المفازة .

لبسن الدجى حتى نفضت وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدلو باليد
وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسي عثنونه زبداً فتصيلاه الى نحره[1]
ثم يعتم الحجاج[2] به كاعتمام النوف في عشره
ثم تذروه الرياح كما طار قطن الندف عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله فى هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه على كل خيشوم كريم المحطم[3]

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مدلة بعيد الشباب حاولت أن تعذرا
من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعت فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا
بها شرف من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بل الدموع خمارها أبت عفتى أو منصبى أن أعيرا
كأن بذفراها مناديل فارقت أكف رجال يعصرون الصنوبرا

وقال الراجز : كأنها نائحة ترجع تبكى بشجو وسواها الموجع
وهو نحو قول الراجز ٥ حسبتها غيرى استفز عقلها ٥ ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت حلائل من عفر
سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شىء يفرى باليدين كما تفرى

فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعات تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد تسكنهما . وقال أبو تمام :

---

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج : العظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبى نواس (نبيل المحطم) ونفحن حركن ، واللغام : الزبد ، والمحطم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتي إذا كان الصلاء بها ... جمر القضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها ... والهادياتك وهي الشرّدُ الضُّلل

وقال البحتري :

والعيس تنصلُ من دجاهُ كما انجلى ... صبغ الشباب على القذال الاشيب

وقال ابن المعتز :

ولم نزَلْ نخبطُ الفلاةَ بأخـفافِ المطايا والظِّلُّ مُعتدِلُ
كأنّنا طارَ تحتنا قزعٌ ... على أكفِّ الرياح ينتقل
يفري بطونَ النقا النقى كما ... يطعنُ بيضَ الجوانح الاسلُ

وقال في الناقة :

تُصغي الى أمرِ الزّمامِ كما ... عطفتْ يدُ الجاني ذرى الغصن

وقال في لقاح :

حواملُ شحم جامدٍ فوقَ أظهرٍ ... وانْ تستفث ضراتهنّ به ذابا
اذا ماسكاه الدرجات بشخب ... كما سُلّ خيطٌ من سدى الثوب فانسابا

وهذا في دقة الشخب [1] حسنٌ جداً :

رأيت انهمارَ الدرّ فوقَ فروجها ... كما عصرت أيدي الغواسل أثوابا
خوازن نحضٍ في الجلود كأنها ... تحمل كثباناً من الرّمل أصلابا

وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداءَ عن رَجُـل ... يخطمُ الريـح بثعبان

وقال : وقفتُ بها عيسى تطير بزجرها ... ويأمرُها وحيُ الزّمامِ فترقلُ
طلوباً برجليها يديها كما اقتضتْ ... يدُ الخصم حقاً عند آخر يمطلُ

وقال بعض العرب :

تطـير مناسمها بالحصى ... كما نقدَ الدرْهمَ الصيرف

---

(١) الشخب ويضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ماقيل فى تقدم الناقة صواحبها[1] فى السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد مَلَّ ثَواه البحرينْ يَنْسلُّ منهنَّ اذا تدانينْ

مِثلَ انسلال الماءِ من جَفنِ العينْ

وأبلغ ماقيل فى غزر الناقة قول أبى حيّة :

تدرُّ للعصفورِ لو مراها يملأُ مسك الفيلِ لو أتاها

ومن جيد ماوصفَ به سعة الاخلاف قول ابن لجا :

كأنّما نصّتْ الى ضرّاتها من نخرِ الطلح مُجَوّفاتها

وقال مُسلم بنُ الوليد في غير هـذا المعنى :

أتتك المطايا تهتدى بمطيّةٍ عليها فتى كالنصلِ يؤنسهُ النصلُ

وقال أبو نواس :

أياحبذا عيشُ الوجادِ وضجعة الى دف مقلاقِ الوضين سَعومِ

ترامى بها الايجافُ[2] حتى كأنها تحيّفُ من أقطارها بقدوم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو قال سمعت جندل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بُردة :

نعوسٌ اذا درّت جرورٌ إذا غدت بُويزل عام أوسديسٌ كبازل

قال فكاد صدرى ينفرجُ من جودتها حتى كتبتها . ودَرّةُ الابل مع النعاس والغنمُ تدر مع الاحتراس فمن أجود ماقيل فى ذلك قول جبيها الأشجعى :

رقودٌ لوأنّ الدّفّ يُضرَبُ تحتها لتنحاشَ من قاذوره لم تنا كر

أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة اذا كان يتجنب النساء ويتقى مجامعتهنّ .

ومن الوصف الحسن قول القطامى فى نوق :

جِفادٌ اذا صافتْ هضابٌ اذا شَتتْ وفى الصيفِ يَرْدُدْنَ المياه الى العشر

يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها فى أيام الربيع والقيظ وهي فى الشتاء كالهضاب

---

(١) فى الاصل «حواجبها» . (٢) فى ديوان أبى نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً واذا شربت فى اليوم العاشر التفت فى مثله وفى كروشها بقية من الماء .

وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشترى كيف لبنها ؟ قال احلب فى أى اناء شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على الحائط ماشئت ؛ قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير شيئاً مما زوّجه بصفة شريح فعاد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك قال فأقلنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها　　تحنُّ أولاها على أخراها

مشى العروس قصرتْ خُطاها　　فاصطعتِ القيعانُ من رغاها

واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فابيضت القيعان منها والرغا جمعُ رغوة ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمتها قول أبى دُؤاد :

فاذا أقبلتْ تقولُ اكامٌ　　مشرفاتٌ فوقَ الأكام اكامُ

وإذا أعرضتْ تقولُ قصورٌ　　من سماهيج فوقها آطامُ

وإذا مافجيتها بطن غيبٍ　　قلت نخلٌ قد حانَ منه صرامُ

الغيب ماواراك من الشجر ، وسماهيج أرضٌ بالبحرين .

« الفصل الثالث »

فى ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ماقيل فى صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومَهمه فيه السرابُ يلمحُ　　يدأبُ فيه القومُ حتى يطلحوا

ثم يظلونَ كأنلم يبرحوا　　كأنما أمسوا بحيثُ أصبحوا

وقال رؤبةُ بن العجاج * يَسكلُ وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شراً * ويسبقُ وفد الريح من حيثُ ينتحي * وقال مُسلم بن الوليد :

تجرى الرياحُ بهامرضى مولهةً   حسرى تلوذُ بأطراف الجلاميد

قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست في بيت رُؤبةَ . ويشبهون استواء الفلاة باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمهٍ كمثل ظهر الترس *

وأحسنَ ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :

ودَوٍّ ككفّ المشترى غيرَ أنهُ   بساطٌ لأخماس المراسيل واسع

شبهه بكف المشترى لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشترى يبسط كفه للصفق . وقلت في نحوه :

وبحرٍ ككفّ الأكرمين تَجفهُ   صَعيدٌ كأيدي السائلينَ مديد

وقال بعضُ المحدثين :

ودَوِّيةٍ مثل السماء قطعتها   مطوقة آفاقها بسمائها

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الاعراب :

كفى حزَناً أني تطاللتُ كي أرى   ذرَى علمى دَمخ فما يُريان

كأنهما والآلُ ينجابُ عنهما   من البعد عينا بُرقع خلقان

وهذا من أغرب ما رُوي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :

ألا ليتكما أعلامُ بثنةَ قد بدَتْ   كأنَّ ذراها عممته سبيب

طوامس لى من دُونهن عداوةٌ   ولى من وراء الطامسات حبيبُ

بعيدٌ على كسلانَ أو ذى ملالةٍ   وأما على ذى حاجةٍ فقريب

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآلُ ينزو بالصوى أمواجه   نزو القطا الكدرىّ في الاشراك

والظلُّ مقرونٌ بكلّ مطيةٍ   مشى المهار الدُّهم بين رماك

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* وانتعل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

اذا شئت أدّانى صروم مُشيّع   معى وعقام تتّقى الفحل مُقلت

يطوف بها من جانبيها ويتّقى   بها الشمس حىّ فى الاكارع ميت

أدانى : أعانى ، صروم : أى صارم ، مُشيّع : شجاع كأنّ معه أصحاباً يُشيعونه فهو جرىء يعنى قلبه ، العقام : التى لاتلد فذاك أشد لها يعنى ناقة ، والمقلت : التى لا يبقى لها ولد ، وحىّ فى الاكارع ميت : يعنى ظلا قد ضارع عند انتصاف النهار . ومن بديع ماقيل فى السراب قول ابن المعتز :

وما راعنى بالبين إلا ظعائن   دعون بكائى فاستجابت سواكبه

بدت فى بياض الآل والبعدُ دونه   كأسطر رقٍ أمرضَ الخط كاتبه

ولهم في وصف الاسفار فى البحار شعر قليل فمن أجود ماوصف به الموج قول الهذلى :
* نعاج يرتمين الى نعاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقول وقد مالت بنا نشوة الكرى   نعاساً ومن يعلق سُرى الليل يكسل

أنخ نعطِ انضاء النعاسِ دواءها   قليلاً ورفّه عن قلائص ذبّل

فقلت له كيف الاناخة بعد ما   حدا الليل عريان الطريقة مُنجلى

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عودٍ خلق   كأنه والليل يرمى بالغسق

مشاجبٌ وفلقُ سقبٍ وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسن ، على عود خلق أى طريق قديم دارس فكأنه يريد كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوط من سواد وبلق   كأنه فى الجلد توليع البهق

أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمود من عمد

الحباء ، وشبّه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريبٌ منه قول الآخر :

عودٌ على عَودٍ قوود للابل يموتُ بالترك ويحيا بالعمل

عَودٌ : بعير ، على عود يعني طريقا ، يموت بالترك : يعني الطريق يدرس اذا لم يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر :

فأصبحنَ بالموماةِ يحملنَ فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العمائم

كأن الكرى سقاهمُ صرخديّةً عُقاراً تمشى فى المطا (١) والقوائم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :

كأن يديها وقد أرقلت وقد جرنَ ثم اهتدينَ السبيلا

يدا سابحٍ خرَّ فى غمرةٍ فأدركهُ الموتُ إلا قليلا

ومما يجرى مع ذلك قول الاعرابي :

بدأن بنا وابن الليالى كأنّهُ حُسامٌ جلا عنه القيون صقيل

فما زلتُ أفنى كلَّ يوم شبابَهُ الى أن أتتك العيسُ وهو ضَئيل

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد ومايجرى مع ذلك)

فمن أجود ماقيل في وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :

يبدو وتضمرهُ البلادُ كأنّهُ سيفٌ على شرف يُسَلُّ ويغمد

وقد أحسن عديّ بن الرقاع (٢) في وصف ثورين ومايثيران في عدوهما من الغبار وهو

يتعاوران من الغبارِ مُلاءة بيضاءَ مُحدثةً هما نسجاها

---

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مَكاناً جاسيا ... وإذا السنابك أسهلت نشراها

لاأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنَّ كأن إبرة روقه ... قلمٌ أصاب من الدواة مدادها

وقد أحسن الراعى فى وصف الوعل :

يرودُ بها ذبّ الرياد كأنه ... فتىً فارسىٌّ فى سراويل رامح

ذبّ الرياد أى (١) الوعل ، ويرود يجيء ويذهب ، شبّه ما على قوائمه من الشعر بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاوٍ من الوحش ناشطٍ ... تخالُ قرون الأجل من خلفه غابا

الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحا جآذر رملة ... تتلو أنها كاللؤلؤ المتبدد

قد أطلعت إبر القرون كأنها ... أخذ المراود من سحيق الأثمد

وقال ابن المعتز :

شغلته لواقحٌ ملأته ... غيرةً فهو خلفهن كمىٌّ

قابضٌ جمعها اليه كما يجـ ... ـمع أيتامه اليه الوصىُّ

كلما شمّ لاقحا سىء منها ... رأس فحل برجلها معلىٌّ

خارجٌ من ظلال نقع كما مـز ... ق جلبابه الخليعُ الغوىُّ

قد طواها التسويق والشدحتى ... هى قبٌّ كأنهن القسىُّ

هربت فى رؤوسهن عيونٌ ... غائراتٌ كأنهن الركىُّ

وقال أيضاً: كأن آثارَ أظلافِ الظباء به ... ودعٌ يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ماقيل فى الكلب وبليغه قول أبى نواس :

كأن لحييه على افترار (٢) ... شك مسامير على طوار

---

(١) فى الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبى نواس « لدى افتراره » .

طواره : نواحيه .

سمعٌ[١] إذا استروح لمِعساره إلا بأن يطلقَ من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مُوهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره[٢] خرق أذنيه شبا أظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخدى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ شُبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بحد المخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى من سعة جلده يميس منكبه. ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ فى قنابهِ موسى صناع رُدَّ فى نصابهِ
تراه في الحضرِ إذا هاهابه يكادُ أن يخرجَ من اهابهِ

أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يُزجيها على شياتها شمّ العراقيب مُؤنفاتها
مفروشة الأيدى شمر نبثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها[٣]
أنشأ الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب فى وفاتها

وقال ابن المعتز فى سعة أشداق الكلاب :

---

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) فى ديوان أبى نواس (حتى إذا أخصف فى احضاره) . (٣) فى الأصل « زل المساخير ممكساتها »

كأنها في حلقِ الأطواقِ ضواحك من سمة الأشداق

وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس * كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ماقيل في شدة العدو قول الآخر في الثور:

وكأنما جهدت أليته ان لا تمسَّ الأرضَ أربعهُ

ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادرُ الناظر وهو يبدُرُهُ كأنَّ من يُبصرُهُ لا يبصرُهُ

وقال الأصمعي وأحسن ماقيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

ترى طرفيهِ ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عُودُ النبعةِ المتتابعُ

ينامُ باحدى مُقلتيهِ ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصهُ غبارُهُ في فمهِ شفرتهُ ونارُهُ

هو الخبيث (١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه عن أبي عمرو قال : رأيتُ باليمن غلاماً من جَرْم ينشدُ عنزاً فقلت له صفها ياغلام فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنمتيها ثتوا قلنسوة يالها أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثر شعرها ، والعثرة غبرة كدرةٌ ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحمرة ، والدبسة حمرةٌ كدرةٌ ، والسجحاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين المضطربتهما ، والفقساء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصورُ : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث عينه فراره : تعرف الخبث في عينه إذا أبصرته » . وفي النسخ « عيبه » بالباء وهو تصحيف .

والزنمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة [١] ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره ... وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذنب مثل الشواء يمده ... ومتن كمتن القوس أعوج منآد
طواه الطوى حتى استمر مريره ... فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضقض عصلا في أسرتها الردى ... كقضقضة المقرور أرعده البرد
عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأتبعته أخرى وأضلات نصله ... بحيث تأوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره في الفيل :

أجرد كالعود طويل النابين ... بعيد ما بين محط الرجلين
ينفض أذنين كفضلي بردين

وقال ابن الرومي فيه :

ولأعصل النابين حامل مخطم ... به حجن طوراً وطوراً به فمم
يقلب جثماناً عظيماً موثقاً ... يهد بركنيه الجبال اذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره ... ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه ... إذا أعمل النابين في الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

في ذكر الطيور

مما جاء من منثور الكلام في وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين عاجى

---

(١) قال المحبي في جنى الجنتين في تمييز المثنيين « الزنمتان هنتان تكون للمعز في حلوقها ، فان كانتا في الأذنين فهما زنمتان بالنون » ولم يخصص في القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين [١] سبجي الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافى والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أُريد حرمي الطرق عاجى المنقار أغنّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق قرطاسىّ الدفتين سبجي الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أوشربتا عندماً وكأن عينيه جمرة ورأسه زُبدة . وقال في حمام أبلق :

وُمتفقات الشكل مُختلفاته ... لبسنَ ظلاماً بالصباح مرقّما
أخذنَ من الكافور أنفاً ومنسراً ... وخضبن بالحناءِ كفاً وأصبعا
وتدنو بأبصارٍ إذا ما أدرتها ... تجلونَ عقيقاً للعيونِ مرصعا
تطيرُ بأمثال الجلام كأنها ... جنادلُ تدحوها ثلاثاً وأربعا
تبوع [٢] بها في الجوّ من غير فترة ... كأنّ مجاذيفاً تبوعُ بها معا
إذا هيَ عبّت فى الغديرِ حسبتها ... ترقُّ فراخاً فى المغادر جُوّعا

وقال بعضهم فى عين المقمق :

يُقَلّبُ عينين في رأسهِ ... كأنهما نقطتا زئبق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كأن الديكَ ديكُ بنى نميرٍ ... أميرِ المؤمنين على السرير

والناس يستحسنون قول ابن المعتز فى الديك :

---

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره ـ كما فى جنى الجنتين المحبي .
(٢) أي تسرع .

صفّق إما ارتياحة لسنى الصبح وإما على الدجى أسفا

وقال ديك الجن :

أوفى بصبغ أبي قابوس مفرقهُ كدرّة التاج لما عُلّيت شرفا

وقوله « صبغ أبي قابوس » يعني شقائق النعمان ، وهذا كلام بعيدُ المتناول ظاهر التكلف . وقلتُ فيه :

مُتوّجٌ بعقيق مقرطٌ بلجين عليه قرطقُ وشيٍ مُشمّرُ الكفين

قد زيّن النحر منه ثنتان كالوردتين حتى إذا الصبحُ يبدو مُطرّزُ الطرتين

دعا دُعاءَ طروبٍ مُصفق الكفين يزهى بتاج وطوقٍ كأنه ذو رعين

وقال السرى الرفاء :

كشفَ الصباحُ قناعَهُ فتألقا وسطا على الليل البهيم فأطرقا

وعلا فبشرَ بالصباح مُدرّجٌ بالوشى تُوّج بالعقيق وطُوّقا

مُرخى فضول التاج في لَبّاته ومُشمر ثوباً عليه منمقا

وقال ابن المعتز :

وقامَ فوقَ الجدار مُشترفٌ كمثل طرف أعلاهُ أسوارُ

رافعُ رأسٍ طوراً وخافضهُ كأنما العرفُ منه منشار

ومن أجود ما قيل في وصف النعام قول عدّى بن زيد :

ومكانٍ زعلٍ ظلمانهُ كرجالِ الحبُشِ تمشي بالعمد

فقال شبّه أعناقها إذا مدت بالعمد . ومن أحسن تشبيه أخذه المعانى :

كأنها حين مدت عنقها حرقا سُودُ الرجالِ تعادى بالمزاريق

وكان ينبغي أن يقول « مدت أعناقها » والذى قال رديءٌ ، وقد جاء مثله .

وقال ابن أبي عيينة :

ياجنةً فاتت الجنانَ فما تبلغها قيمةٌ ولا ثمن

ألفتُها فاتخذتُها وطناً إنّ فؤادى لحبها وطن

أنظر وفكر فيما تطيف به ... إن الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة ... ومن نعام كأنها سفن

ومثله قوله :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي ... وحبذا أهله من حاضر بادي
ترقى قراقيره والعيس واقفة ... والضب والنون[1] والملاح والحادي

وقول الآخر :

كأن بالسهب على خربائه ... عرشاً يجر الريح في قصبائه
يضحك جن الأرض من نحائه ... كأن قوس الغيم من ورائه

يعني الغبار المنعرج خلفه . وقلت في فاختة :

مررت بعطراب الغداة كأنها ... تمل مع الاشراق راحاً مفلفلا

ويروى « تمل رحيقاً في الغصون مفلفلا » :

منمرة كدراء تحسب أنها ... تجلل من جلد السحابة مفصلا
بدت تجتلي للعين طوقاً ممسكا ... وطرفاً كما ترنو الخريدة أكحلا
لها ذنب وافى الجوانب مثل ما ... تقشر طلعاً أو تجرد منصلا
اذا حلقت في الجو خلت جناحها ... يرد صفيراً أو يحرك جلجلا

وقال أبو نواس في حباريات :

يخطرن من برانس قشوب ... من حبر حوابين بالتذهيب
فهن أمثال النصارى الشيب

وقلت في قبجة[2] :

أهديتها كالهدى آنسة ... وهي سليل النواشز النفر
تلبس محمورة مشمرة ... تصون أطرافها من العفر
وقد جرى المسك من محاجرها ... فضم لباتها مع الثغر

---

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

تخطرُ فى حــلةٍ مُصَنْدرةٍ كأنَّ أكمامها من الحِبر
واحمرّ منقارُها ومنحرها تفتُّح الوردِ فى ندى السحر
كأنّها حــينَ نقط قرطمها تضربُ ياقوتةٌ على دُرَرِ

وقال أبو نواس فى طير الماء :

كأنما يصفرنَ من ملاعق صرصرة الاقلام فى المهارق

ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

يصفرُ أحياناً إذا لم يهزج من مثل حرفِ المجدح المفنج

المجدح : مايجدح به السويق ، والمفنج : المعطف .

وأحسن ماشُبِّهَ به ذلك قول بعض الاعراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

يضربنَ أحناكاً إلى الماءِ كلها لبيقٌ كمفروج المناقيش أسجح

لبيقٌ : أي رفيق بذلك حاذق به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ، والمفروج : المفتوح مابينه . وقلتُ فى الخُطاف :

وزائرة فى كلّ عامٍ تزورنا فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها
تخبرُ (١) أنّ الجوّ رَقَّ قميصهُ وأنّ الرّياضَ قد توشّى ازارها
وأنّ وُجوهَ الغُدرِ راقَ بياضها وأنّ وجوهَ الارضِ راعَ اخضرارها
تحنُّ الينا وهى من غيرِ شكلنا فتدنو على بُعد من الشكل دارها
فيعجبنا وسطَ العراصِ وقوعُها ويُؤنسنا بينَ الديارِ مطارُها
أغار على ضوءِ الصباح قميصها وفازَ بألوانِ الليالى خِمارُها
تصيحُ كما صرّت نعالُ عرائس تمشت اليها هندها ونوارها
تجاورُنا حتى تشبّ صغارُها وتقضى لباناتِ النفوسِ كبارُها

ولم أسمع فى ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبــة حنّتْ الى أوطانها جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبــل

---

(١) فى النسخ مهملة من النقط .

فرشت جناح الآبنوس وسطرت ... بالعاج فيه وقهقهت بالصندل

وقالت فى أصواتها :

أيا عجباً من آنس لك نافر ... يعاود وصلاً وهو فى حال هاجر
يزور على بعد المكان ولم يرد ... وصالاً فقل فى زائر غير زائر
له فى الذرى شذر يمر ويلتقى ... كما حرك الكعبين كف مقامر

وهذا معنى لم أسبق اليه . وقال أبو نواس فى أصوات الخطاف :

كأن أصواتها في الجو طائرة ... صوت الجلام إذا ماقصت الشعرا

وقال ابن المعتز فى البازى :

فارس كف مائل كالأسوار ... ذو جؤجؤ مثل الرخام المرمار
أو مصحف منمنم بأسطار ... ومقلة صفراء مثل الدينار
يرفع جفناً مثل حرف الزنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل فى منسر البازى قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخا ... كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازى وأجاد فيه :

ومقلة تصدقه إذا رمق ... كأنها نرجسة بلا ورق

وقال أبو نواس :

في هامة علياء تهدى[1] منسراً ... كعطفة الجيم بكف أعسرا

وقال ابن المعتز فى بزاة :

وفتيان غدوا والليل داج ... وضوء الصبح متهم الطلوع
كأن بزاتهم أمراء جيش ... على أكتافها صدأ الدروع

وقال فى عين البازى * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

---

(١) فى الأصل « غلباء تهدى » .

وقال أيضاً : ومنسر عضب الشباه دام كمقدك الحسين بالابهام
وخافق للصيد ذى اصطلام ينشره للنهض والاقدام
كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً : ذى جؤجؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كأنها دينار صيرفى واتصلت براته القوهى
صاف كغصن الذهب المجلى

وقال أيضاً : أقمر من ضرب بزاة قمر يصقل حملاقاً شديد الطحر
كأنه مكتحل متبر فى هامة لمت كلم الفقر
تربح ان راح لأمر بهر من منخر رحب كعقد العشر

وقلت في الصقر :

وصلتان فلتان أحمر كأنه إذا هوى للأعفر
معذبر يهوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقمر
منمنم الصدر كصدر الدفتر يمثل اهداب جفون الاحور

وقلت : بصلتان سلط جسور تخاله فى مفصل مزرور
ضم جناحيه على سمور مموج المنسر والأظفور
كالجيم فى منقطع السطور

وقلت فى عصفورة يقال لها السقا :

ومفتنة الألوان بيض وجوهها وحمر تراقيها وصفر جنوبها
كأن درابعاً عليها قصيرة مرقمة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغانى كأنما تعدل أوزان الأغانى عريبها
تسام استقاء فى المشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الأصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح فى صفة الظليم مجتاب . وقلت في بلابل :

مررتُ بدكّن القمص سودِ المآثم نفى على أعرافِ غيدٍ نواعم
زُهينَ بأصداغ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضادِ أسود فاحم
ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ مآخر لها ولجيناً بطنه بالمقادم
فياحسنَ خلق من نضارٍ وفضة وخز وديباج أحمّ وقائم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزى قال قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الأصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا أحسن ماقيل في وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشيء فقال الأصمعي أحسن ماقيل فيها:

باتتْ يورّقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلس الأقواتَ من فيها

وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى

فقال الرشيدُ مابعل(1) القوم بشيء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .

وقال آخر في الغُراب :

وجرى ببينهم غداةَ تحملوا من ذى الأبارقِ شاحجٌ يتفند
شنج النسا خرقُ الجناح تخالهُ في الدارِ إثر الظاعنينَ مُقيَّد

وقال آخر في عقعق :

إذا باركَ اللهُ في طائرٍ فلا باركَ اللهُ في عقعق
طويل الذنابى قصير الجنا ح متى مايجد غفلةً يسرق
يُقلّب عينينِ في رأسهِ كأنهما قطرتا زئبق

وقال آخر في الزنابير :

لها حماةٌ كأنها شعر تظهرُ مسوَدّةً وتستترُ
قد أذهبت في الجبينِ غرّته إذ فضّضت في جيادنا الغرَر

وقلت في ظبية داجنة وقمارى :

---

(1) بعل بأمره كفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر مايصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ   تومى بناظرها إلى ظمياء
تختالُ فى متصندلٍ متكفر   تبراً أضرَّ بفضةٍ بيضاء
ودقيقة الأطرافِ وهى جسيمةٌ   ريّا تمرمر فى متونِ ظماء
ومغنيات من وراءِ ستائرٍ   مشقوقة الأوساط والاحناء
غنّتْ فلم تحوج إلى مشهورة   وشدتْ فلم تفقر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهن أهلةٌ   سودٌ تبدل ظلمة بضياءِ

« الفصل السادس من الباب العاشر »

(فى ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث وما يجرى مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم فى وصف قنفذ : قد أتحفتك ياسيدى بعلق نفيس يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر فى أوصافه ويتبلد المعتبر في آياته فما تعرف بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حى سلاحه فى حضنه ورام سهامه فى ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط أكنافه وهى أمضى من الأجل وأرمى من ثعل ان رأته الأراقم رأت حينها أو عاينته الأساود عاينت حتفها صعلوك ليل لايحجم عن دامسه وحارس ظلام لايجبن فى حنادسه — شعر :

كقشعم الفتيان غير مهبل   سهد إذا مانام ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدلدل سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حثاثا بات بليلة الأنقد ، وذكره الشيهم وهو الشيظم وأنثاه عيمة معرفة لا يدخل الألف واللام عليها كنحوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفس ما كلها وأفخر مطاعمها حتى تراه أرفع من الأفاعي وأنفع من الجرذان وتدعي جهلة الاعراب انه من مراكب الشيطان وهو ألطف من الفرس حساً وأصدق سمعاً وقد جاء في المثل (أسمع من قنفذ) ومن أوابده أنه يسود إذاهرم ويصير كأثر مايكون من الكلاب وأعظم ويشبه به ركب المرأة عقب النتف والنورة ولذلك قال ابن طارق في أرجوزة له :

بصير بعد حلقه ونورته ... كقنفذ القف اختبي في فروته

ويشبه الساعي والنمام به لخبثه ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :

كقنفذ الرمل لاتخفى مدارجه ... يخب إذا نام ليل الناس لم ينم

وقال عبدة بن الطبيب (١) :

قوم إذا دمس الظلام عليهم ... حدجوا قنافذ بالنميمة تمزع

وقال جرير :

يدبون حول ركياتهم ... دبيب القنافذ في المرفج

فخذه ياسيدي ممتعاً واقبله شاكراً برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوي الاصفهاني قال فيها :

أرقت مقلتي لحب عروس ... طفلة في الملاح غير شموس
فتنتني بظلمة وضياء ... إذ بدت لي كالعاج في الابنوس

---

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقّ الظـلامَ من مُقلتيها بشعاع يحكى شُعاعَ الشموس
ذات دَلّ قصـيرة كلما قا مت تهادى طويلة فى الجلوس
لم تزل تسبغُ الوضوءَ وتنقى كلَّ عضولها من التنجيسِ
دأبها ساعةَ الطهارةِ دفنُ الـعنبرِ الرّطبِ فى الخنوط اليبيس

ومن أجود ماقيل فى الحيّة قول النابغة :

صِلٌّ صفا لاينطوى من القصَرْ طويلةُ الاطرافِ من غيرِ خَفَرْ
مهروتةُ الشدقينِ[1] حولاءُ النظَرْ تفترُّ عن عُوجٍ حِداد كالابَر
داهية قد صغرت من الـكبر

وقال الآخر : خُلقتلهازمة عرين ورأسهُ كالقرص فطح من دقيق شعير
فكأنَّ شـدقيه إذا استعرضته شدقا عجوز مضمضت لطهور

وأجاد خلف فى قوله :

ثم أتى بحيّةٍ مانعجى أبتر مثل بيذق الشطرنج

وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنني ساورتنى يومَ بينهم رقشاءُ مجدولة فى لونها بلق
كأنها حين تبدو من مكامنها غصنٌ تفتح فيه النورُ والورق
ينسل منها لسانٌ تستغيثُ به كما تعوّذَ بالسّبابةِ الفَرِقُ

وقوله أيضاً :

أنعتُ رقشاء لايحيى لديغتها لو قدها السيف لم يعلق به بللُ
تلق إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كُمُّ درع قـدّهُ بطل

وقلت : وخفيفة الحركاتِ تقترع الربى كالـبرقِ يلمعُ فى الغمام الرائح
منقوطة تحكى بطونَ صحائف ابانَ تبـدو من بطونِ صفائح
ترضى من الدنيا بظلّ صخيرةٍ ومن المعايش باشتمام روائح

---

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعم واكتفت بالنسيم .

وقال اعرابى :

وحنش كحلقة السوار غايته شبر من الاشبار
كأنه قضيب ماء جارى يفتر عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيته سواه

وقال أبو العباس ثعلب يقال انه لم يسمع فى صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

وقال عبد الصمد بن المعدل فى العقرب :

يارب ذى إفك كثير خدعه يبرز كالقرنين حين يطلعه
فى مثل ظهر السبت حين تلطمه أسود كالسبحة فيه مصبعه
لا تصنع الرقشاء مالا تصنعه

وقالت فيها أيضاً :

وإذا شتوت أمنت لسعة عقرب كالنار طارت من زناد القادح
قد خلتها تمشى بسبحة عابد كلا لقد تمشى بصعدة رامح

وقال آخر : يحمل رمحاً ذا كعوب مشتهر فيه سنان كالحريق يستعر
انف تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنف القوس شدت بالوتر

ومن أحسن ماقيل فى الحرباء وهى دويبة شبيهة بالمظاة تأتى شجرة بالتنضبة فتمسك بيديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها فكلما زالت عين الشمس عن ساق منها خلت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح فى الأرض وترتع قال أبو دواد :

إنى أتيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزم من الحرباء لانها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشبه به الرجلُ الحصيف [1] الذي لا يترك سبباً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة ورقيبها :

مابالها قـد حسنت ورقيبها   أبداً قبيح قبّح الرقبـاء
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى   أبداً يكونُ رقيبها الحرباء

وقال بعض العلمـاء : الحرباء فارسيّة معرّبة وأصلها خورباء أي حافظ الشمس ، وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرُّمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودَوّيّة جرداء جدّاء خيّمت   بها صبواتُ الصيفِ من كل جانب
كأنّ يدى حربائها متشمساً   يدا مُذنب يستغفرُ اللهَ تائب

وقال أيضا : وقد جعل الحرباء يصفرّ لونهُ   ويخضرّ من حرّ الهجير غباغبه

ويسبح بالكفين سبحاً كأنـه   أخو فجره أوفى به الجذع صالبه

وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس ماثلا   على الجـدل إلا أنه لا يكبّر

إذا حوّل الظلّ العشيُّ رأيتـه   حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّر

وهذه تشبيهات مصيبة عجيبةُ الاصابة دالّة على شدة الحذق وثقوب الذهن ، وقد أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمهٍ فيـه بيضاتُ القطا كِسرا   كأنها فى الأفاحيصِ القواريرُ
كأنّ حربائها والشمسُ تصهره   صال لنا من لهيب النار مقرور

وهذا تشبيه مصيب أيضاً إلا أنّ للأول مزية وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ماقيل فى الضب قول الحمانى :

ترى ضبّها متسماً رأسه   كما مدّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثـل بردِ الوشيّ   وبطنٌ كما حسر الاصلع
هـو الضبُّ مامدّ سكانه   فاذ ضمّه فهو الضفدع

ومن أجود ماقيل فى البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

---

(١) فى نسخة « الخصيف » وفى أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ماأثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتْ أصواتها   وأخذَ اللحنَ مُغنياتها
لم تُطرب السامع خافضاتها   وأرّقَ العينين رافعاتها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها   يقصر عن بُغيتها بُغاتها
ولا يصيب أبداً رُماتها   رامحة خرطومها قناتها

وقال آخر : * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بليلٍ كله لم أطرفِ   قَرقسهُ (١) كالزبير المنتّف
يثقبُ الجلدَ وراء المطرفِ   حتى ترى فيه كشكل المصحف
أو مثل روس العصفر المندّف

وقلت : غناءٌ يسخن العينَ   وينفي فَرَحَ القلبِ
ولا يأتي على الزمرِ   ولا يجرى مع الضرب
غناء البقّ بالليلِ   ينافي طربَ الشرب
إذا ماطرقَ المرء   جرى في طلق الكرب
نحيفٌ راح كالشنّ   ولكن بات كالوطب
إذا ماثقبَ الجلدَ   ةَ أخفى موضعَ الثقب
سوى حمرٍ خفياتٍ   تحاكي نقطَ الكتب

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول عنترة في الذباب فانه لم يتعرض (٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغني وحدهُ   زجلاً كفعل الشاربِ المترنم
هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعهِ   فعلَ المكبّ على الزنادِ الأجذم

وقلت : وبدا فغناني البعوضُ مُطرباً   فهرقتُ كأس النوم إذ غناني
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي   نقطَ المعلم مُشكلَ القرآن
حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعه   قرأتْ لي الذبّانُ بالالحان

---

(١) القرقس بالكسر : البعوض .   (٢) في الاصل «لاتعرض» .

وكتب أبو القسم الآمدي : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام ساباط وحسبك أبدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ كان يخلفني ويخلف من كان يلي الديوان قبلي يُعرَف بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلتَ هذا نوح النبي ﷺ سمتاً ووقاراً وليس له عمل خلف ستّه إلا صيد الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرّ به ذبابٌ يطير عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكر وهذا أنثى وهذا ربيعي وهذا صيفي وهذا مليح وهذا لجوج يسقط على العين والأنف ويُطرد فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلسّاع وهذا يقع على الأقذار وهذا نزه عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق ـ وهو العنكبوت الطويل الأرجل ـ وهذا يسفد وهو يطير وهذا لا يسفد إلا واقفاً وهذا مما يدخل رأسه في رؤوس الذبان السبعة التي تقع في الاكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه في كحل عمي من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزج معن وهذا صموت وهذا يُنذِر وهذا يُبشّر بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يَعِدُ ويُوعِدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسنا فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر في باب الذُباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هُناك ففاتحته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته في معرفة الذُباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ماقيل في البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيالعباد الله ما لقبيلةٍ إذا ظهرت في الأرضِ شدّ مُغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هي تنتهي ولا ذو سلاح من مَعدٍّ يضيرُها

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرّيّ طيبُ بلادهم وأنّ أميرَ الرّيّ يحيي بنُ خالدِ

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاقرت ... براغيثها من بينِ مثنى وواحدِ
ديازجةٌ سودُ الجلودِ كأنّها ... بغالُ بريدٍ أرسلتْ في المزاود

وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصري ... كأنَّ جفنيَّ عن عيني قصيران
يطلبنَ مني ثأراً لستُ أعرفهُ ... إلا عداوة سودانٍ لبيضان

وقد شكاهن الرماح الأسدي فأحسن في قوله:

تطاولَ بالفسطاط ليلي ولم يكن ... بحنو الغضا ليلي عليَّ يطولُ
يؤرقني حُدبٌ صغارٌ أذلةٌ ... وانَّ الذي يؤذينهُ لذليلُ
إذا ماقتلناهنَّ أضعفنَ كثرةً ... علينا ولا ينعى لهنَّ قتيلُ
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وليس لبرغوثٍ إليَّ سبيلُ

وقال ابن المعتز:

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمي ... خلت في كلِّ موضع منهُ خالا

وأما القمل فأعجب ماقيل فيه قول بعضهم:

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ ... من بين مقتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنَّ إذا علونَ قميصَهُ ... فذٌّ وتوأمُ سمسمٍ مقشورِ

وقد أبدع جرير في قوله:

ترى الصيبانَ عاكفةً عليهِ ... كمنفقة الفرزدقِ حين شابا

وقلتُ في النمل:

وحيٍّ أناخوا بالمنازلِ باللوى ... فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدّارِ ظاتْ كأنّها ... تبدّدُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذا طرقوا قِدري مع الليلِ أصبحت ... بواطنها مثلَ الظواهرِ جُونا
لهم نظرةٌ يُمنى ويُسرى إذا مشوا ... كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كمينا
ويمشون صفاً في الديارِ كأنّما ... يجرّونَ خيطاً في التراب مُبينا
في كلِّ بيت من بيوتيَ قريةٌ ... تضمُّ صنوفاً منهُمُ وفنونا

فيا مَنْ رأى بيتاً يضيقُ بخمسة ... وفيه قريّاتٌ يسمن مثينا

قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرّ قول بعض القدماء :

به البقّ والحمى وأسدٌ خفيّةٌ ... وعمرو بن هند يعتدى ويجورُ

وبالمصر برغوثٌ وبقٌّ وحصبةٌ ... وحمى وطاعونٌ وتلك شرور

وبالبدو جوعٌ لا يزالُ كأنّهُ ... دُخانٌ على حدّ الأكام يمورُ

ألا إنّما الدنيا كما قالَ ربّنا ... لأحدَ حزنٌ تارةً وسرورُ

وقلت فى الجراد :

أجنحةٌ كأنها أردية ... من قصب لكنها منقوطةٌ مثل صدور الكُتب

وأرجل كأنّها ... مناشرٌ من ذهب

وقلت : وأعرابية ترتادُ زاداً ... فتمرقُ من بلادٍ فى بلادِ

غدت تمشى بمنشار كليل ... تبوعُ به قرارةَ كلّ وادى

وتنشر فى الهواء رداء شرب ... على أرجائه نقطُ المدادِ

وتلبس تحتَ ذاك عطاف لاذ ... على أكنافه ودع الجساد

ومن عجيب ما قيل فى الفأر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن سعيد عن الرياشى قال دخل اعرابىّ البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال فى ذلك :

عجل ربُّ الناس بالعقابِ ... لعامراتِ البيتِ بالخرابِ

كحل العيونِ وقص الرقابِ ... مجردات أحبل الأذنابِ

مثل مدارِ الطفلةِ الكعابِ ... كيف لها بأنمر وثاب

منهرت الشدق حديد الناب ... كأنما يكشر عن حرابِ

يفرسها كالأسدِ الوثّابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعانى والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتنفه وراهنه فجعل لنا في أنفسنا مواعظ وفى أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يُرديِنا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شيبة لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدثان إيانا حمداً تتألف أشتاتُه وتتصلُ موادُه ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثى)

والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الاعرابى يقولُ لا أعرفُ في التفجع على الشباب وفى ذم الشيب أحسن من قول أبى حازم الباهلى على قُرب عهده :

لا تكذبنَّ فما الدُّنيا بأجمعها ... من الشبابِ بيوم واحد بَدلُ
شرْخ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ... ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى ثكلُ
كفاك بالشيب ذنباً [1] عندَ غانية ... وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ

---

(١) فى نسخة « كفاك بالشيب عيبا » .

وأحسن منه عندي قول منصور النمري[١] :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ　　إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بانَ الشبابُ وفاتتني بشرته[٢]　　صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كنه غرته　　حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه ، وسمعه الرشيد فقال نعم لاخير في دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لايحسن النسك والشباب　　ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش　　قبلَ الثلاثين يُستطاب

وقال غيره :

فقالتْ وهل بعدَ الثلاثينَ ملعب　　فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ ملعبُ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفي على دهر الصبا القصيرِ　　وغصنه ذي الورق النضيرِ
وسُكره وذنبه المغفورِ　　ومرح القلوبِ في الصدورِ
وطولِ حبل الأملِ المجرورِ　　في ظلِّ عيشٍ غافلٍ غريرِ
أغدو وجني الصبا أميري　　ملء العيونِ الغانياتِ الحورِ

وقال الحماني :

وأيامهُ الغرُّ مثل الخطوطِ　　في المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

---

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) بِشرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني (بلذته) .

ليالى أنت جُذيل الصبّا — وأيامه وعُذيق الغوانى

وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغوانى — كالسوادِ من القلوبِ

فاذا استطعن خبأننى — بين المخانقِ والجيوب

وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع — فاحزنْ فلستَ بمثله مفجوعا

وقال يصف نفسه فى شبيبته :

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى — كقضيبِ بانٍ ناعمٍ رَطْبِ

فاذا رأتنى عينُ غانيةٍ — قالتْ أوابدُ طرفها حسبي

ونحوه قوله : إذا ما تمشت فى عين خريدة — فليست تخطّانى الى من ورائيا

وقال أعرابى : سقى اللهُ أياماً لنا ولياليا — لهن بأكناف الشبابِ ملاعبُ

إذ العيشُ غضٌّ والشباب بغرة — وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وانما آتى بالبيت والبيتين لأنى أعتمد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو تحذلقت (١) في المعانى وأضفتُ الى كل شيء منها شكله وقرنتُ اليه مثله أو أكثرت من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلاً فى حدّ الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما . وقلتُ فى معنى ابن المعتز :

تذكرُ إذ أنتَ قضيبٌ رطيب — عليه للحسنِ رداءٌ قشيبْ

خالطَ ماء الحسنِ فى وجههِ — ماء شبابٍ لم يَرقه المشيبْ

إذا مشى يخطر في بردهِ — غاير فيه الشكل حسن رطيبْ

كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضب — وأنتَ من بَعدُ قضيبٌ قضيبْ

فالآن هو مُغبر مقاديه — مُعفرُ الوجهِ حريبٌ سليبْ

---

(١) في الأصل (تحرقت)

خذ بنصيبٍ من سرور الصبا ... فما لشيخ من سرورٍ نصيبْ

وأول من بكى الشباب وذمّ المشيب عبيد بن الأبرص فى قوله :

والشيب شينٌ لمن أمسى بساحته ... لله درُّ الشبابِ الله الخالى

وقال مُزاحم العقيلى (١) :

عزاء على مافاتَ من وصلِ خلّة ... وربق شباب سَلّهُ الشيبُ منجلى

ومثل ليالينا بحطمة فالاوى ... بلينَ وأيام قصار بمأسل

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريتُ من الشباب وكانَ غضاً ... كما يعرى من الوَرَقِ القضيب

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَهُ بما فعلَ المشيب

وقالت : قوامٌ كما شاءَ المشيب معوّجٌ ... ووجهٌ كما لا تشتهيه مُشنج (٢)

وفرع جلاه الشيبُ حتى كأنما ... تغشّاه معروفٌ من الصبح أبلج

وعهدى به بالأمس جوناً كأنما ... تجلّله عرفٌ من الليل أدعج

ليالىَ جاءتك الليالى عرائساً ... تَروق وتصبى أو تضوع وتأرج

حسان الوجوه كالرياضِ أنيقة ... تحيطُ لها كفُّ الغمام وتنسج

رِقاقُ جلابيبِ النسيم أريجةٌ ... لها نكهةٌ كالمسك ابّانَ يمزج

وقال رُؤْبَة وأحسن فى ذلك :

كرُّ الجديدانِ بنا وانطلقا ... ولا يجدّانِ إذا ماأخلقا

---

(١) شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذو الرمة فسأله كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشبابَ أنفقا ... والشيب لا سوقَ له إن سُوِّقا

وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيضٌ ... لها في مَفرِق الرأس انتشار

جديدٌ واللبيس[1] أعزُّ منه ... وأحرَى أن ينافسهُ التجار

وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيبِ لذاتٌ لخادع نفسه ... ومن قبلِ عيشٌ تعلل جادبه

ومن الشعر الجلل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول البحترى :

ومنازل لك بالحمى ... وبها الخليطُ نزولُ

أيامهن قصيرةٌ ... وسُرورُهن طويل

وسعودُهنّ طوالع ... ونحوسُهن أفول

والمالكية والشبا ... ب وقينةٌ وشمول

ومن أبلغ ماقيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددتُ بياضَ السيفِ يومَ لقيتني ... مكانَ بياضِ الشيبِ حلّ بمفرقي

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب فى قوله :

فأصغرى أنّ شيباً لاحَ بى حدثاً ... وأكبرى أننى فى المهدِ لم أشب

لاتنكرى منه تجديداً تجلله[2] ... فالسيف لا يزدرَى إن كان ذا شطب

ولا يروعنك ايماض القتير به ... فانّ ذاك ابتسامُ الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجومُ مَشيبٍ في ظلام شبيبةٍ ... وماحسنُ ليلٍ ليسَ فيه نجوم

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا يَرُعْكِ المشيبُ ياابنةَ عبد الله فالشيبُ زينةٌ ووقار

إنما تحسنُ الرياضُ إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

وقال الخوارزمى ـ متأخّر :

---

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تخديداً تخلله» .

وقالوا أفقْ من سكرةِ اللهو والصبا ... فقد لاحَ صبحٌ في دجاك عجيب
فقلت لهم كفُّوا الملامَ وأقصروا ... فإنَّ الكرَى عندَ الصباح يطيب

وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير فى قوله :

يقولُ العاذلاتُ عَلاكَ شيبٌ ... أهذا الشيبُ يمنعنى مراحى

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومى حيث يقول :

لاحَ شيبي فرحتُ أمرحُ فيهِ ... مَرَحَ الطرفِ فى العذارِ المحلى
وتولى الشبابُ فازددتُ غيًّا ... فى ميادينِ باطلى اذ تولّى
إنَّ من ساءَهُ الزّمانُ بشيءٍ ... لأحقُّ امرىءٍ بأن يتسلى

وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلّ بياضُه ... بمفرقِ رأسى قلتُ للشيب مرحبا
ولو خلتُ أنى إن كففتُ تحيتى ... تنكبَ عنى رمتُ أن يتنكبا
ولكنْ إذا ما الكرهُ حلَّ تسامحتْ ... به النفس يوماً كان للكرهِ أذهبا

وفى ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومى متوازنة اللفظ والمعنى مع اصابة تشبيهه فى قوله * مرح الطرفِ فى العذار المحلى *

وقد بالغ فى ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقةٌ فى الحياة تدعى جلالاً (١) ... مثل ماسمّىَ اللديغُ سليما
غرةٌ مرةٌ (٢) ألا إنما كنـ ... ـتُ أغراً أيامَ كنت بهيما

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى فى مشيبى ... فكيفَ تحبنى الخودُ الكعابُ

وقلت : فلا تعجبا أن يعبنَ المشيب ... فما عبنَ من ذاك إلا معيبا
إذا كانَ شيبى بغيضاً إلىَّ ... فكيفَ يكون إليها حبيبا
وقد كنت أرفُل بردَ الشبابِ ... قشيباً وأرفُل وشياً قشيبا

---

(١) فى ديوان أبى تمام (جلالاً) . (٢) فى الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيبا　　وان صلت صلت قضيباً قضوبا

ومن مليح ماقيل فى الشيب وهزء النساء من صاحبه قول كشاجم :

ضحكتْ من شيبةٍ ضحكتْ　　في سوادِ اللّمة الرجله

ثم قالتْ وهي هازلةٌ　　جاءَ هذا الشيبُ بالعجله

قلتُ من حبيك لا كِبر　　شابَ رأسي فانثنتْ خجله

وثنتْ جفناً على كحلٍ　　هي منه الدهرَ مُكتحله

أكثرتْ منـهُ تعجُّبها　　وهي تجنيهِ وتضحكُ له

ومن مليح ماقيل فى ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلتْ أطالبُ وصلها بتعطفٍ　　والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلى

وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقته إذا جاء فأحسن حيث يقول :

الشيب كُرهٌ وكُرهٌ أن يفارقني　　أَحببْ بشيءٍ على البغضاءِ مودُودُ

فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكى للشيبِ ثم بكى عليهِ　　فكانَ أعزّ فقداً من شباب

فقلْ للشيبِ لاتبرح حميداً　　إذا نادَى شبابُك بالذهاب

ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمركَ المشيبُ عليَّ مما　　فقدتُ من الشبابِ أشدّ فوتا

هذا البيتُ مُضطربُ اللفظ والوصف والصنعة فاعتبرهُ :

تمليتُ الشبابَ فكانَ شيباً　　وأبليت المشيبَ فصارَ موتا

وكان من تمام الصنعة أن يقول «أشدّ فقدا» لقوله «فقدت من الشباب» . وقلت :

والشيب زورٌ يجتوى وقربُه　　لا يرتضى وفقدُهُ لا يُشتهى

قد يشتهى كلُّ امرىءٍ بلوغَه　　وقلّ من يبلغه إلا شكا

كأنما الشبابُ كانَ فرقةً　　له من الأنفسِ حبٌّ وقلى

وقد أجاد الأعرابى فى قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

نائب وأفجع آيب . وقلت :

تكلف مدحَ الشيبِ عندي مُعمّرٌ ... وهل يمدحنّ الشيبُ إلا تكلفا

فقلت انظرني أوّلا منه مؤلماً ... اقلب فتًى أو آخراً منه مُتلفا

تصرّم من عمري ثلاثون حِجةً ... لبستُ بها ثوبَ الشبابِ مُطرّفا

شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيابُهُ ... وصرفُ زمانٍ لم أجد عنه مصرِفا

أقمت به صدرَ السرورِ فلم يزَلْ ... به الشيبُ حتى ردّه مُتحنفا

فطار بجناحِ اللهو فى زمن الصبا ... فأخلق، به إن شئت أن يتحيفا

تناولَ وخط الشيب أطرافَ عارضى ... فأصبحَ ليلاً بالصباح مُشنّفا

ومن المشهور قول دعبل الخزاعى [1] :

لاتعجبي ياسلم من رجلٍ ... ضحكَ المشيب برأسه فبكى

ومما يحتج به المشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس فى ذلك :

ألا إنّ بعدَ الفقرِ المرء قنوةً ... وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبسا

وقال أعرابى : مابال شيخ قد تخدد لحمه ... أبلى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا

سوداء داجية وسحق مفوف ... وأجدّ لوناً بعد ذاك هجانا

قصر الليالى خطوهُ فتدانى ... وحنونَ قائمَ ظهره فتحانى [2]

والموت يأتى بعد ذلك كلّه ... وكأنما يعنى بذاك سوانا

لا أعرف فى وصف الشيب من أول مايبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا، وقوله (وكأنما يعنى بذاك سوانا) من أبلغ مايكون من الموعظة . وقلت :

وشباب خفّ نازله ... ليته عادَ كما كانا

ومشيب آب نازله ... ليته إذ كان مابانا

---

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا ينتقموا منه .

(٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانني دهرٌ وثقت به رُبَّ موثوقٍ به خانا

وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرتُ شمسَ الشيبِ في ليلِ لمتي لعمري لليلي كانَ أحسنَ من شمسي
كأنَّ الصبا والسمت يطمسُ نورهُ عروس أناس ماتَ في ليلة العُرس

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحتري :

في الشيبِ زجرٌ لهُ لوكانَ ينزجرُ وبالغ منهُ لولا أنه حجرُ
إبيض مااسودَّ من فوديهِ وارتجعت (١) جلية الصبح ماقد أغفلَ السحر
وللفتى مُهلةٌ في الحبِّ واسعةٌ مالم يمتْ في نواحي رأسهِ الشعر

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمـام :

غدا الشيبُ(٢) مختطاً بفودي خُطةً سبيلُ(٣) الرَّدى منها إلى النفس مهيع
هو الزورُ يجفى والمعاشرُ يُجتوى وذو الألف يـُقلى والجديدُ يُرقَّعُ
لهُ منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصع ولكنهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ
ونحن نزجيهِ على الكرهِ والرضا وأنف الفتى في(٤) وجههِ وهو أجدع

ومن أعجب ماسمعتُ في الخضاب قول بعضهم :

عجبتْ لما رأتني غادةٌ مابين غيدِ
ضحكتْ إذ أبصرتني قد تزينتُ لعيد
ثُم نادينَ جميعاً ياعتيقاً في جديد
غرَّنا منكَ خضابٌ قد تراءى من بعيد
لاتغالطنا فما تصـــــلحُ إلا للصُّدُود

وقال ابن الرومي :

فدعَتْهُ إلى الخضابِ وقالتْ إنَّ دفن المعيب غير معيب

---

(١) في الأصل (إرتجعت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا الهمّ) .
(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذارٌ كمثل الأنحمي مطرّزٌ ... وفرعٌ كلون العبقريّ محبّرُ
وقد كانَ من صبغ الشباب ممسكا ... فأصبحَ في كفّ المشيب مكفّرِ
فقلْ للعذول أقصر الآن إنني ... على الرغم من أنف الصبابة مقصرُ
كفاكَ تكاليفَ الملام كراكبٌ ... من الشيب في ليل الشبيبة تزهر
لوائح من تحت الخضاب كأنما ... سنى الصبح في وجه الدُّجنّة يكشر

وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل [١] في قوله:

ماشبتُ من كبرٍ ولكني أمرؤٌ ... عالجت قرعَ نوائبِ الدهرِ
فرأيتها عضلا موقحة ... عزت فما تُستطاع بالكسرِ
فلذاك صرت معَ الشبيبة نازلا ... في غير منزلي من العمر

ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمحان:

حنتني حادثاتُ الدّهرِ حتى ... كأني خاتلٌ أدنو لصيدِ
قريب الخطو يحسب من رآني ... ولستُ مقيداً أني بقيد

وقد أحسن الآخر في قوله أيضا:

الدّهر أبلاني وما أبليتهُ ... والدّهرُ غيرني وما يتغير
والدّهرُ قيدني بقيدٍ مُبرم ... فمشيت فيه وكل يوم يقصر

وقوله «وكل يوم يقصر» من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقاصر الخطو في كل يوم. ومن أعجب ماقيل في الصلع قول الاعرابي:

قد ترك الدهر عصاتي صفصفا ... فصار رأسي جبهةً الى القفا
كأنما قد كان ربعاً فعفا ... يمسي ويضحى المنايا هدفا

ومثله قول الآخر:

ثم حسرت عن صفاة تلمع ... فأقبلتْ قائلةً تسترجع
مارأس ذا إلا جبيناً أجمع

---

(١) هو تميم بن مقبل من بني العجلان، مخضرم معدود في الفحول.

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهلِ الهوى قبح الجـلا   جبين وجهٍ وجبينٌ فى القفا

وقال ابن الرومى فى معناه يهجو رجلاً يجذب طرته من قفاه الى وجهه :

يجذبُ من نقرته طُرَّةً   إلى مدًى تقصرُ عن نيله
فوجهُهُ يأخذ من رأسه   أخذَ نهارِ الصيفِ من ليله

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى لخلف بن خليفة :

وقام إلى رأسهِ حاذقٌ   قصيرَ من رأسهِ قرعه
يُريكَ بريقاً كطست الجلا   بيض كما نصب الطامه
فما شوق عينى إلى قرة   كشوق يمينى للصلمه
يـكادُ وإن لم يردها الضمير   تشوقُ الحليم إلى صفعه
فملنا عليهِ بأيمـاننا   نسائله عن خبرِ الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذيّال على المقب جُنّتى   إذا الصلعُ واروا هامهم بالقلانس
تودُّ النساء المبصراتى أنّهُ   يعار فيستأجرنه للعرائس

وقلت في مدح الحلق :

قُـتل الشعر من خفيفٍ ثقيل   وكثيرٍ على الرؤوس قليل
ضـيق الشعر حينَ طال قليلا   ضامه اللهُ من قصيرٍ طويل
إنما الحلقُ راحةٌ وجمالٌ   فاشدُدِ الكف بالمريح الجميل
ماأرى للحسام يصدأ حُسناً   إنما الحسنُ للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المحلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بنُ دريد عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثرية زير نساء يتحدث إليهن فتحدث إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهى تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظما وأدمعاً تنهلُّ منها سجما
علمت مابى فجفوت عامداً من سَئم الوصل تجنى الجرما

فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :

تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعةً فمن لامنى فيه فبدل ما بيا
فما أشرف الايفاع إلا صبابةً وما أضربُ الأمثال الاتداويا

فأتى الزوج أباها فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهى تقول :

فان تضربوا ظهرى وبطنى كلاهما فليس لقلب بين جنبىَّ ضارب

فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد يغنائه وهو يقول :

تراءتْ وأستارٌ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
بعينى مهاةٍ تحدرُ الدمع منهما بريمين شتى من دموع واثمد

فجمع أهل بيته واخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال وهو يحلق :

أقول لثورٍ وهو يحلقُ لمتى بمقفاةٍ مردُودٌ عليها نصابها
ترفقْ بها ياثورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
فيارُبَّ يوم قد تغال وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
تولى بها (١) ثورٌ ترفُّ كأنها سلاسل درع لينها (٢) وانسكابها
وأصبح رأسى كالصخيرةِ أشرفتْ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة فى وصف الشيب وهوقوله :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانبيه نهار

ولأبى إسحق الصابى أبيات فى الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :

لما رمانى الزمان بالصلع وقلَّ مالى وضاقَ متسعى

---

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) فى الأغانى «خبؤها » .

حاسبت عن لمى مزينها حسابَ شيخ للحقّ متبع
قلتُ له اقنع من أصلِ واجبها بالثلثِ مما به عملتَ معى
واعملْ على أنهـا مُزارَعـةٌ شكوتُ فيها شكاةَ مُتضع
فاحطط خراجَ الذى أصبتَ به واستوفِ منى خراجَ مُزدرعِ

ومما جاء فى مدح الصلع ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الانبارى عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال ألحّ رجلٌ النظر الى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فقال له الى أىّ شىء تنظر ؟ قال الى بطن مندح وهامةٍ صلعاء فقال عليه السلام أما البطن فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامةُ فكما قال الشاعر :

بنى إذا المجدَ آباءٌ لهم شرفٌ صُلعُ الرؤوسِ وسيما السؤددِ الصلعُ

وقال آخر : كفى حزناً انى أدُبُّ على العصا فيأمنُ أعدائى ويبغضنى أهلى
ويوصى بى الوَغدُ الضعيفُ مخافةً علىّ وما قام الحواضنُ عن مثلى
أقيمُ العصا بالرجلِ والرجلَ بالعصا فما عدّلت ميلى عصاىَ ولا رجلى

وقال محمود الوراقُ فى ذمّ الخضاب :

يشيبُ الناسُ فى زمنٍ طويلٍ ولى فى كلّ ثالثةٍ مشيبُ
وأخفى الشيبَ جهدى وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ

وقلت : جربت لعارض غيث الليالى تحالك لونه فابيضّ جُله
وصرت تقصّ ماابيضّ منه أتحلقه إذا ماابيضّ كلُّه
تعزّ عن الشبيبةِ والهَ عنها فان الليلَ ليسَ يدوم ظله
وخلّ الشيبَ يضحكُ تاجذاه فانّ الصبح لا يخفى مطله
وان حلت عرى اللذاتِ فيه فلستَ بفاقدٍ ماجد حبله

﴿ الفصل الثانى من الباب الحادى عشر ﴾

(فى ذكر العلل والأمراض والمراثى والتعازى والزهد)

أحسن ماقيل فى الرمد قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه   لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلى   ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتداول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكتْ عينهُ فقلتُ لهم   من كثرة القتل مسها الوَصَب
حُمرتَها من دماء من قتلت   والدم فى النصلِ شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرةٌ   قد خلط النرجس فى ورده
ماالحرت العين ولكنه   يكحلها من وردتى خده

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ   قد حازها من وردة الخدّ
فقلت لم يرمدْ ولكنه   يصافح النرجس بالورد

ومن مليح ماقيل في شكاية الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارتْ تحم   ابتلى الله بهذا من زعمْ
اشتكتْ أكل ما كانت كما   يكسف البدر إذا ما قيل تم

وممـا قيل في اصفرار اللون من العلة قول أبي تمام :

معدن الحسنِ والملاحة قد أصـــبح للسقم معدناً وقراراً

---

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه .

لم تشنْ وجههُ الجميلَ ولكنْ　　جملتْ وَرْدَ وجنتيهِ بهارا

ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقانى :

لقد حلت الحمى بساحةِ خدّه　　فأبدلت التفاحَ بالسوسن الغضّ

والأصل فى ذلك قول عبد بنى الحسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو اسحق الشطبى قال حدثنا ابن أبى سعيد قال حدثنا الخزامى قال حدثنا عبد الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان لا حاجة لى فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسرُ فى كلامه فقال يوسف فحدثنى من رآه فى شجرة واضعاً احدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قمرٍ　　كلُّ جمالٍ لوجههِ تبعُ

ما يبتغى خابَ من محاسنها　　أما لهُ فى القباح متسع

لو كانَ يبغى الفداءَ قلتُ له　　ها أنا دونَ الحبيبِ ياوجع

ثم يقول لنفسه « أحسنتك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان رضى الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فياربَّ ليلةٍ　　جعلتكِ فيها كالقباء المفرّج

وقال أيضاً :

ولقد تحدَّرَ من جبينِ فتاتكم　　عَرَقٌ على وجهِ الفراشِ وطيبُ

ومن عجيب ما يُروى له قولهُ يمدح نفسه :

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّةٌ كرماً　　أو أسودَ اللونِ انى أبيضُ الخلقِ

وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانىء :

يا قمراً للنصف من شهره　　أبدى ضياءً لثمان بقين

ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :

قالوا محمدٌ المحمد مُوجعٌ　　والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ

فلئن حُممت فلا حُممت فانها　　داءُ الاسودِ وفى الرجالِ أسودُ

وهذا عندى أحسن من قول البحترى :

وما الكابُ محموماً وإن طال عمرهُ　　ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد

على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :

وقد سرَّنى انى رأيتك واطئاً　　على عقبي داء تراخى فأدبرا

وقد ظلَّ يبغى رائد البرء مورداً　　لديك ويبغى فارط السقم مصدرا

ولا غروَ أن يغشاك عارضُ علةٍ　　فانى رأيتُ الورد يغشى الغضنفرا

ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما　　كسوفك أن أمسيتَ بدراً منوَّرا

ومن ذلك قول على بن العباس النوبختى :

لئنْ تخطتْ اليك نائبةٌ　　حطتْ بقلبي ثقلاً من الألم

فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعاً　　في صفحتيْ كلِّ صارمٍ خذم [١]

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً فى رجل اعتل :

طالَ فكرى تعجباً لمصوغٍ　　ذهباً كان يقبلُ الاقذاءَ

والحسامُ الهذاذُ [٢] يزدادُ حسناً　　كلما زادهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين فى معناهما وأماسبكهما ووصفهما فلاخير فيه والبيت الثانى أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المعذل [٣] بذكر الحمّى :

فطوراً ألقيها سُخنةً　　وطوراً ألقيها فترة

---

(١) سيف خذم : أى قاطع .　　(٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ : كان هجاءً شديد العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

وقد أعقبت خلفي حدة ... وأورثني الفها ضجره
فللعبد ان غاظني لطمة ... وللحر ان ساءني زجره
ويربو الطحالُ إذا ماشبعت ... فتعلو الترائب والصدره
وأمسي كأني من معدتي ... لبستُ ثيابي على ذكره
أسائلُ أهلي عن سحنتي ... وأمنحهم نظرةً نظره
وأجزع إن قيل بي صفرةٌ ... وأشفقُ إن قيلَ بي حُمره

ومن أجود ماقيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدرُ لم تزلْ في كمال الأمرِ بدراً وفي السماءِ هلالا
كيفَ كانتْ عقبى افتصادك كانت ... صحةً مستفادةً واندمالا
واعتدالاً بينَ المزاج كما أو ... تيتَ في الخلقِ والخلاقِ اعتدالا
فمل الله ذاك انك مازلـتَ لمرضيّ ماارتضى فعّالا

وفي الفصد شعرٌ كثيرٌ ليس في أكثر مامرّ بي مختارٌ إلا ماأنشدنيهُ لعلي بن عبد العزيز الجرجاني :

ياليتَ عيني تحملتْ ألمك ... وليتَ نفسي تقسمتْ سقمك
أوليتَ كفّ الطبيب إذفصدتْ ... عرقك أجرى من ناظريّ دمك
أعرته حسنَ وجنتيك كما ... تعيره ان لثمتَ من لثمك
طرفك أمضى من حدّ مبضعه ... فالحظ بهِ العرقَ واغتنم ألمك

ومن مليح ماقيل في الزكام ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان الجرمي قال دعا عيسى بن عليّ عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزّك اللهُ لستُ بومي هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأني مزكومٌ والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بني عجل تقول : حُقر من يحقرُ الزكام . ولم يمر بي في الصداع شيء مليح أثبته لك غير أني سمعت لبعضهم أبياتاً في صفر العمامة حتى أشبهت عصابةً يعصب بها الصداع وهي هذه الابيات:

وقدّمتَ لي وعداً بأنك مُلبسي ... ثياباً اليها المحاسنُ تُنسبُ

فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً ... بأمثالها الامثالُ فى النقص تضربُ

يقول أناسٌ لى إذا مالبستها ... أرأسك هذا من صداع مُعصّبُ

على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٌ فيه ذكر الصداع وهو قوله :

حلّ من قلبه محلّ شرابٍ ... يشتهى شربُهُ ويخشى صُداعه

وقد قارب الآخر :

لطيرتى بالصداع نالتْ ... فوقَ منال الصداع مِنِّى

وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ ... صدّعنى مثل صدّعنى

وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواةِ قسبٍ ... وينشر لحية مثلَ الشراع

عليه عمامةٌ قصرتْ ودقّتْ ... فتحسبهُ امصبَ من صُداع

وقال بعضهم في الجدرى :

وجهُ للحسن معدنٌ ... فتأمّلْ وتبيّنْ

نقطٌ من جُدَرِىّ ... كدباقى معيّن

وأما النقرس فقد مرّ بى فيه أبياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن سوار بن أبى شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقى الكاتب عن محمد بن الفضل ابن اسماعيل بن على بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس فى رجله فدخل اليه أبوه اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يابنى ؟ فقال :

أشكو الى الله ما أُصبتُ به ... من ألمٍ فى أنامل القدم

كأنى لم أطأ بها كبداً ... من حاسدٍ سرّ قلبهُ ألمي

والحمد لله لاشريكَ لهُ ... لحمى للأرضِ بعدها ودمى

مامن صحيح إلا ستنقله الا يامُ من صحة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المبرد وأبى العيناء . قال كان أبو على الحرمازى

فى ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتخلف الحرمازى ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقامَ بأرضِ الشامِ فاختلَّ جانبي ومطلبهُ بالشام غيرُ قريب

ولاسيما من مفلسٍ حلف نقرس أما نقرسٌ في مفلس بعجيب

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابىٌّ رجلاً قد أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة والترفه ، ومنه قول الاعرابى :

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيس يخشى عليَّ القومُ داءَ النقرسِ

ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس « يخشى عليك من الحباء النقرس

ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حضر الجماز عند أبى يوماً ودخل رجلٌ فقال له ما أخرك عنا فقال أصابتنى خلفه أما ترى وجهى فقال الجماز ما أبين الاختلاف على وجهك . وقال المتنبي فى الحمى :

وزائرتى كأنَّ بها حياءً فليسَ تزورُ إلا في الظلام

جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتتْ فى عظامى

اذا ما فارقتنى غسلتنى كأنا عاكفانِ على حرام

وهذا البيت معيب لان الغسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت فى حمَّى نالتنى :

وأخبر أنى رحتُ في حلة الضنى ليالىَ عشراً ضامها اللهُ من عشر

تنفضنى الحمَّى ضحى وعشيةً كما انتفضتْ فى الدجنِ قادمتى نسر

تذرُّ علىَّ الورس فى وضح الضحى وتبدله بالزعفرانِ لدَى العصر

اذا انصرفتْ جاء الصداع مشمراً فأربى عليها فى الأذيةِ والشرّ

وتجعلُ أعضائى عيوناً دوامعا تواصل بين السكب والسجم والهمر

فتحسبه طلاً على أقحوانةٍ وعهدى به يحكى حباباً على خمر

ولما تمادت عذتُ منها بحية ... كمن ترك الرمضاء وانفتل في الجمر
وما منهما إلا بلاءٌ وفتنةٌ ... وضرٌّ على الأحرار يالك من ضر

من مرض لمرض الجفون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله ابن عبد الله لنفسه :

تمارضتَ لما لم تكنْ لك علةٌ ... وقلتَ شهيدي مابطرفي من السقم
فلا تجعلنْ سقماً بطرفك علةً ... فقد كانَ ذاك السقم في صحة الجسم

وقال غيره :

أحببتُ من أجله من كان يشبهه ... وكلُّ شيء من المعشوق معشوق
وقد جلبتُ بجسمي سُقْم مقلته ... كأنَّ جسمي من عينيه مسروق

وقال الأخيطل : كيف يضنى بعد ما كا ... ن الضنى عوناً لمينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلفَ اخوانه عن عيادته :

عليلكم لايعادُ من علهْ ... وضيفكم لايسدُّ من خلهْ
لا ان جفوتم دنا المماتُ ولا ... ان زرتمُ تنسؤنَ في أجلهْ
ما ضرَّ مجفوَّكم جفاؤكمُ ... بالامس في جسمه ولا أمله

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لمحمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدي :

مالي مرضتُ فلم تعدْ ... ورغبتُ فيك فلم تجُد
الحبُّ يذهبه الأذى ... فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعرٌ مطبوعٌ مختار ، والبيت الأخيرُ مأخوذٌ من قول الأعرابي :

فانى رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

وقلتُ : وقد عادني الاخوانُ من كلِّ جانب ... وما قصروا في العرف والفضل والبرِّ
فلمْ تكنْ فيهمْ فيكمل حسنهم ... أياظالماً أخلى النجومَ من البدر
وإذ كنتَ لم تنهضْ اليَّ ولم تكد ... فلمْ تسلْ عنى فتخبر عن أمرى
ومالك لم تبعثْ اليَّ بأسطرٍ ... تمجمجها إحدى يمينك في ظهر

تضنُّ بتسليم وزرة ساعة فكيف يُرجَّى جودُ كفيك بالوفر
فإن كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
إذا لم تكونوا للحقوقِ فمنْ لها وأنتم كرامُ الناس في البدو والحضر
وأنتَ إذا أمحيت تفرى أديمها فما ذنب ذى جهلٍ فرىَ مثل ما تفرى
وما أعداءُ العلم تذكرُ عيبهمْ وأنت على أمثالِ غايرهم تجرى

ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومى :

قد قلت إذْ مدحوا الحياةَ فأكثروا للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانُ لقائه بلقائه وفراق كل معاشرٍ لا ينصف

ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وباتَ بدرُ ممانئنا هذا يودِّعنا وهذا يكسفُ

ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألمْ يبلغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهليها صروف
صريعٌ لم يُوسَّدهُ قريب ولم يشركه في الشكوى أليفُ
يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوة حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيبٌ لا يُمارى به ومنه أخذ قوله :

وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

ولا أعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابى ومات له ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد الى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً فليمَ على ذلك فقال : ليسوا في الموت ببدع (١) ولا أنا في المصيبة بأوحد ولا جدوى للجزع فعلامَ تلوموني . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها

(١) في الأصل « بديع » .

وعزّى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أباد وأجزل حظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاد هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيد ان عبد الملك بن صالح يُعِد كلامه ويفكر فيه فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيد وقال هو طبعٌ فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبدُ الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريرى فقل له وُلد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدةٍ ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيد أهذا الذى زعموا أنه يتصنع للكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط [1] . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل فى مدفون قول ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراس :

لله ما ضمنتْ حفيرتها ... من حُسن مرأى وطُهر مُختبر
أضحتْ من الساكنى حفائرهم ... سُكنى الغوالى مداهنَ السررِ
لو علم القبرُ مَنْ أُتِيحَ له ... لانخفضَ القبرُ غير محتقرِ

وهذا البيت مأخوذ من قول الأوّل :

لو علم القبرُ من يوارى ... تاهَ على كلِّ مَنْ يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أجملى جزعاً ... ان الذى تحذَرِينَ قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى [2] وإن كان اسمعا ... وأصبحَ مغنى الجودِ بعدك بلقعا

فقال فيها : فتىً كان شرباً للعفاةِ ومرتعى ... فاصبحَ للهندية البيضِ مرتعا

---

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) فى ديوان أبى تمام « الناعى » .

إذا ساءَ يوماً في الكريهةِ منظراً ... تصلاهُ علماً ان سيحسنُ مسمعا

فان تَرم عن عُمرٍ تدانى به المدى ... فخانك حتى لم يجدْ فيك منزعا

فما كنتَ إلا السيف لاقى ضريبةً ... فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عنده فقيل له يموت أخوك بالملا وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :

لقد لامني عندَ القبورِ على البكا ... رفيقي لتذرافِ الدموع السوافك

هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :

أمنْ أجلِ قبرٍ بالملا أنت نائحٌ ... على كلّ قبر أو على كلّ هالك

فقلت له انّ الشجي يبعثُ الشجى ... فدعني فهذا كلهُ قبرُ مالك

يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب عن الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثى ما قيل :

لهفي عليك للهفة من خائف ... كنتَ المجيرَ لهُ وليسَ مجيرُ

عمتْ صنائعهُ فعمَّ مُصابهُ ... فالناسُ فيه كلهم مأجورُ

فالناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ ... في كلّ وادٍ رَنَّةٌ وزفيرُ

يثني عليك لسان من لم تولِه ... خيراً لأنك بالثناءِ جديرُ

ردّتْ صنائعه اليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

والصحيح أن يقول «منشر» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول المحدث :

على قَبْرِهِ بينَ القبورِ مَهابَةٌ ... كما قبلها كانَتْ على صاحبِ القبرِ

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبرهُ عن عدوّهِ ... فطيبُ ترابِ القبرِ دلّ على القبرِ

وقالوا أرثاه قول ابن مُناذِر :

أنعي فتى الجودِ الى الجود ... مامثل من أنعى بموجودِ

أنعى فتى مصّ الثرى بعده ... بقيّة الماءِ من العودِ

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختر على أبيات الخزيمي :

ألم ترني أبني على الليثِ بنيةً ... وأحثي عليهِ التربَ لاأتخشعُ

وأعددته ذُخراً لكلّ مُلِمّةٍ ... وسهمُ المنايا بالذّخائرِ مُولعُ

وانى وان أظهرتُ مني جلادةً ... وصانعتُ أعدائي عليه لموجعُ

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُه ... عليهِ ولكن ساحةُ الصبرِ أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كانَ قيسٌ هُلكهُ هُلكُ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قوم تهدّما

وقال خلفُ الأحمر أرثى بيت :

الآنَ لما كنتَ أكملَ من مشى ... وافترّ نابُك عن شباه القارح

وتكاملت فيكَ المروءةُ كلها ... وأعنتَ ذلكَ بالفعالِ الصالح

وقال الأصمعي أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بتّ مستشعر الثرى ... وردن[١] بما زوّدتني مُتمتعا

ولو أنني أنصفتكَ الوُدَّ لم أبت ... خلافك حتى ننطوي في الثرى معا

ومن أحسن ماقيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير[٢] :

فتى عيشَ في معروفهِ بعدَ موتهِ ... كما كانَ بعدَ السيلِ مجراه مرتعا

---

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية متقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفى هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتْ للسماحة مضجعا

وياقبرَ معن كيفَ واريتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا

فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارم أجدعا

وأنا أقول إن هذه الأبيات أرثى ماقيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرثى بيت قيل قول مهلهل فى كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتْ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

وتكلموا فى أمر كلِّ عظيمةٍ لو كنتَ شاهدهم إذاً لم ينبسوا

وكان كليب اذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ الا عليه واذا جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ماقيل فى المراثى قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمةَ حقبةً من الدهر حتى قيلَ لن تتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطولِ اجتماع لم نبت ليلة معا

وليس في المحدثين أحسن مراثى من أبي تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والحمد[1] نسج ردائه فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجر[2]

فأثبتَ فى مستنقع الموتِ رجلهُ وقالَ لها من تحتِ أخمصك الحشر

فتى ماتَ بينَ الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ ان فاته النصرُ

فتى سلبته الخيل وهو لها حمى وبزّتهُ نارُ الحربِ وهو لها جمر

كأنَّ بنى نبهان يومَ وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدر

مضى طاهر الاثواب لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى إلا اشتهتْ انها قبرُ

وكيف احتمالى للسحاب[3] صنيعة بأسقائه قبراً وفى لحده البحرُ

ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختارٌ .

---

(١) في ديوان أبي تمام «والحمد» . (٢) في الاصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله [1] في ادريس بن بدر السامي :

أإدريسُ ضاع المجدُ بعدك كله ... ورأى الذي يرجوه بعدك أضيع
وضلَّ بك المرتادُ من حيث يهتدي ... وضرَّتْ بك الأيام من حيث تنفع
وتبسطُ كفاً في الخطوب [2] كأنما ... أناملها في البأسِ والجودِ أذرعُ
ولم أنسَ سعيَ الجودِ حولَ سريره ... بأكسفِ بالٍ يستقيم ويظلع
وقد كانَ يدعى لابس الصبر حازماً ... فقد صار يُدعى [3] حازماً حين يجزع

وقوله في بني حميد :

عهدي بهم تستنيرُ الأرضُ ان نزلوا ... فيها وتجتمعُ الدُّنيا إذا اجتمعوا
ويضحكُ الدَّهرُ منهمْ عنْ غطارفةٍ ... كأنَّ أيامهم منْ أنسها جُمَع
فيا الشماتة إعلاناً بأسدِ وغى ... أفناهمُ الصبر إذْ أبقاهم الجزع

وقوله أيضا : إذا فقدَ المفقودُ من آل مالك ... تقطَّعَ قلبي رحمةً للمكارم

خليليَّ من بعد الأسى والجوَى قفا ... ولا تقفا فيضَ الدُّموع السواجم
ألمَّا فهذا مصرعُ البأس والندى ... وحسبكما ان قلتُ [4] مصرع هاشم
ألمْ تريا الأيامَ كيفَ فجعننا ... به ثمَّ قد شاركننا في المـآتم
خطوبٌ اليه من نداهُ وبأسه ... خلائق أوفى من سيور التمائم

وقد كثرت عليَّ محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أُوردُ وما أترك . وقد أحسن القائل :

وصبيته يحيي ليحيا ولم يكنْ ... الى ردِّ أمر اللهِ فيهِ سبيلُ
تيممتُ فيه الفالَ حين رُزقته ... ولم أدرِ أنَّ الفالَ فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

* وجفن سلاح من معدٍّ رُزئته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة ... لو أنَّ الليالي انسأته لياليا

---

(١) أي قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق »

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاءَ اللهُ أن لا يطلعا — إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلا
انّ الفجيعةَ بالرّياضِ نواضراً — لأجلُّ منها بالرياضِ ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا — للمكرُماتِ وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك الشواهدِ فيهما — لو أمهلتْ[1] حتى تكونَ شمائلا
لغدا سكونهما حجا وصباهما — حِلماً وتلك الأريحيّةُ نائلا
انّ الهلالَ إذا رأيتَ نموّهُ — أيقنتَ أن سيكونَ[2] بدراً كاملا

ثم قال يوسيه :

ان ترزَ في طرَفيْ نهارٍ واحدٍ — رُزءين هاجا لوعةً وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطيةٍ — إلا إذا ما كان وهماً بازلا

ثم قال أيضاً :

شمخت[3] خلالك أن يُؤسيك امرءٌ — أو أن تذكر[4] ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادها لك سمحة — اسجاح لبك سامعاً أو قائلا
هل تكلف الأيدي بهزّ مهنّدٍ — إلا إذا كان الحسام الفاصلا

وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثى فيها أخاه أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دونَ حلو العيش حتى أمرّهُ — نُكوبٌ على آثارهنّ نُكوب
هوتْ أمهُ ما يبعثُ الصبح غاديا — وماذا يؤدى الليل حينَ يؤوب
حليمٌ إذا ما الحلم زيّن أهله — مع العلم في عين العدوّ مهيب

---

(١) في الاصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام «سيعودَ» .
(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوتْ أمهُ ماذا تضمنَ رحـلهُ ... من الجودِ والمعروفِ حينَ ينوبُ
فتى أريحيٌّ كيف يهتزُّ للندى ... كما اهتزَّ من ماءِ الحديدِ قضيبُ
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه ... قريباً ويدعوه النـدى فيجيبُ
فانْ تكن الأيامُ أحسنَ مرّةً ... الىّ فقد عادتْ لهنّ ذنوبُ
وحدّثتماني انما الموتُ بالقرى ... فكيف وهذى هضبةٌ وكثيبُ
وقال فيها: وداعٍ دعا ، من يجيب الى الندى ... فلم يجبه عند ذاك مجيبُ
فقلت ادعُ أخرى وارفض (١) الصوتَ مسمعا ... لعـلّ أبا المغوارِ منكَ قريبُ

ومن عجيب المراثى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآنَ استرحنا واستراحتْ ركابنا ... وقلّ الذى يجدى ومن كان يجتدى
فقلْ للمطايا قد أمنتِ من السُّرى ... وطىّ الفيافى فدفداً بعد فدفدِ
وقلْ للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ ... ولن تظفرى من بعدهِ بمسوّدِ
وقلْ للعطايا بعـدَ فضل تعطلى ... وقل للرزايا كلّ يوم تجـدّدى
ودونك سيفاً برمكيـاً مُهنّداً ... أصيبَ بسيفِ الهـاشمىّ المهنّدِ

ومن جيد المراثى قول الآخر :

سأبكيك للدّنيا وللدّينِ اننى ... رأيت يدَ المعروفِ بعدك شـلّتِ
ربيعٌ إذا ضنّ الغمامُ بمائهِ ... وليثٌ إذا ما المشرفيةُ سُلّتِ

وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية (٢) حين صُلب :

عُلوٌّ في الحياةِ وفى المماتِ ... بحقٍ أنتَ (٣) احدى المعجزاتِ
كأنّ الناسَ بعدك حينَ قاموا ... وفودُ نداك أيامَ الصّلاتِ

وهذا البيت مأخوذٌ من قول ابن المعتز في عبد الله بن سليمان حين توفي :

وصلوا عليه خاشعين كأنهم ... قيامٌ خضوعٌ للسلام عليه

---

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان براً جواداً ، نقم عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحقٌ تلك) .

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهمُ قيامٌ للصلاتِ
مددتَ يديك نحوهمُ جميعا كمدّ كما اليهمْ بالهباتِ
ولما ضاقَ بطنُ الأرض عن أن يضمَّ علاك من بعدِ المماتِ
أصاروا الجوَّ قبرَك واستنابوا[1] عن الأكفانِ ثوبَ السافياتِ
فلم أرَ قبلَ جذعك قطُّ جذعاً تمكّنَ من عناقِ المكرُماتِ

ومن جيد ماقيل فى عظم شأن الميت قول ابن المعتز:

هذا أبو القاسم فى نعشهِ قوموا انظرُوا كيف تزُولُ الجبال

وقول أبى تمام :

بني مالك قد نبهت خاملَ الثرى قبورٌ لكم مستشرفات[2] المعالم
رواكد قيد[3] الكفّ من متناول وفيها عُلاً لا يُرتقى بالسلالم
وقلت: سائل القبرَ كيفَ أضمرتَ قدساً وأباناً ويذبلاً وحراءَ
من رأى البدرَ بالترابِ توارَى أوعلى ذروةِ النعوشِ تراءَي

وقال ابن المعتز وأحسن :

تعالوا نزُرْ قبرَ السماحةِ والرِّفد ولانعتذرْ من دمع عينٍ على خدّ
لقد عشتَ لم يعلقْ بفعلك ذِمّـةٌ ومُتَّ على رغم المحامدِ والمجدِ

وقال أيضا :

ألستَ ترى موتَ العلى والمحامد وكيفَ دفنّا الخلقَ فى قبر واحد
وللدّهرِ أيامٌ يُسئنَ عوامداً ويحسنّ ان أحسنَّ غيرَ عوامدِ

وقال دعبل بن على الخُزاعى :

حنّطتهُ يا نصرُ بالكافور ورفعتهُ للمنزلِ المهجور
هلا ببعض خلالهِ حنّطتهُ فيضوعُ أفق منازلٍ وقبورِ

---

(١) فى رواية (واستعاضوا) . (٢) في الأصل (وذا كم مشرفات) .
(٣) فى الأصل (رواكد قيس) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلى غدت داره قفراً ومغناه بلقعا
ألم تر أن البأس أصبح بعده أشل وأن الجود أصبح أجدعا
قفا على قبر المسود وانظرا الى المجد والعلياء كيف تخشعا
فان يك واراه التراب فكبرا على الجود والمعروف والفضل أربعا
ولا تسأما نوحاً عليه مكرراً ونوحا لفقد العارفات مرجعا
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تضعضعا
ولا تحسبا أنى أواريه وحده ولكننى واريته والندى معا

ومن بارع المراثى قول ديك الجن الحمصى:

مات حبيب فمات ليث وغاض بحر وباخ نجم
سمت عيون الردى إليه وهى إلى المكرمات تسمو
ما أمك اجتاحت المنايا كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر:

ورسم دار مقفر الجناب يزداد عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء:

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول:

حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها رنق وملكها دول

وقلت: ما بال نفسك لا تهوى سلامتها فأنت فى عرض الدنيا ترغبها
دار إذا أتت الآمال تعمرها جاءت مقدمة الآجال تخربها
أصبحت تطلب دنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز:

تسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تُطوَى وهُنَّ مراحل
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيُّ باطل
وقلت: ألستَ ترى موتَ العلا والفضائل ... وكيفَ غروبُ النجم بين الجنادل
فما المنايا أغفلتْ كلَّ ناقص ... ونقبن في الآفاقِ عن كلِّ فاضل
على الرَّغم من أنفِ العلا سبقَ الرَّدى ... بكلِّ كريم الفعال حرِّ الشمائل
على أنَّ من أبقتهُ ليسَ بخالدٍ ... وليسَ امرؤٌ يرجو الخلودَ بعاقل
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائحٍ ... فما للبرايا بينَ ساهٍ وغافل
ولم أرَ كالدنيا حبيباً مُضرَّةً ... ولم أرَ مثل الموتِ حقاً كباطل

وقال ابن المعتز:

كم بدارِ الموتِ من ذي إربة ... عجزت منهُ على الموتِ الحيلْ
ومُلوكٍ بليتْ أيديهم ... ولقد كانتْ مطايا للقبلْ
وقلت: فتعجبتُ كيفَ لانحذرُ المو ... تَ وأنفاسنا خطانا اليه

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظير معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤتلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كلها بما توافى فيك من أجزائها ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها . ووقفتك بقطع الشمس والقمر قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تناهى أمدها وأبان لك دُؤوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محثوثة إلى أمدها كما تحث براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها . ثم قال وتحدث ماتحوفك به طوارق أحداثها وتوطنك على إبطان جثمانها حدثا من أحداثها لاتمسك منها بعروة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدقُ لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء على نفسها ء ألم تر أجزاءها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إبرامها انقضاً ء فيا ناسياً للصخر وتهدمه وللحديد وتثلمه واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشيقه وقرمه اذكر أن جسدك وشيكا مفارقك وأنه وإن جددته مخلقك وأنك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصالحك وعلام تتكل في عقبيك — إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجآته وبغتاته ووضوح آياته وغموض ميقاته والخذال المحالة عن دفعه ويأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليله لما من الأعظام والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغماض والأوصال سياق رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرجة وفي الجوانح رجرجة وفي اللهوات غرغرة وفي الحلقوم خرخرة بالنزع الجاذب والملك الكاذب والفُواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء وفي سمعه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله نهبى وجموعه شتى ووجوه الشامتين بهمشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطعة والخدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ماقيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمر بن تولب :

تداركَ ماقبل الشباب وبعدَهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامةِ والغنى فـكيفَ ترى طولَ السلامة تفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ اذا دام القيام ويحملُ

وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .

وقال بعضهم في معناه :

مابالُ من آفته بقاؤهُ نغصَ عيشي كلـهُ فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فانَّ الداء أكثر ماتراهُ من الأشياء تحلو في الحلوق

ومن جيد ماقيل في موت الولد قول ابن الرُّومي :

بكاؤكما يشفي وإنْ كانَ لايجدي فجودا فقداً ودَى نظيرُكما عندي
توفى حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فلله كيفَ اختارَ واسطةَ العقدِ
طواهُ الرَّدَى عني فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبي كيفَ لم ينفطرْ له ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلد
وماسرَّني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد
ولا بعته طوعاً ولكنْ غصبته وليسَ على ظلم الحوادثِ من مُعدي

وأما موت الأخ فقدروينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبوطاهر محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفر فلقي غلاماً له فقال له مافعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمرى فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتي قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أباجعفر المنصور لمادفن ابنه جعفر الاصغر قال للربيع كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

ياأهل بكوا لقلبيَ القرح وللدُّموع الذوارفِ السفح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم تبتكر ولم ترح
ياخير من يحسن البكاء له اليومَ ومنْ كانَ أمس للمدح
قد ثمت الحزن بالسرور وقد أديل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن شيبة فأنشده قول الثقفى فى ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمرى لقد أودَى ابنُ أرطاةَ فارساً　　بصنعاءَ والليثَ الهزبر أبى الأجر

تأملْ فإن كانَ البكا رَدَّ هالكاً　　على أحدٍ فاجهدْ بُكاكَ على عمرو

فسرّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يَبقَ مَشرقٌ　　ولا مغربٌ إلا لهُ فيهِ مادحُ

وما كنتُ أدرى ما فواضلُ كفه　　على الناس حتى غيبتهُ الصفائحُ

فأصبحَ فى لحدٍ من الأرضِ ميتاً　　وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ

سأبكيك ما فاضتْ دُموعى وإن تغض　　فحسبك منى ما تجنُّ الجوانحُ

كأنْ لم يمتْ حىٌّ سواكَ ولم تقمْ　　على أحدٍ إلا عليك النوائحُ

لئن حسنتْ فيك المراثى وقيلها　　لقد حسنتْ من قبلُ فيك المدائحُ

وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازعٌ　　ولا بسرورٍ بعدَ موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم قال أنشدنا المقدى قال أنشدنا أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سَرَواتنا　　كأنَّ المنايا تبتغى من تفاخره

فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير انهُ　　حمى أنفه من أن يضيمَ مجاورُه

وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمْ　　وقد ضاقَ بالنكس اللئيم مصادرُه

فصادفَ رق الموت حراً سميدعاً　　إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره

حمى أنفه أوس ولم يثن وجههُ　　ويغشى الحياةَ المرةَ والرمح شاجره

ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كانَ فوتُ الموتِ سهلاً فرَدَّهُ عليهِ الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر

وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فان استطعت أن يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فانه حين قبضه أحرز لك هبته ولو بقى لم تسلم من فتنته ، عجباً لجزعك على ذهابه وتلهفك على فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعانى وهو :)

﴿ الباب الثانى عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول فى الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعنى أبو كُداف أنشد :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطانِ

تلقى بكلِّ بلادٍ أنتَ ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا ألأم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا رديء والجيد النزاع ، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت ألأم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل . وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد . وقال بزرجمهر : من أمارات العاقل بره بإخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشنأ بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها خوفا [١] من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجه إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السباءين والجلاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلتْ نحو اليمامة رفقةٌ دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولونَ إنَّ الهجرَ يشفي من الهوى وماازددتُ إلا ضعف مابي على الهجر

وكان كثيرٌ من العرب ممن يعتزي الى فضل كرم لاينتجعون وكذلك كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعتُ الرمح [٢] اذ قالوا قريشٌ وشبهت الشمائل والقبابا [٣]

---

(١) سقط من الأصل « خوفا » أوما بمعناها . (٢) في الأغاني « السيف » .
(٣) في الأغاني « وبينت الشمائل والعتابا »

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهم   وما سيرتُ أتبع السحابا

وقال الحويدرة [(١)] .

وتقيمُ فى دار الحفاظ بيوتنا   زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع

والأمرع جمع لا واحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .

وقال أبو تمام : كم منزل فى الارض يألفهُ الفتى   وحنينهُ أبداً لأول منزل

وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظئره ودار مهده . وقال آخر : الحنين الى الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرعاية والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :

لقربُ الدار في الاقتار خيرٌ   من العيش المُوسّع في اغتراب

وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تتقوت الحبة ببل المطر إذا أصاب الارض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا : ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذمم من كل شيء كريه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كريه الغذاء ولولا حب الناس للاوطان لخرب أخابث الارض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تحننّ ناقتى   بصحراء من نجران ذات ثرى جعد

وهل تنفضنّ الريحُ أفنانَ لمتى   على لاحقِ الاطلين مطمر ورد

وهل أردن الدهر حسمى مزاحم   وقد ضربتْهُ نفحةٌ من صبا نجد

وذكر ابن الرومى العلة التى يحب الوطن لاجلها وليس له فى ذلك امام إلا

---

(١) في الاصل «الخويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب عليه ، والحويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبى وهو شاعر جاهلى مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الارضَ تسكنها سليمى	وان كانتْ بواديها الجدوب
وما دهري يحب تراب أرض	ولكنْ من يحلُّ بها حبيبُ

وقال ابن الرومي :

ولى وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ	وألا أرى غيرى له الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً	كنعمةِ قوم أصبحوا فى ظلالكا
فقد ألفتهُ النفسُ حتى كأنهُ	لها جسدٌ لولاهُ غودرْتُ هالكا
وحبّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم	مآربُ قضاها الشباب هُنالكا
إذا ذكروا أوطانهمْ ذكرتهمُ	عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا
وقد ضامنى فيها اللئيم وغرّنى	وها أنا منهُ معصمٌ بحبالكا
فان أخطأتنى من يمينك نعمة	فلا تخطئنه نقمةٌ من شمالكا

وقالت فى نحو من ذلك :

ثوَى فى حفرةِ العانات يمنٌ	تغافل في المنازلِ والرّباع
وإن تهوَ البقاع فليس غرواً	هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومى :

فاذا تصوّر فى الضمير وجدتهُ	وعليه أفنانُ الشباب تميدُ

وقيل لاعرابى كيف تصنع بالبادية إذا اشتدّ القيظ وانتعل كل شيء ظلّه ؟ فقال وهل العيش إلا ذاك يمشى أحدُنا ميلا ويرفضّ عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقى عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنّه فى إيوان كسرى . وذكر أعرابىٌّ بلدهُ فقال رملةٌ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابيةٌ : إذا كنت فى غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذلّ . وقال الشاعر في معناه * نصيبك من ذلّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ يكثر فى التنائي	فكانَ الخيرُ أكثر فى التداني

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى ... فسرت مع الوساوس فى عنان
ألا لله حزمٌ واصطبارٌ ... تقاسمهُ بنياتُ الزمان
عزيزٌ أضمرته نوى شطون ... فظلَّ من المهانةِ فى ضمان
يناطُ إلى العزيزِ إذا تبوّى ... بمنزل غربةٍ طرف الهوان

وقال آخر : يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنّ النجيب إلى عطنه . وقلت :

إذا أنا لا[1] أشتاقُ أرض عشيرتى ... فليسَ مكانى فى النهى بمكين
من العقل أن أشتاقَ أوّلَ منزل ... غنيتُ بخفض فى ذُراهُ ولين
وروْض رعاهُ بالاصائل ناظرى ... وغصن ثناهُ بالغداة يمينى

وقال ابن المولى :

سُررتُ بجعفرٍ والقرب منه ... كما سُرَّ المسافر بالاياب
كممطور ببلدته فأضحى ... غنياً عنْ مطالعة السحاب

وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهمْ كممطور ببلدته ... فسرّ أن جمعَ الاوطانَ والمطرا

وفضّل بعضهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى (عَلِمَ أنْ سَيَكُون مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها فى البُعد ، وقال تعالى (فَاذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فى الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً دون أرض ولاقرباً دون بعد ، ويُنشد فى هذا المعنى قول أبى تمام :

وطولُ مُقام المرءِ في الحيّ مخلقٌ ... لديباجتيهِ فاغتربْ تتجددِ
فانى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً ... إلى الناس اذليستْ عليهم بسرمد

وقال[2] فى الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

---

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلةٌ والبركاتُ فى الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قِـدره فى الشتاء .

وقال عبـد الله بن وهب : حبُّ الهوينا يكسِب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التوانى أنكحَ العجزَ بنته ... وساقَ اليها حينَ أنكحها مهرا

فراشاً وطيئاً ثمَّ قال لها اتكى ... فقُصرا كما لا بُدَّ أن تلد الفقرا

وقال نُهيك بن أساف :

ألَمْ أُمَّ نُهيك إرفعى الطرفَ صادِقاً (١) ... ولا تيأسِى أن يثرىَ الدهر بائس

سيغنيك سعيى (٢) فى البلادِ وغربتى (٣) ... وبعل التى لم تحظَ فى البيتِ (٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قال أكثم بن صيفى : مايودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وألبنت ، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز . وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا (٥) » وقال الشاعر وذمّ طول الضجعة :

فانْ تأتيانى بالشتاء وتلمسا ... مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسّام برودٌ مضجعه ... واللقمةُ الفردُ مراراً تُشبعه

وقال الحطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارمَ لا ترحـلْ لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال أبو عُبادة البُحترى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً ... وكان حقىَ أن أُعطى ولم أسـل

أرمى بظنى ولا أعدو (٦) الخطاءَ به ... فاعجبْ لاخطاءِ رامٍ من بنى ثُعل

أسيرُ إذ كنت فى طولِ المقام بها ... أكدى لعلىَ أجدى عند مُرتحلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما ... طالبت في ذملان الأينق الذمل

---

(١) فى الأغانى (صاعدا) . (٢) فى الأغانى (سيرى) . (٣) فى الأغانى (ومطاى) . (٤) فى الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحـديث بألفاظ مختلفة وزيادات لأحمـد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البحترى « فما أعدو » .

ولا تقل أُمم شتّى ولا فرق [1] فالأرض من تربةٍ والناس من رجل

وقال بشار بن بُرد :

تخاف المنايا إذ ترحّلَ صاحبي كأنَّ المنايا في المقام يناسبه

أخذه من قول الأعشى : « وكم من رد أهله لم يرم » والأول أجود سبكا وأفصحُ لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن كان خالد بن عبد الله القسري يُطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم يُطعم ثلاثين ألف انسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه يُطعم الأعراب فقال :

يقولُ ابنُ حجاج تجهزْ ولا تمت هزالا بحرّان تساوى كلابها

فقد خبرَ الركبان أنّ جديده تباح ورغفانا شباعاً رغابُها

وماء فرات ماالشهيت وقرية تدبُّ دبيب النمل فيك شرابها

فاقسم لا أبتاعُ رُغفان خالد بأرواح نجدٍ ما أقام ترابُها

إذا باحت بالمرمتين وصارةٌ رياح الخزامى حين تندى رحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بُغاببني نمير كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم الفصيح فجئت يوماً اليهم في عقب مطر فاذا شابٌ جميلٌ قد نهكه المرض فليس به حراكٌ وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برقٍ على قلل الحمى لهنك من برقٍ عليّ كريم

لمعتَ اقتذاء الطرفِ والقومُ هُجّع فهيجت أسقاماً وأنت سقيم

فهل من مُعير طرفَ عينٍ خلية فانسانُ طرف العامريّ كليم

رمى قلبَه البرقُ اليمانيُّ رميةً بذكر الحمى وهناً فباتَ يهيم

قال فقلت ان فيابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

---

(١) في الأصل (شقق) .

قال عبد الله بن محمد الفقعسي :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بسلع ولم تغلق عليّ دروبُ

وهل أحدٌ بادٍ لنا وكأنه ... حصان امام المقربات جنيب

يحول(١) السراب الطالح بيني وبينه ... فيبدو لعيني تارةً ويغيب

فاني لأرعى النجمَ حتى كأنني ... على كلّ نجم في السماء رقيبُ

وأشتاقُ للبرقِ اليماني إذا بدا ... وأزدادُ شوقاً إن تهبّ جنوب

وله أيضاً :

ومنْ حاجتي لولا الحياءُ وأنني ... أرى الناسَ قد أغروا بعيب صبا الكهل

مسيري مع الفتيان في طلقِ الهوى ... أباري مطاياهم على سلسلٍ رسلِ

فلم يبقَ من تلك(٢) اللذاذةِ عندهم ... وعندي غيرُ الذكر للعهدِ والأهل

وقال أعرابيٌّ :

أمنتزحاً أصبحتَ في رأس مهرمز ... ألا كل كعبيٍّ هناك غريبُ

إذا راحَ كعبٌ مصعداً أنّ قلبهُ ... مع الرائحينَ المصعدينَ جنيبُ

وانّ الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى ... ليحلو بسمعي ذكرهُ ويطيبُ

تفوّقتُ درات الصبا في ظلاله ... إلى أن أتاني بالفطام مشيبُ

إذا هبّ علويُّ الرياح استمالني ... كأني لعلويّ الرياح نسيبُ

ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقدَ القضاءُ عليك أمراً ... فليسَ يحلهُ غيرُ القضاءِ

فمالكَ قد أقمتَ بدار ذُلّ ... ودارُ العزّ واسعةُ الفضاءِ

تبلغْ بالكفاف فكلُّ شيءٍ ... من الدنيا يؤولُ إلى انقضاء

وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى ... رضيتُ من السلامةِ بالاياب

---

(١) في الأصل (يحب) .   (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحترى :

وكانَ رجائى أن أؤوبَ مُمَلَّكاً … فصارَ رجائى أن أؤوب سليما

فصل فى مدح الاخوان

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما[1] أنشدنى أبو على بن أبى حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لى كأيام الحياة اخاؤهُ … تلوّن ألواناً علىّ خطوبُها

إذا عبتُ منه خلةً فهجرتهُ … دعتنى إليه خَلةٌ لا أعيبُها

وقال البحترى :

قدمتَ فأقدَمتَ الندى يحمل الرضا … إلى كلِّ غضبانٍ على الدهرِ عاتبِ

وجئت كما جاء السحابُ[2] محرّ كا … يديك بأخلاف تفى بالسحائبِ

فعادتْ بك الأيام وهى كواكبٌ[3] … جلا الدهرُ منها عن خدود الكواعب

وما أنسَ لا أنسَ اجتذابك همّتى … إليك وتزيينى بأعلى[4] المراتبِ

فياخيرَ مصحوب إذا أنا لم أقمْ … بشكرك فاعلمْ أننى شرُّ صاحب

وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً … رجعت بما أبغى ووجهى بمائه

بلوت رجالاً بعده فى إخائهم … فما ازددت إلا رغبة فى إخائه

وقال دعبل بن على :

أخٌ لى عاداهُ الزمانُ فأصبحتْ … مذمّمة فيما لديه المطالبُ

متى ماتذوّقهُ التجاربُ صاحباً … من الناس ردته اليك التجاربُ

وقال ابراهيم بن العباس :

---

(١) « ما » ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحترى (الربيع) .

(٣) فى الديوان « الايام زهراً كأنها » . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا ... هبَّ الزمان بأذره هبّا

لما رآني نهب حادثة ... جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشام ... وفيُّ العهد مأمونُ المغيب

بطيءٌ العهد ماأستغنيت عنهُ ... وطلاَّعٌ عليك مع الخطوب

والبيتُ الاخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسدٌ ضار إذا هيجتهُ ... وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا

يعرفُ الأبعدُ إن أثرى ولا ... يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضا :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى ... وصارَ له من بين اخوانه مالُ

رأى خلةً منهم تُسدُّ بمالهِ ... فساهمهمْ حتى استوتْ بهمُ الحال

ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أثرَى باخوانهِ ... ففلل عنهمْ شباه العدمْ

وذكره الحزمُ غِبَّ الأمور ... فبادَرَ قبلَ انتقال النعمْ

ومما هو فى هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلي فصار عديلك واستقل ودى فأضحى زميلك ولا مطمع لى في مستقرها حتى تستقر النوى بك وتحقق الأماني فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحنُ فى غفلات عيش[1] ... كأنَّ الدَّهرَ منها فى وثاقِ

وأياماً لنا وله[2] لدانا ... عرِيناً[3] في حواشيها الرقاقِ

وفى هذا الموضع أيضاً قوله :

---

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم»

(٣) فى الأصل «عربيا»

أأيامنا ما كنتِ إلا مواهباً وكنتِ بإسعافِ الحبيبِ حبائبا
سنغربُ تجديداً لعهدك في البكا فما كنتِ في الأيام إلا غرائبا

وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غنى وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحب الودِّ(١) حسامٌ منتضى يزينُ في السلم ويكفي في الوغى

وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسام أكفى وأغنى من أخ ذي كفاية وغناءِ
وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ بمقربهِ وزينةٌ في الرخاءِ

وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراهُ الصديقُ بدالهُ بأرض الأعادي بعض ألوانها الربد

ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنهُ مُقارفُ ذنبٍ مرّةً ومجانبه
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

وقال آخر : إلبس أخاك على تصنُّعه فلربَّ مفتضحٍ على النصِّ
ما ظلتُ أفحص عن أخي ثقة إلا ذممتُ عواقبَ الفحص

وقال آخر :

ومنْ ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معائبه

وكتب الصاحب في فصل : وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس الماء ولم يرق الهواء ولم ترع الحقوقُ والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غ[...]

---

(١) في نسخة « الصدق » .

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالى بردتها .

ومن جيد ماقيل فى اظهار الرغبة فى الاخوان قول أبى فراس بن حمدان :

قل لاخواننا الجفاةِ رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملال
ان ذاك الصدودَ من غير جُرم لم يدع فيَّ موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيئوا لا عدمناكم على كلِّ حال

وقلت فى معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاءُ
ترى يضرُّك أن لوّ يكون منك وفاءُ
لا تبلنـا بصدود إنَّ الصدودَ بلاءُ
بل مالنا منك بُدٌّ فاصنعْ بنا ماتشاءُ

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ إنى وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ
الله يعلمُ أنى لستُ أذكره وكيفَ يذكره من ليس ينساه

وقال الحريمي :

أخٌ لي كذوب الشهدِ طعمُ إخائه إذا اختلفتْ بيضُ الليالى وسودُها
كأمنيةِ الملهوفِ حزماً ونائلاً وعوناً على عمياءِ أمرٍ يكيدُها
له نِعَمٌ عندى ضعفتُ بشكرها على أنهُ فى كلِّ يوم يزيدُها
تحملَ عنى شكرها فأراحنى وللشكر مرقاةٌ كؤودٌ صعودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنى أبو إسحق الشطي قال أنشدنا حماد الراوية[1] :

---

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد فى الكوفة وجال فى البادية ودخل الشام فحظى عند بنى أمية ، قال له الوليد الأموى : بم استحققت لقب الراوية ؟ فقال بأنى أروى لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدنى أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخوانى بعين عناية ... فأصلحتُ منها كلّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاكَ عفو الشكر دونَ اجتهادهِ ... وفى دون ماأوليت مااجتهد الشكر

ومن مليح ما قيل فى مدح الزمان :

رَقّ الزّمانُ لفاقتى ... ورثى لطولِ تحرُّقى
فأنالنى ما أشتهي ... وأراحَ مما أتقى
فلأغفرنّ له الكثيـــرَ من الذنوبِ السُّبّق
حـتى جنايتـهُ بمـا ... فعلَ المشيب بمفرقى

« فى ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك »

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ ... وبقيت فى خلفٍ كجلدِ الأجرب

وضمّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهمْ فكأنّنى ... حاولتُ نتفَ الشعرِ من آنافهمْ
قمْ فاسقنيها بالكبيرِ وغنّنى ... ذَهبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ

وأنشدنا أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر لأبى الشيص :

وصاحب كان لى وكنتُ له ... أشفق من والدٍ على ولدِ
كنا كساقٍ تمشى بها قـدمٌ ... أو كذراع نيطتْ إلى عضـدِ
حتى إذا دانت الحوادثُ منْ ... خطوى وحلّ الزمانمن عقدى

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثيرولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك فى هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلكفأمر له بمـائة ألف درهم ـ كما في الاغانى وغيره .

أحول عني وكان ينظر من عيني ويرمي بساعدي ويدي
وكان لي مؤنساً وكنت له ليس بنا حاجة الى أحد
حتى إذا استرفدت يدي يده كنت كمسترفد يد الأسد

ومن جيد ما قيل في ذي الوجهين :

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصح وعينك تبدي أن قلبك لي دوي
لسانك لي شهد وقلبك علقم وشرك مبسوط وخيرك ملتوي
أراك إذا لم أهو شيئاً هويته ولست لما أهوى من الشيء بالهوي
عدوك يخشى صولتي إن لقيته وأنت عدوي ليس ذاك بمستوي
وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي
كأنك ان قيل ابن عمك غانم شج أو عميد أو أخو مغلة جوي
بدا منك غش طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوي

وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة فنزل بآل عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنية عالية فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها جبال وما شدى بخير شعابها
فليسوا بفتيان السماحة والندى ولكن فتيانا تسوى ثيابها
فقد أصبحت أضياف آل عطارد خماصاً مطاياها خفافاً عيابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيت برداً وحلة وعراك من ثوب السماحة سالبه
فما يك من خير فما تستطيعه وما يك من شر فانك صاحبه

وقال يزيد المهلبي :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتل واذا افتقرت فكلهم لي جافي

وما أكثر أحد في ذم الزمان اكثار ابراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخٍ كانَ منى فلما　　أن رأى الدَّهرَ جفانى جفانى
مستمدٌّ لى بسهم فلما　　أن رأى الدَّهرَ رمانى رمانى

وقال غيره: إحذَرْ مودَّةَ ماذِقٍ شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ
يُحصى العيوبَ عليك ايـــامَ الصـداقةِ للعـداوَهْ

وقال إبراهيم:

بلوتُ الزَّمانَ وأهـلَ الزَّمان　　وكلٌّ بلومٍ وذمٍّ حقيق
فأوحشنى من صديق الزمان　　وآنسنى بالعدوِّ الصديق

وقوله: أخٍ كنتُ آوى منهُ عندَ ادِّكارهِ　　إلى ظلِّ آباءٍ من العزِّ باذخ
سعتْ نُوَبُ الأيامِ بينى وبينه　　فأقلعنَ منا عن ظلوم وصارخ
وإنى وإعدادى لدهرى محمـداً　　كملتمس إطفاءَ نارٍ بنافخ

وقال بعضُ الجعفريين:

إنَّ الجديدينِ فى طولِ اختلافهما　　لا يفسدانِ ولـكن أفسد الناس
فلا يغرنك أضغانٌ مُزَمـلةٌ　　قد يُركبُ الدبر الدامى باحلاس

قالوا هو من قول زفر بن الحارث:

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى　　وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قالوا يعـنى الرجـل يظهر لك الود ويضمر خـلافه كالنبات الحسن ينبت على القـذر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن، وقال آخرون: الدمنة حيثُ تنزلُ الابلُ فتدمن بالأبوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فاذا طال عليه العهد وسفته الرياح وأصابته السماء نبت بعـد حين، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألفاظ البيت تقتضيه والأول فاسد لأنه ليس على مقتضاها.

وقال أبو فراس بن حمدان فى ذم الاخوان فأجاد:

تناسانىَ الأصحابُ إلا عُصيبة　　ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناس سيةً ... وذم زمان واستلام خليل

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه [١] ... وخلى أمير المؤمنين عقيلُ

ومن ذا الذي يبقى [٢] على الدهر إنهم ... وإنْ كثرت دعواهمُ لقليلُ

وصرنا نَرَى أنَّ المتارك محسنٌ ... وان خليلاً لايضرُّ وصولُ

أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبٍ ... يميلُ مع النعماءِ حيثُ تميل

وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء ... ولا ترعى حُقوقَ الاصدقاءِ

فمن لي أن أرَى لكَ مثـلَ فعلي ... فنصبح في الودادِ على استواءِ

ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ ... سوى خلقِ الرعايةِ والوفاءِ

عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً ... لأنكَ قد عريتَ من الحياءِ

فان ترجع إلى الحسنى وإلا ... فخيرُ سبيلنا تركُ اللقاءِ

وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدي ... فما الاجداءُ إلا في التنائي

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك البصري لنفسه يذم الزمان:

يازماناً ألبسَ الأحرارَ ذلاً ومهانَهْ

لستَ عندي بزمان ... إنما أنتَ زمانَهْ

وقلت: زمانٌ كثوبِ الغولِ فيه تلوُّنٌ ... فأوّلهُ صفوٌ وآخرُهُ كدر

وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حُللاً تصانُ على رجالٍ ... وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ

يقولونَ الزّمان به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فسدَ الزّمان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكبَّ الأعالي بارتفاع الأسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن سحيم:

متى ما تنكر في الزّمانِ وأهلِهِ ... تقل لاعبٌ هـذا وليسَ بلاعبِ

---

(١) في ديوان أبي فراس «خليله». (٢) في الديوان «وإن الذي يبقى».

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبلّدَ هذا الدّهر فيما رَجوْته ... على انه فيما أحاذِره نَدب

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :

لاتعجبنك عمامتي ... فالفقرُ من تحتِ العمامهْ

والفقرُ في زمنِ اللئا ... مِ لكلّ ذي كرم علامه

وقلت فى قريب منه :

وليسَ ينفكُّ كشخانٌ يجاذبنا ... علامةُ الحرّ أن يبلى بكشخان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

ربّ قد ضاقت النفو ... سُ وقد قلّت الحِيلْ

فلكٌ لايدورُ إلا ... بما تشتهى السفلْ

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها ... عجائبَ حتى ليسَ فيها عجائبُ

ومن عادةِ الأيام أنّ صُروفَها ... إذا سرّ منها جانبٌ ساء جانبُ

وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذى بصروفِ الدّهرِ عيّرنا ... هل عاندَ الدّهرُ إلا من له خطرُ

فانْ تكنْ نشبتْ أيدى الزمانِ بنا ... ومسّنا من تمادى بُؤسهِ ضررُ

ففى السماءِ نجومٌ غير ذى عدد[1] ... وليسَ يكسَفُ إلا الشمسُ والقمر

أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ ... وتستقرُّ بأقصى قعره الدُّرَر

وقريبٌ من هذا ماقلته :

إن كنت تسلمُ من شغبِ الزمان ولا ... أعطى السلامة منه كلما شغبا

فالعاصفاتُ إذا مرّتْ على شجرٍ ... حطمنه وتركن البقلَ والعشبا

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكى لنفسه في المعنى الأول :

---

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولونَ زُرْنا واقضِ واجبَ حقنا ... وقد أسقطتْ حالى حقوقهمُ عنى
إذا أبصروا حالى ولم يأنفوا لها ... ولا لهم منها أنفتُ لهم منّى

وأنشدنا أبو على بن أبى حفص قال أنشدنى أبو جعفر للعطوى [1] :

لىَ خمسونَ صديقاً ... بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخلع بهمْ ثوبَ الفقير
كلهمْ كالَ لىَ الحرمانَ بالصاع الكبير

ومن هنا أخذ ابن الرومى قوله :

سألتُ قفيزينِ من حنطة ... فجدتَ بكُرٍّ من المنع وافي

وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً ... مالكَ بُدٌّ من مداراته
أصبحت في دار إساآته ... أعداد أنفاسى وساعاته

وأنشدنى عم أبى لأبى الأسد الدينورى [2] :

ليتك أدّبتنى بواحدة ... تقنعنى منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لى لاتبرّنى [3] أبداً ... فانّ فيها برداً على كبدى
اشف فؤادى منى فانّ به ... علىّ قرحاً [4] نكأته يدى
ان كانَ رزقى اليك فارم به ... فى ناظرى حية على رصدِ
فكيفَ أخطأت لاأصبت ولا ... نهضت من عثرة الى سدد

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً فى الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق اليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بنى شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النوادر . (٣) في الأغانى « تحلف أن لاتبرنى » .

(٤) فى الأغاني (منى جرحاً نكأته) .

لو كنت حُراً كما زعمت وقد | كددتنى بالمطال لم أعد
لكننى عدتُ ثم عُدت فان | عدت إلى مثل هذه فعد
قد صرت من سوء مابليت به | أكنى أبا الكلب لا أبا الاسدِ
وقلت: العين تذرف والفؤاد يذوبُ | والوجد يحضر والعزاء يغيبُ
ولقلة الكرماء أنت مُضَيَّعٌ | ولكثرة الجهال أنت غريب
تالله لم تخطئك أسباب الغنى | إلا لأنك عاقلٌ وأديب
فاصبر فقد عزّاك عن درك الغنى | أن ليس يدركه أغرٌّ نجيبُ
عابوا قطوبى ان تعذر مطلبي | أرأيت بدراً ليس فيه قطوب
وشحوب جسمى من مواصلة السرى | هل من هلال ليس فيه شحوب
ولقد يدلُّ على كمال كرامتى | أنى الى قلب الكريم حبيب
ولقد جلا حزنى وفرّج كربتى | أنَّ اللئيم لرؤيتى مكروب
لاتلعبنّ فمن ورائك طالبٌ | ومن العجائب لاعبٌ مطلوب

وقال أبو تمام :

هبْ من له شيءٌ يريدُ حجابَهُ | مابال لاشيء عليه حجابُ
مازالَ وسواسى لقلبي خادعا | حتى رجا مطراً وليس سحاب
ما انْ سمعتُ ولا أرانى سامعاً | يوماً بصحراء عليها باب
ما كنت أدرى لادريت بأنه | يجرى بأفنية البيوت سراب

《 فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز 》

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال حدثنا محمد بن عبيدالله العتبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك فى حاجة لرجل فقال عِدهُ على قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجو القدرة ؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذ

لم يتقدمها موعد ينتظر به نجحها لم تتجاذب الأنفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعم والانجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجةً فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاخوان وان كان المعطي لايعد لارتفعت مفاخر انجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان لجلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالانجاز من جملة المخلفين وأدخل فى عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فان من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ماذكرت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرنى عون بن محمد قال ذكر العتابى المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندى بالوعد وانتجه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبه بالتعهد وهرمه باستتمامه من جهاته وهنأه بترك الامتنان به .

ومن عجيب ماجاء فى الحث على الانجاز ماحدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المعذل قال شكا رجلٌ جعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقّع : يابنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواءً فى الأقوال والأفعال فان الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فان أخفق أمله كان سبباً لذمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجز الوعد وإلا فقصر القول فانه أعذر والسلام .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهر بالوعد أن يثمر بالفعل .

ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبى تمام :

تؤمُّ أبا الحسين وكان قدماً فتى أعمارُ موعده قصار
تحنُّ عداته أثر التقاضي وتنتج مثل ماتنتج العشار

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون فى الحسين ابن الضحاك الخليع أن يردّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :

فلا فرحَ المأمون بالملك بعده ولا زال فى الدُّنيا طريداً مشرَّداً

فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
أُعيذك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
فمالى شفيعٌ عندَ حُسنك غيرهُ ولا سببٌ إلا التمسك بالوُدِّ
أيبخلُ فرد الحسنِ فردُ صفاتهِ علىَّ وقد أفردته بهوى فرد

فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى اللهُ عبد الله خير عباده فملّكهُ واللهُ أعلم بالعبد

قال هذه بتلك وقدعفونا عنك . فقال ياأمير المؤمنين فأتمم عفوك باحسانك فأمر بردّ أرزاقه عليه وكانت فى كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا انى نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل مافعلته ، وانما ذكر العهد في تشبيبه فذكرنيه . وماأحسن ماقاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف قبحه على البخل قبله فما قولك فى أمر البخل أحسن منه وأجمل .

(ماقيل فى الضحك والبشر عند السؤال)

أول من أتى بذلك زُهير فى قوله :

تراهُ إذا ماجئته مُتهلّلاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله

ولو قال مكان « إذا ماجئتهُ » « إذا ماسألته » لكان أجود .

ومن الجيد في ذلك قول أبى نواس :

بشرهمُ قبلَ النوالِ اللاحقِ كالبرقِ يبدو قبل جودٍ دافق
والغيثُ يخفى وقعُهُ المرامق إن لم يجده بدليلِ البارق

وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزلُ الأملَ البعيد ببشره بُشرى المخيلة بالغياث (١) المغدق
وكذا السحائبُ قلما تدعو الى معروفها الرُّوّاد مالم تبرق

وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التى بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالمزنة استؤنفت أُولى مخيلتها ثمّ استهلتْ بغزر تابعَ الديما

وقال أبو عبدالله القطربلى قلت للبحترى وقعت دون أبى تمام فى هذا المعنى فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال فى أبى الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد (٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحائب مابدأنَ بوارقا فى عارضٍ إلا ثنينَ رواعدا

والرعد لايكون إلا ومعه الغيثُ فكأنه قال إلاثنين مواطراً ثم ردّه فقال :

إنما البشرُ روضةٌ فاذا أعــقب بذلاً فروضةٌ وغديرْ

وقال البحترى :

ملكٌ عندهُ على كلِّ حالٍ كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأنا من وعدهِ ونداه أبداً بين روضةٍ وغدير

وقال : ضحكات في إثرهنّ العطايا وبروق السحابِ قبلَ رُعودهْ

وله أيضاً :

مُتهلِّلٌ طلقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أتبع بشرَه بالنائل
كالمزن إن سطعتْ لوامعُ برقه أجلتْ لنا عن ديمة أو وابل

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

---

(١) في ديوان أبى تمام (بالربيع). (٢) فى ديوان البحترى (بعوائد)

لست تلاقي سائلاً رده   تعيد بشر سؤدد وتبدى

كالبرق يأتيك أمام الرعد   بشرى الغيوث بحباب رعد

يلقى بك الطالب نجم السعدِ   بلغت فى الاعمار أقصى المد

﴿ فصل فى تعمية الأشعار ﴾

عمّى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غاظ فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق   نظيف مقبل بملب نظيف

طريف مدل فايق نظيف   فايق مقبل نظيف فايق

رشيق بدر معلب لمن   نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا   دماء وحفتها مدامعُ حُفّلُ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذى كان نزعة   يحصّنهُ ستر من اللهِ مسبلُ

لماذا هتكتَ الستر عنك تعمداً   ولستَ بحمدِ اللهِ ممن يُجهّلُ

رأيتك قد عميتَ بيتاً رسمتهُ   بكلّ خطاء فهو مثلك أحولُ

وكان لمتبول الفؤادِ معذبٌ   أخى حسرة بالهجرِ والصدّ يُقتل

فقالَ وقد رامَ السلوّ فلم يجد   وبات كئيباً بالياً يتململ

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا   دماء وحفتها مدامعُ حُفّلُ

وعمى حمزة الأصفهانى على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيرى بنفسج حماحم   شاهسفرم اقحوان نسرين

نسرين أقحوان نسرين مرزنجوش   ورد ياسمين نسرين

زعفران نمام سوسن أفرنجمشك   آس منثور مرزنجوش

بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش   نسرين نمام منثور

خيرى مشورا قحوان زعفران سيسنبر خزامى بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت :

كفى حزناً أنّ الجوادَ مُقتّرٌ   عليهِ ولا مَعرُوفَ عند بخيل

فكان الجواب الصادر :

فِداكَ أبا يعلى أخٌ لكَ لم يَزَلْ   يَعدّكَ ذخراً عندَ كلّ جليل

إلى أن قال :

فقالَ وقد جابَ البلادَ فلم يجد   أخا ثروةٍ يسخى لهُ بقتيل

كفى حزناً أنّ الجوادَ مُقترٌ   عليه ولا معروفَ عندَ بخيل

ومن أحسن ماقيل فى هذا قول أبى سعيد الأصفهانى وقد عمى عليه زياد بن جعفر الهمدانى بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا   وأنزلَ غيثاً أغاثَ البلادا

وأسرجَ فيهِ وميضُ البروقِ   مصابيحَ تزهرُ منه اتقادا

وثجّ [1] فما شكّ ذو ناظرٍ   رأى سيلهُ أنّ فيهِ مزادا

فعمّ بشربوبه سادتى   وخصّ بأغزرِ سقى زيادا

زياد بن جعفر المستجار   لصرفِ الزّمانِ إذاما عادى

فداؤكَ نفسى وإن سمتنى   عناءً طويلاً حمانى الرّقادا

أتتنى الطيورُ فساترتنى   ببيت تعمقت فيه عنادا

إلى أن تمكنتُ من صيدها   وقد صدتها إذ عرفتُ المصادا

وقلتُ لها غرّدى بالذى   كتمتِ فأمرعنَ نحوى انقيادا

وأنشدتُ بيتاً مُعادَ الفصول   ولستَ ترى فيه معنى مُعادا

ومن ذلّ قلّ ومن قلّ ذلّ   ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا

أردتَ مقاطى فما نالتهُ   فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا

وأبقاكَ ربى بقاء النعيم   عليك وملاك منه وزادا

---

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعمى :

دمعي على الخد سكب   ونار شوق تشب
وليس يبقى على ما   يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالي   إذ مورد العيش عذب
وإذ شبابي لدن   وغصن قدي شطب
ياجعفر القوم يامن   يدعى اذا جل خطب
فداك عبد مشوق   الى لقائك صب
أبعدتني وسواء   بعد لديّ وقرب
أخلاط طيب أتتني   منها يبيس ورطب
قربتها نار طبع   بدوم والنار تخبو
عود ومسك ذكي   وعنبر مستحب
أوردتها نار فكري   ففاح شرق وغرب
وهب للفهم منها   روائح لا تهب
فنلت بالشم مالم   ينله عجم وعرب
بيتا كما اهتز روض   أو أكل الوشي عصب
شيب وسن وجهل   هذا لعمرك صعب
بجعفر وأخيه   نال الورى ما أحبوا
نفسي فداكم وما قد   أهل بالحج ركب
ذنبي انقطاعي اليكم   ان عد للناس ذنب
فذاك للخلق كهف   وذاك للمجد قطب
ليث إذا عض دهر   غيث إذا اشتد جدب
لي منهما اليوم رأى   يرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ماتقدم فاذا

مضت الـكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتى على آخر البيت . ووجه استخراج المعمى أن تنظر الى الأسماء التى جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربمـا لم يصدق هذا الظن ولـكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللامَ فانها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ماطال في البيت من الكلمات فاذا رأيت الألف فى أولهـا فظن بالثانية أنها لام وربمـا تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والليث وفى قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع فى البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً فى الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت فى البيت كلة على حرفين والثانى منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلة على حرفين فظن بها أنها (من) فان رأيت كلمـة على حرفين وأولها ألف فظن بالثانى أنه نون أو واو أو ميم ، فاذا عرفت الألف فى أول كلة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فاذا عرفت الألف ورأيتهـا وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذى قبلها انه هاءٌ أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التى يقل تكرارها فى البيت فتنظر الى الـكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لاتخلو من حرف منها أوحرفين . ولا ينفع مامثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة القريحة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضى أنه عُمّى له قول الشاعر :

وكن ذاكراً بيت النوبيع إنهٌ سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمروزيد صقرسهل رشد بدر عمرو حمدقصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقرفخر سعد سهل صقر .

قال فأول ما استخرجت منه الا ألف لأنها أ كثرمافيه من الحروف ثم عرفت بعدها اللام لأنهما واقعتان فى قوله(التوبيغ) وفى قوله (الابيب) فلماصحت الألف واللام رأيت اللام قد تكرر فعلمت أنها لاتتكرر إلا فى مثل الابيب واللطيف وكان أقربها فى ظنى اللبيب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الياء والباء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لى بيت وبيد وبيش وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شىء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة (على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين فى آخرها فطلبت على هذا المثال ماآخره عين فجاءنى جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين فوضعتهمامع سائر الحروف فخرج لى : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما شاكل ذلك فقابلت ماخرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب فى المعنى مع ادخال اللبيب بينهما فصح لى أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيداً فى أول الكلمة الأخيرة واوفلما صح (على سمع اللبيب) لم أشك أن الكلمة السادسة (سيحلو) قدظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلماعرضت الكلمة مع سائر الحروف لم يطابق يعذب فى المعنى إلايحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن جميعاً أن الذى ظهر من البيت يدل على أنه فى ذكر شىء فيه كناية في وسط البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن الى أن بعدها هاء وان الكلمة (إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن أول كلمة فى البيت (وكن) بغيرشك وانالثانية « ذا كراً » لأن الدال ظهرت فى يعذب والالف معروفة والكاف قد بانت من الكلمة الاولى والالف الثاني

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا الغين فقط فلم أدر ماهو فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النويبغ) لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعمى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ملتمساً وكنتُ أشكو اليه ضيقَ يدى
أحصت ألوفا يسراهُ أربعة منقوصة سبعة من العدد

وفى هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت فى ضرب من المعمى :

وأصفرٌ تحمرُّ أطرافه يا حُسنه منْ مطرف مُعلم
صدَّره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدّين لم يأثم
وهو على ما كان من ذلّة سُمّي باسم الملك الأعظم

أعنى حصيراً والملك يُسمّى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غلب الرّقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام

وقلت: وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتا
وميّت غيبوا في الأرض جُثّته عمداً لكي يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثانى الفخ . ومن مليح المعمى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورّى فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمن فما لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٍ من أبيك منبتها حتى اذا أينعتْ قطفناها
تخبرنا ماهما وما سُبُلٌ تشعبت منك قد سلكناها

لم تمش فيها ريثاً ولا عجلاً ولم نطأها وقد وطئناها
فإن تصبها فأنت ذو فطن وحاجتي أن تصيب معناها

فقال أيها الأمير إنه كلام رديء أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أبيك فالأخت وأما السبل التي تشعبت فالأم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخر يذكر دعوة يدعو بها على رجل:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تمكر وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهن قارع
اذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
وانى لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

﴿ أحسن ماقيل فى تقبيل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبى بكر بن محمد بن خلاد الباهلى عن محمد بن الفضل عن أبى الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال كنت فى غزوة فى بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو فحاص الناس حيصة [1] فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف ننظر فى وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم نخرج فلا يرانا أحد فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون . قال « بل أنتم الكرارون » فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ (إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ).

وباسناد لنا أن ابن أبى ليلى قبل يد أبى مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبى مسلم؟ قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلني

---

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتبي قال قبل رجل يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيلي الصدق شعيبي الرفق فمن أرادك بريبة خوف أو سوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .

ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ تقاصرَ عنها المثلْ
فبسطتها للغِنى وسطوتها للأجل
وباطنها للندَى وظاهرُها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموتُ هزيلا
فامدد إليّ يداً تعوّد بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال أيضاً * له راحةٌ فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرُها للناس ركنٌ مقبَّلٌ وباطنها عينٌ من الجود عيلم
هو البحر لا عينٌ من الجودِ عيلمٌ عفاء على عين من الجود عيلم
يجلُّ عن تقبيلِ ظاهرِ كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة ومن العجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذل لي أو تخدع فاعفني من ذلك .

الحض على السلام

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن عبد الله التمري عن الضحاك بن مُخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمْ فإنْ قام والقومُ جلوس فليسلم فإنّ الأُولى ليست بأحقّ من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلا مرّ برسول الله ﷺ وهو يهرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الردّ عليكَ إلا أني خشيتُ أنْ تقولَ سلمتُ عليه فلم يَرُدّ عليّ فاذا رأيتني هكذا فلا تسلمْ عليّ فانك إن تفعلْ لا أردُّ عليكَ السلام » وعنه عليه السلام « تمامُ التحيةِ أخذٌ باليد » وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن جدته عن مكعب الأسدى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً ... عليك السلامُ أبا القاسم

سلام الالٓه وريحانهُ ... وروح المصلينَ والصائم

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ تحيّةُ الموتى » قال المصنف تقول العرب للميت «عليك السلام» قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ ... وقد بنت منا كانا الك حامد

فلا يُبعدَنْك اللهُ ميتاً فانما ... حياةُ الفتى سيراً الى الموتِ قاصدُ

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم ... ورحمتهُ ماشاءَ أنْ يترحما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن الكنانى على عبد الله بن جعفر ذى الجناحين (١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ ... وسيد فهر لدى المحضر

فأنتَ المهذَّبُ من هاشم ... وخير قريشٍ إذا تذكر

---

(١) لقبه به النبى ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه وهما ممسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إنّ اللهَ تعالى قد أبدله بهما جناحين يطيرُ بهما فى الجنة حيثُ شاء » كما فى جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه للأموات وقد أمكنك أن تقول « سلامٌ عليك أباجعفر » ثم جمعت لي ما كان لرسول الله ﷺ ووصفتني بصفته ، قال فاستمع البيت الذي سقت له ما سقت قال هاته فقال :

فهذي ثيابي قد أخلقتْ ... وقد عضني زمنٌ منكر

فقال عبدالله هذي ثيابي لك بها، ودعا بغيرها ودفعها اليه .

السلام على الكفار

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهُذلي قال سلم نصرانيٌّ على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار عليّ عافاك الله تعالى وإيانا برحمته .

رد السلام بالاشارة

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الاسفاطي عن ثابت عن عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف كان يردُّ عليهم قال كان يشير اليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن أبي هفان عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا فقلناها السلام عليكمُ ... فبلغها ضيق المحل غيورُ

وما كنت أدرى أن في الخير ريبة ... ولا انّ رجعاً بالسلام يضير

ماجاء فى المصافحة

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حُميد عن اسحق ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة عن ابن

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لَقِيَ المؤمنُ المؤمنَ فصافحَ أحدُهما صاحبَه تناثرت الخطايا بينهما كما يتناثرُ وَرَقُ الشجرِ »

وقال الحسن: المصافحة تزيد المودة ، وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت ابراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلٌّ قبّل يده إلا اسحق بن اسرائيل فانه قال يا أمير المؤمنين ماينقصك أن أقبّل يدك ، ولم يُقبّل يد المتوكل — وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسّان عن الحسن قال المصافحةُ تزيد في المودة وسمى بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازني لبعض شعراء الشام :

تصافحت الأكفُّ وكان أشهى ... إلينا لو تصافحت الخدُودُ
نموت إذا التقى كفٌّ وكفٌّ ... فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيد

وقال آخر :

فصافحت من لاقيتُ في البيت غيرها ... وكلُّ الهوى مني لمنْ لم أصافح

وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّتْ بنا ... ممسوطةً كوراً على بغل
قد نقطت في كفها نقطةً ... مخافةَ العينِ من الكحل
لقيتُه يوماً فصافحته ... فقال دع كفي وخذ رجلي

﴿ حياك الله وبياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل ملّكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي بياك

أضحكك ، وقال علي الأحمري أرادوا بوأك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا الهدايا والمشايا ، وقال ابن الاعرابي معناه قصدك بالتحية و بيت الشيء قصدته واعتمدته ، وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التُّستري عن ابراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطاح العقيلي بقوم من بني تميم فأحسنوا اليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حيّاكم اللهُ فاني مُنقلبْ　　بشكرِ إحسانكم كذا يجبْ
وإنما الشاعر كالكلبِ الكلب　　علك عند رغبٍ وان رهبْ
لا يرعوى لمبغض ولا مُحبّ　　أكثر مايأتي على فيه الكذب

وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيّا الاله خيالها من دانٍ　　لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
لو كانَ عرّجَ أو تملّلَ ساعةً　　حتى نسائلهُ عن الأوطان
كفانِ شيدتا بناءَ محامدٍ　　لمهذّبٍ هشٍّ أخي إخوان
تلقى له دعة الكهولِ وحلمهم　　وتقاهمُ وحلاوةَ الفتيان

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيّاكَ من لم تكن ترجو تحيتهُ　　لولا الدراهمُ ما حياكَ إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأنشده :

هرون ياابن الأكرمينَ حسبا　　لما ترحّلتَ وكنتَ كثبا
من أرضِ بغدادَ تؤم المغربا　　طابتْ لنا ريحُ الجنوبِ والصبا

وَنزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا ما كانَ من نشرٍ وما تصوّبا
فرحباً ومرحباً ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحباً وأهلاً ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الغرّتينِ فى الدّولتينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الحتدينِ فى المصرينِ
مرحباً مرحباً بمن كفهُ البحرُ إذا فاضَ مُزبد البحرينِ

فوصله وقدمه . وقديماً ما استعملوا مرحباً فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى[1] :

وبالسهل ميمون النقيبةِ قوله لملتمس المعروفِ أهلٌ ومرحبُ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً فقال فيه الاعرابى :

وما مَرْحباً إلا كريح تنسمتْ إذا أنتَ لم تخلطْ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنتَ لايباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقيل له من أنت قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

---

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال فى ذلك كنت واقفاً بين يدى المتوكل وقد جىء برأس إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئتَ بما يشفى من الغليل

بجملة تغنى عن التفصيلِ برأس إسحقَ بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدنى ثعلب :

فمالك نعمةٌ سلفتْ إلينا وكيفَ وأنتَ تبخلُ بالسلام

سوى أن قلتَ لى أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام

وقلتُ : تضنُّ بتسليم وزَوْرَةِ ساعةٍ فكيفَ يُرجّى جودُ كفيك بالوفر

وأنشدنا عنه عن أبى موسى محمد بن موسى مولى بنى هاشم قال أنشدنى عبدالسلام ابن رغبان الحمصى المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبى وإن قلتُ لهُ بأبى من ليسَ يعرفُ غيره أربى

قرطستُ عشراً فى مودّتِه لبلوغ ما أمّلتُ من طلبى

ولقد أرانى لومددتُ يدى شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلتُ يوماً لها وحرّكتِ العو د بمضرابها فغنّتْ وغنّى

ليتنى كنتُ ظهرَ عودك يوماً فاذا ماأخذته صرتُ بطنا

فبكتْ ثم أعرضتْ ثم قالتْ من بهذا أنباك في النوم عنا

قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبى ما عليك أن أتمنّى

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبى فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لى . فوصله ووقّع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندى عن عبيد الله بن عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حالُ من يهلك ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه   نغّص عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألــت به كيف حالهُ
ياقريباً مزارهُ وبعيداً نوالهُ
حاضراً لي صدوده حين يرجى وصاله
مسعدٌ لي مقاله فاتكٌ لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعالهُ

ماجاء فى أطال الله بقاك

أول من قاله عمر رضى الله عنه ـ روى عن رفاعة بن رافع قال شهدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعليٌ وطلحة والزبير وسعدٌ يذكرون الموؤدة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال عليٌ عليه السلام إنها لاتكون موءودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعضُ الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلىّ بعض إخوانى من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاك كما أطال جفاك وجعلنى فداك إن كان فىّ فداؤك ـ شعر :

كتبت ولو قدرتُ هوًى وشوقاً   اليك لكنتُ سطراً في الكتاب

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيتُ لأبى تمام .

جعلت فداك

دخل الزُّبير على النبى ﷺ وهو عليلٌ فقال ما يعمدك جعلنى الله فداك فقال

النبي ﷺ « يازُبيرُ أماتركتَ أعرابيّتكَ بعدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن إسحق قال حجبني خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عني فعرفه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبك إنسانٌ فافعل به ـ لا يكنى ـ قال فجئت فحجبني فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءكَ من كلّ سوءٍ　　الى حُسنِ رأيك أشكو أُناسا
يحولونَ بيني وبينَ الدُّخولِ　　فما انْ أسلِّم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمركَ في نافذٍ　　فما زاده ذاك إلا شماسا

فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعلت ياأبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم الى نافذ وغيره أن لا أحجبَ متى حضرت.

دعاء المكاتبة

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقدّمني الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر في أخيه صقر :

أخي أنت في دينٍ ودُنيا كلاهما　　أُسَرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُ
إذا ما أتى يومٌ يفرّقُ بيننا　　بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر

فقيل له هذا يُروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير قائله . فأما قولهم (وأتم نعمتـه عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدي بن الرقاع :

صلّى الالآه على امرىءٍ ودّعته　　وأتمّ نعمتـه عليه وزادها

قالوا وأول من قال « وأسأله أن يُصلي على محمد » إسحق بن سليمان بن علي. وأنشد للسري في ضدّ قولهم مُتّ قبلك وان الحظ عنده أن يكون هو ومن يحبُّ يموتان في وقت واحد :

لا مُتُّ قبلك ياأخي لا باخلا　　بالنفسِ عنك ولا تَمُتْ قبلي
وبقيتَ لي وبقيتُ فيك مُمتَّعاً　　بالبرّ والنعماءِ والفضل

حتى إذا قصد الحِمامُ لنا | من بعدِ عُمرٍ وارد الحبل
مُتنا جميعاً لا يُؤخَّرُ واحد | عن واحدٍ لمرارة الثكل
وكفاك من نفسي شهيدٌ ناطقٌ | ياصاحِ أنك عندها مِثلى

وفى نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها | بعدى وأكره أن أقدّمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حِمامها | أُحكَّمُ فى أمرى لشاطرتها عمرى
فحلّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً | فمانت ولا أدرى ومتُّ ولا تدرى

وقريب منه قول الآخر :

لامتّ من قبلى ولامُتُّ من | قبلك بل عشنا الى الحشرِ
حتى نُوا في الموتَ في ساعةٍ | لاأنتَ تدرى بى ولا أدرى

« كيف أصبحت »

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ، وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ فى يومك كان الليلة كذا إلى الزوال فاذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ، وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخي قال العربُ تقول صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة . وحدثنا عنه عن الباهى عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قيل لأبى عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزارى:

أصبحتُ لاأحملُ السلاحَ ولا | أملكُ رأسَ البعير إن نفرا
والذئبُ أخشاه إن مررتُ به | وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا

وحدثنا عنه عن أبى ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسائى

فقال له رجل كيف أصبحت ؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيري (١) :

أصبحتُ مالى من عزّ ألوذ به إلا التمرّز بعد السيف والبدن
بعرضيةٍ جانب الأدنون جانبها والأهلُ بالشام والاخوانُ باليمن

وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى عن أبى زيد :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يُنبتُ الوُدّ في فؤادِ الكريم

وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسن ابن الضحاك الخليع قال كنت فى المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديد فقلتُ له من أين لك هذه ياأبا علىّ ؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه أخذها من مواس بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقمت فأجد مُويساً وقد لبس جُبة أخرى فقلت :

كيف أصبحتَ ياأبا عمرانِ يا كريمَ الاخاء والاخوانِ

فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلتُ :

إنّ لى حاجةً فرأيك فيها إننا فى قضائها سيّانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جُبة من جبابك الخزّ حتى لايرانى الشتاءُ حيثُ يرانى

قال خذها ، ومد كمه فدرعتها وجئت فقال أبو نُواس من أين لك هذه؟ قلت من حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن على بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومى أعودُه فقلت له كيف أصبحت فقال كما قال الشاعرُ :

---

(١) شاعر إسلامي بدوى مقلّ ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالي أسرعتْ في نقضي   أخذنَ بعضي وتركنَ بعضي

أقعدنني من بعد طول نهضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمر   أرفعُ من ثوبيَ ما كنت أجُرّ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبدالرحمن التيمي عن أبيه قال لقي بكر بن عبدالله المزني أبا تميمة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمة ؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله عليّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة قد ألقاها اللهُ في قلوب الناس لستُ لها بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير على أنَّ النوَى مطمئنةٌ   بليلى وانَّ العينَ يجرى مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحتسب على الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت ياأبا ربيعة ؟ فقال ارتجالاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضا   أشكو العروقَ النابيات نبضا

كما تشكى الأرجى القرضا   كأنَّما كان شبابي قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرق   ومابي من سقم ومابي تعشقُ

ولكنْ أراني ما أزال بحادثٍ   أغادى بما لم يمس عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ واللهِ فى مضيق ... هل منْ دليلٍ على الطريق
أفٍّ لدنيا تلاعبتْ بى ... تلاعبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيها دُرَيهماتٍ ... فبغضتنى إلى الصديق

وحدثنا عنه عن على بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سيء الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد مُررتُ بما صِرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا ؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهؤلاء ، قال سفيان إن كان فى الناس أحدٌ طلب الدُّنيا من حيثُ يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلبي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذا غُربة ... أدفعُ من همٍّ إلى كرْبه
أطلبُ عُتبى من حبيبٍ نأى ... وليسَ لى عُتبى ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجاز لأبى العالية كيف أصبحتَ ؟ قال على غير ما يحب اللهُ وغير ما أحب وغير ما يحبُّ إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الازرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بنى ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حُراثة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلى وكنت أنا قاعداً فى مقعدك وكان قميص ابنى المرقوع على ابنك والتومتان اللتان فى أذن ابنك على ابنى . قال يزيد فالحمد لله الذى جملك كذا وجعلنى كذا ، فقال إلا أنى فى ضيق أنتظر سعةً وأنت فى سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبى العيناء عن العتبي قال قيل لأعرابى كيف

أصبحت قال أصبحت أعثر بالبعرة وأقيد بالشمرة وأفزع من النمرة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزنى قد آلى على نفسه أن لايسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إنى لاصرفُ نفسى وهى صادية ٌ عن مصعب ولقد بانت لىَ الطرق

رعوى عليه كما أرعو على هرم قبلى زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ

مدحُ الكرام وسعىٌ في مسرتهم ثم الغنى ويدُ الممدوح منطلقُ

ومثله قول حاجز الأزدي (١) :

وإنى لأستبقي إذا العسرُ مسنى بشاشةَ وجهى حينَ تبلى الطبائعُ

فأعفى ذرى قومى ولو شئتُ نولوا إذا ماتشكى الملحفُ المتضارع

مخافةَ أن أقلى إذا جئتُ زائراً وترجعنى نحوَ الرّجالِ المطامع

ومن مليح ما قيل فى فديتك :

فدتك النفس وهى أقلُّ بذلٍ على حسن المقال بحسنِ فعلٍ

أرنى منك في أمرى نهوضاً يبين أن شغلك بى كشغلى

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندى أحمد بن أبى طاهر والناشى ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيبة لم ير الناس أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشى رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا لردُّوا النواظرَ عن ناظريك

تَردّينَ أعيننا عن سواكَ وهل تنظرُ العينُ إلا اليك

ألا يقرؤا ويحهم مايرونَ من وحى حسنك فى وجنتيك

وقد جعلوك رقيباً علينا فمن ذا يكون رقيباً عليك

---

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلى مقلّ ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالابيات فقال ابن أبى طاهر أحسنت والله وأجلت قد والله حسدتك هذه الأبيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

« ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر »

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودّع رسول الله ﷺ رجلا أراد سفراً فقال « أستودِعُ اللهَ دينكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملك » وحدثنا عنه عن أبي علي العتابى قال رأيت أبا شراعة القيسى آخذاً بسفينة ابراهيم بن المدبر وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة [1] ينشده :

ليت شعرى أىّ قوم أجدبوا ... فأغيثوا بك من طولِ [2] العجفْ

نَزَلَ الرَّحْبُ [3] من اللهِ بهم ... وحُرمناك لذنبٍ قد سلفْ

إنما أنتَ ربيعٌ باكرٌ ... حيثما صرّفه اللهُ انصرفْ

يا أبا اسحق سِرْ في دَعَةٍ ... حيثما شئتَ [4] فما منك خلفْ

وأخبرنا عنه عن الغلابى عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفراً فأنشده عند وداعه :

خلفَ اللهُ الذى خلفته ... ووقاك اللهُ وعثاءَ السفر

إننى أشكرُ ما أوليتنى ... لم يضع حسن بلاء من شكر

ردّك اللهُ إلينا سالماً ... بعدَ غنم واغتباطٍ وظفر

---

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الاغانى « أى أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغاني « الرحم » .   (٤) في الأغاني « وامض مصحوبا » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخيطل :

أقدمْ قدمتَ قدوم عارضِ مُزنة ... يهتز بينَ أهابها الفضفاض

من كلّ مشبهة الرّياح ثقيلة ... تمشي به مشيَ الوجى المنهاض

مُسودة مُبيضة فكأنها ... دُهمٌ مولوعة الشوى ببياض

وقال ابن الرومي :

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يمن ... هي السرّاء تمحقُ كلّ حزن

أظلتك السلامة ما تغنّت ... مُطوّقة على فننٍ تغنى

قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلابي من مرداس بن أذينة بآسك[1] وكان في ألفي رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

أألفا مؤمن[2] منكم زعمتم ... ويهزمكم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكنّ الخوارجَ مؤمنونا

همُ الفئة القليلة قد علمتم[3] ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأةٌ من قومه والله لأنْ تعيش حميداً خيرٌ من أن تموت شهيداً ولأنْ تدوم عبادتك بحياتك أزلفُ لك من أن تنقطع بمماتك ،

---

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرّجان .

(٢) في معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شكّ)

قال ودخل على ابن زياد فمنّفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد عليّ ولأن يذمني الأمير حياً خيرٌ من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهتم المنقري أبو خالد بن صفوان والناسُ لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرّضت للشهادة جهدك وطلبتها طاقتك ووسعك فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختار لنا عليك ببقائك ولم يختر لك علينا باستشهادك فالحمد لله الذي زيّن بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمّنا . فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلكوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك المطيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامونَ(١) قدماً ... وان نُهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبنٌ ولكنْ ... منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

﴿ الدعاء للمعزول ﴾

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحتَ مجتمعَ الشملِ ... وراعي المعالي والمحامي عن المجد
وانك صنتَ الأمرَ فيما وليتهُ ... وفرّقتَ ما بينَ الغوايةِ والرشدِ
فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنما ... فانّ إلى الاصدارِ ماغاية الورد
وما كنتَ إلا السيف جُرِّدَ للوغى ... وأحمد فيه ثم رُدَّ إلى الغمد

وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

---

(١) في الأغاني (فان نغلب فغلابون قدماً) .

المخزومى عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :

فان تكن الأمارة عنك زالت فانك للمغيرة والوليد
وقدمر الذى أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد

وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبى العباس محمد بن يزيد النحوى إلى عبد الله ابن الحسين القطربلى وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ماقاله أبو عبادة البحترى :

شهد الخرج إذ توليته أنـ ـك في جمعه الأمين الأعف
حيث لا عند مجتبى منه إلظا ظ[1] ولا فى سياق جابيه عنف
سيرة القصد لا الخشونة عنف اتعدى المدى[2] ولا اللين ضعف
وعلى حالتيك يستصلح النا س[3] اياة من جانبيك وعطف
لن يولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف
إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف
فقديماً تداول العسر واليسـ ـر وكل قذى على الريح يطفو
يفسد الأمر ثم يصلح عن قر ب وللماء كدرة ثم يصفو

ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفى :

أبا إسحق إن تكن الليالى عطفن عليك بالعزل الئيم
فلم أر صرف هذا الدهر يجرى بمكروه على غير الكريم

وقال أبو العتاهية فى محمد بن هشام السدرى :

لا يهنأ الأعداء عزل ابن هاشم فكل مولى قصره الصرف والعزل
لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
يروم رجال حطه وهو سابق أبى الله إلا أن يطول وأن يعلو

﴿ دعاء الأعياد ﴾

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفى عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

---

(١) أى إلحاح . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحترى « الأرض »

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة وقرن بالاقبال يومك .

« ماقيل فى القيام للأجلاء »

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأكبر قال حضر بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فتلقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ مافى ذاك عندى غضاضةٌ ... علىّ وإنى للشريفِ مُـذالُ
على أنه منى لغيرك ذلةٌ ... ولـكنه بينى وبينك يجمـلُ

ومن مشهور ما قيل فى هذا المعنى :

فلمـا بصرنا بهِ ماثلاً ... حللنا الحبى وابتدرْنا القياما
فـلا تنكرنَّ قيامى له ... فان الـكريمَ يجلُّ الـكراما

وأنشدنا أبو أحمـد عن الصولى عن يحيى البحترى لأبيه فى عبيد الله بن عبد الله من قصيدة طويلة :

ومُبجل وسطَ الرجال خُفوفهم ... لقيامه وقيامهـمْ لقعوده
فاللهُ يكلؤه لنـا ويحوطُه ... ويُعِزُّه ويزيدُ فى تأييـده

وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالى ... لأكرمهُ وأعظمهُ هشامُ
فلا تعجبْ لاسراعى إليـهِ ... فانّ لمثـلهِ خُلقَ القيامُ

وقال البحترى :

يقومُونَ من بُعدٍ إذا بصروا بهِ ... لأبلجَ موفور الـكرامة[1] أروع
ويبتدرُ الراؤونَ منهُ إذا بدا ... سنى قمرٍ من سُدةِ الملكِ مَطلع
إذا سارَ كفَّ اللحظ عن كل منظر ... سواه وغضَّ السمع[2] عن كلِّ مسمع

---

(١) فى نسخة « الجلالة » . (٢) فى ديوان البحترى « الصوت » .

فلستَ ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليهِ بعينٍ أو مشيراً بأصبع

« ماقيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال »

فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا ما مضى عشرونَ يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذى أنا صائمه
وطارت رقاعٌ بالمواعيدِ بيننا لكىْ يلتقى مظلومُ قوم وظالمه
فان شالَ شوالٌ نُشِل فى أكفنا كؤوسٌ تمادى العقلَ حينَ نسالمه

ومعانى هذه الأبيات كلها مُبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الرياشى عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عندَ الرقيب نحيبُ
ومن دونِ مانلقاهُ من لوعةِ الهوى تُشقّ جيوبٌ بل تُشقّ قلوبُ
على انّ شوّالاً أشالَ بوصلنا ومرتعهُ للعاشقينَ خصيب

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقياً لشهرِ الصوم من شهرِ عندى لهُ ماشاءَ من شُكرِ
كم من عزيزٍ فيهِ فُزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكر
ومن إمامٍ كانَ لى وصلهُ إلى كحيلِ العينِ بالسحرِ
لو كانَ يدرى بالذى خلفهُ أعجلهُ ذاك عن الوتر
وخلةٌ زارتك مُشتاقة فى ليلةِ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أملوا وبُؤت بالآثام والوزرِ

وأنشد المُبرّد للحارثى :

شهرُ الصيام وإن عظّمت حرمتهُ شهرٌ طويلٌ بطىء السير والحركه
يمشى الهوينا إذا ما رامَ فرقتنا كأنهُ بطةٌ تنجرُ فى شبكه
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلا سُليكٌ يُدانيه ولا سُلكه[1]

---

(١) من عدّائى العرب المشهورين .

كأنه طالب ثأراً على فرس أجدّ فى إثر مطلوب على رمكه(١)
ياصدق من قال أيام مباركة إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه
وقال آخر :
مضى رمضان محموداً وأوفى علينا الفطر يقدمه السرور
وفى مر الشهور لنا فناء ونحن نحب أن تفنى الشهور
وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق :
هززتك للصبوح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام
وعندى من قنان المصر عشر تطيب بهن دائرة المدام
فكن أنت الجواب فليس شىء أحب إلىّ من حذف الكلام
وقال غيره :
أقول لصاحبى وقد بدا لى هلال الفطر من تحت الغمام
ستسكر سكرة شنعاء جهراً وتمر فى قفا شهر الصيام
وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :
هل لك فى صهباء مشمولة ليست من الدبس الذى ينبذ
فإن شعبان على طيبه درب إذا فكرت لا ينفذ
وقال أحمد بن يزيد :
ألا سقيانى من معتقة الخمر فلا عذر لى فى الصبر أكثر من شهر
وإن كنتما لم تعلما فتعلما بأن زمان الصوم ليس من العمر
وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى الموج الرازى وقال حدثنى أبى قال كتب على بن جبلة الى أبى دلف يستسقيه نبيذاً فى يوم عيد الفطر فوجه اليه بما كفاه وبمائتى دينار فقال على بن جبلة :

---

(١) الرمكة : الفرس .

وأبيضَ عجلىٌّ رأيتُ غمامهُ وأسيافهُ تقضى على الحدثان

مددتُ اليهِ ذمّتى فأجارها وأغنى يدى عن غيرهِ ولسانى

شربتُ ورَوَّيتُ النديمَ بمالهِ وأدركتُ ثأرَ الراحِ من رمضان

وكانَ لشوّالٍ علىّ ضمانةٌ فكانت عطايا جودهِ بضمان

وحدثنا عن الصولى قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزى عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابى فى أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الاعرابى يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعهُ سوى شهرِ الصيام

﴿فصل فى معان مختلفة﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بنى أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهى مُتغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك لا تشبب بى كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمتْ عُبيدةُ إلا في ملاحتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ

ماخالفَ الظبيُ منها حينَ تُبصرها إلا سوالفهُ والجيدُ والنظر

قل للذى عابها من حاسد حَنق أقصرْ فرأسُ الذى قدعبتَ والحجر

وأنشدنا للهذيل بن الفرج العجلى [1] :

هل تقضينّ لمستهام حاجةً نيطت إليك بها حبالُ رجائهِ

أفنى تجلدَهُ بقاءُ دموعهِ وأدامَ عبرتَهُ فناءُ عزائهِ

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد الخراسانى قال كنت فى مجلس ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

---

(١) شاعر مقلّ من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمهم جميعاً إمرأة من بنى شيبان .

ياما بون فوثب الرجل وهو يقول :

كلا نابرى الجوزاءَ يا جُمل إن بدت ونجم الثريا والمزارُ بعيدُ

فتحدث الناس بها مدةً . قال أبو بكر وبشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال خاصم يوماً جيلان القمى المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :

بُثينةُ قالت ياجميلُ أربتني فقلت كلانا يابثين مُريب

فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه يهجو بعض النحويين :

عفظير إنا اختلفنا في الفعلِ من فاعلينِ
فقال قومٌ يثنى لجمعنا المهزنين
وقال قومٌ بمدّى بملتقى الساكنين
وأنتَ أعلم منا بذا وذاك وذين
لا تَّنك الدهرَ فعلٌ بعقلٍ من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتكم دهراً طويلاً لمسرتى أرجى نجاحاً والظنونُ فنون
فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ انني تعلمتُ ذلّ العيش كيفَ يكونُ

وأنشدني أيضاً في مسجون :

لئن حجبتك الحجبُ عنا فربما رأينا جلابيبَ السحاب على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونهُ لذوى الحمـ ـد كما خيرُ حمدِهم مَوْزونهْ
وأصحُ(١) الآراءِ ماظنّ ذو الأفـ ـنِ بذى الرأيِ انهُ مأفونهْ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهى الشهادةُ لى بأنى فاضلُ

---

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصحّ» .

والمحلُّ الخلاءُ من كلّ ضيفٍ ... ومضيفٍ مُعطّلٌ مسكونُهْ

وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهم ... مُسلمَ العرضِ سالماً ماعونُهْ

أنفقِ المالَ قبلَ انفاقك العمـ ... ـرَ ففي الدهرِ رَيْبُهُ ومنونُهْ

لا تظنّنَّ أنّ مالك شيءٌ ... كدمِ الجوفِ خيرهُ محقونُهْ

قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً ... علقتْ في الثرى المهيلِ رهونُهْ

كلْ وأطعمْ فربما راع ريعاً(١) ... زاكياً من تموله وتمونُهْ

وإذا ما ظننتَ شراً فخفهُ ... رُبَّ شرٍّ يقينهُ مظنونُهْ

كم ركونٍ جنى عليك حذاراً ... من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونُهْ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهُمُ ... ويُلحقُ الجهلُ أحياءً بأمواتِ

ونحوه قول دعبل :

سأقضى ببيتٍ يحمدُ الناسُ أمرَهُ ... ويكثرُ من أهلِ الرِّوايةِ حاملُه

يموت رديءُ الشعرِ من قبلِ ربِّهِ ... وجيِّده يبقى وإنْ ماتَ قائلُه

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عُبيدة عن خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسرى فقال له: أنشدنى بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبنى أنْ لا أزال مُناهضاً ... بغيرِ غِنى أسمو بهِ وأبوعُ

وانّ رجالَ المالِ أضحوا ومالهم ... لهم عندَ أبوابِ الملوك شفيع

أمُخترمى ريبُ المنونِ ولم أنلْ ... منَ المالِ ما أعصى به وأطيع

فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

---

(١) فى الأصل «فكل ماراع ربماً» والتصحيح من ديوان ابن الرومى المخطوط .

« التفاضل بين الاخوان »

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعضُ الأمرِ أصلحهُ ببعضٍ فانَّ الغثَّ يحملهُ السمينُ
ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلا وفيما أضمروا الفضلُ المبين
كلونِ المـاءِ مشتبهاً وليست تخبر عن مذاقتهِ العيونُ

« الحث على موافقة الناس »

من أحسن ماورد فى ذلك قول الشاعر :

الناسُ ان وافقتهم عذبوا أولا فانَّ جناهمُ مُرُّ
كم منْ رياضٍ لانظيرَ لهـا تُـركتْ لأنَّ طريقها وعرُ

وقلت : لـما أدلَّ أمانى فـلوته من ذا يدلُّ فـلايملُّ محبُّه
تالله ماانُّتبعَ النبيُّ محمـدٌ لو كانَ فظاً أو غليظاً قلبه

« إغباب الزيارة »

قال مسلم بن الوليد :

إنى كثرتُ عليـهِ فى زيارتهِ فملَّ والشيءُ مملولٌ إذا كـثرا
قد رابنى منهُ أنى لا أزالُ أرى في عينهِ قصراً عنى إذا نظرا

وقال الـكميتُ : * ولولم تغب شمس النهار لُمـلَّتِ * فأخذه أبو تمام فقال :

فانى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً الى الناسِ اذ ليست عليهم بسرمدِ

ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك بإقلالِ[1] الزيارةِ إنها تكون متى دامت[2] إلى الهجرِ مسلكا
فانى رأيتُ القطرَ[3] يسأم دائبـا[4] ويُطلب بالأيدى[5] إذا هو أمسكا

---

(١) وفى رواية « بإغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) فى رواية (الغيث) . (٤) فى الأصل (دائما) ، (٥) وفى رواية(ويسأل بالايدى) .

وقال آخر : وأغببتُ الزيارةَ لاملالاً ... ولكنْ مِنْ محاذرةِ الملالِ

وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِبّاً تزْدَدْ حُبّاً » (١) .

وقلت : مازلتَ تلقاهُ فضاقَ صدْرُهُ ... وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرُهُ

من أكثرِ الغشيانَ خسّ قدْرُهُ ... لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمرُهُ

ولم يعزَّ حُمْرُهُ وصُفْرُهُ ... ولا علا بين الأنامِ ذِكرُهُ

« فى ذم العجائز قول الشاعر »

رأيتُ البيضَ قد أعرضنَ عنى ... فمنْ لى أن تساعدَنى عجوزُ

كأنَّ مجامعَ اللحيينِ منها ... إذا حسرتْ عن اللحيينِ كوزُ

ومن المشهور قول الحرمازى :

لا تنكحنَّ عجوزاً إنْ دعيتَ لها ... واخلع ثيابك عنها ممعناً هربا

فإن أتوكَ وقالوا إنهـا نصفٌ ... فإنَّ أطيبَ نصفيها الذى ذهبا

وقال آخر : وماغرنى (٢) الاخضابٌ بكفها ... وكحلٌ بعينيها وأثوابها الصفرُ

وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بليلةٍ ... فكانَ محاقاً كلهُ ذلكَ الشهرُ

« ما ورد فى فضل الحمـام »

قال السرى بن عبد الله الرفاء :

أسعيدُ هلْ لكَ في زيارةِ منزلٍ ... تثنى عليهِ جوارحُ الزُّوّارِ

رحب ترى الجُدران فيه ينابعاً (٣) ... وترى السماء كثيرةَ الاقمار (٤)

ينضو حيىُّ الوجـه ثوب حيائـه ... فيـه فيخطرُ كالحسام العـارى

وترى على غدرانه (٥) بُهمَ الوغى ... يخطرنَ ما بين القنـا الخطـارِ

---

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب وابن حبان فى صحيحه (٢) فى نسخة (وما راعنى) . (٣) فى ديوان السرى المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه ينابع » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرانه » .

سُلَّتْ سيوفهمُ بغيرِ بوارقٍ   وجرَتْ خيولهمُ بغيرِ غبارِ

مع أبيات أخر غير مختارة الرصف . وقلت :

قُمْ بنا ننزل في خيرِ دارٍ   وهي إن ميَّزتها شرُّ دارِ
منزلٌ تخلعُ دينك فيه   حينَ تأتيه خليعَ الازار
لا ترى فيه الشموس نهاراً   وترى الاقمار نصف النهار
وعلى حيطانه أسدُ حربٍ   فوقَ امهارٍ وفوقَ مهار
شهدُوا الحربَ بأرْماحٍ زورٍ   وسيوفٍ نابياتِ الشفار
وترى الابدان حينَ أتته   تكتسي الصحةَ وهي عوارى
بينابيعَ كقضبانِ دُرٍّ   تتكافا من وراء الجدار

وقال عبد الله بن المعتز فى ذم حمام :

وحمامُنا كالعجوز   يشقى بها الواردُ
فبيتٌ لهُ منتنٌ   وبيتٌ لهُ باردُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وحمامنا هذه كالعجوز   تلذُّ ويشقى بها الواردُ
فبيتٌ لها منتنٌ ضيقٌ   وبيتٌ لها واسعٌ باردُ

ومن أجود ماقيل فى صفة النُّورة قول الآخر :

ومجرّدٍ كالسيفِ أسلم نفسهُ   لمجرّدٍ يكسوهُ مالا يُنسجُ
ثوباً تمزّقهُ الأنامل رقةً   ويذيبه الماءُ القراحُ فيبهج
وكأنه لما التقى فى خصره   نصفان ذاعاجٌ وذا فيروزجُ

الشطرنج ـ قلت فيه

اذا أُعفيت الصهبا   ءُ من قدحٍ ومن شجِّ
وكانَ الكأسُ لا يُجدى   ومزجى الراحَ لا يزجى

وألهى اللهوَ من يلهى   وأرجى الشربَ من يرجى
لأيام أخاضــتنا   من الأحزانِ في لجّ
فمنها الجسمُ فى نقص   ومنها القلبُ فى وهج
فما أنفكُّ فى حرّ   وإنْ أصبحتُ في ثلج
وما من شرّها ناج   وما منْ كيدها مُنجى
تمتعنــا بمسموعٍ   مليحِ النظم والنسج
ونسلو ذكرَ من نهوَى   على نردٍ وشطرَنج
كأنا منــهُ في هرج   ولسنا منــهُ في هرج
تمشّى الزّنجُ للرّوم   وقامَ الرُّومُ للزنج
فمــا أحسنها بيضاً   تمشّــينَ إلى دعج
أقمنا بيننا حــرْباً   بلا عجّ ولا ثجّ
شــهدناها بلا طبــلٍ   ولا بوقٍ ولا صنج
وجئناها بلا سيفٍ   ولا رُمحٍ ولا زج
ترى أفراسنا تعــدو   بلا لجم ولا سرج
مشى الفرزانُ مُعوجاً   لأمرٍ غــيرِ مُعوجّ
ورُخٌّ ينتحى نهجاً   فلا يعــدو عن النهج
وفيــلٌ ليسَ يحدوهُ   يدا شلح ولا علج
وعند الشاةِ منصوبٌ   لواءُ النصرِ والفلج
وحولي أوجــهٌ غُرٌّ   عليها سيمةُ السرج
إذا ماذُوّنَ الحسنُ   تراهمْ أولَ الدّرج

﴿ ماورد فى النرد ﴾

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكمان على النفوس وربمــا   لم يحكما فيهن حُكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالعاً ويراهما المحروم سعداً آفلا
فإذا هما اصطحبا على كفّ الفتى ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلا

﴿ وأما القدح ﴾

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

خروجٌ من الغمى إذا صكّ صكّةً بدا والعيونُ المستكفّةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراحَ كأنّهُ من المسّ والتقليب بالكفّ أوطحُ
إذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُريد :

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرّحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنّتْ وأرستْ في مطامنها الخطوبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمنّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرج القريب

وقلت : لكلّ مُلمةٍ فرجٌ قريبٌ كمثل الليل يتلوه الصباحُ
وإنّ لكلّ صالحة فساداً كذاك لكلّ فاسدةٍ صلاحُ
وللأيام أيدٍ باسطاتٌ وأفنيةٌ موسّعةٌ فساحُ
وقد تأتي وأوجهها صباحٌ كما تأتي وأوجهها قباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدنيا انغلاقٌ وانفتاحُ
فلا تجزعْ لها واصبرْ عليها فإنّ الصبرَ عُقباهُ النجاحُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إنّ الغصونَ إذا قوّمتها اعتدلتْ ولا يَلينُ إذا قوّمتهُ الخشبُ

وأجود ما قيل في ازدحام المنتجعين على أبواب المفضلين البيت المشهور :

مَن أكثرَ الاحسانَ من فعلهِ وعمَّ بالفضلِ جميعَ الأنامْ
يَزْدحمُ الناس على بابهِ والمشرَبُ العذبُ كثيرُ الزّحام

وقال أبو الهول :

إذا السماء أبتْ إلا محاذرةً سحّتْ يد الفضل ياقوتاً وعقيانا
ترى الرّفاق إلى أبوابهِ زمراً ورد القطا أقبلتْ مثنى ووحدانا

﴿ معنى آخر ﴾

ليسَ جودٌ أعطيتهُ بسؤال قد يهزُّ السؤالُ غيرَ جوادِ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً لم تذقْ فيهِ ذلّةَ الترداد

﴿ ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم ﴾

وخضراء لا من بناتِ الهذيل يُلففُ بالسير مِنقارها
كأنّ مشقّ عيونِ القطا إذا هنّ تومن آثارها

وقال أيضاً في الحجامة :

أما وأبيك لا أنساهُ تدمى مضاربُ سيفهِ البطلَ الكميا
وبَرقاً في أناملهِ إذا ما تألقَ فتّح الوردَ الجنيا
إذا ظمئتْ فراخُ أبيك يوماً سقاها من رقابِ الناس ريّا
وإن جرحَ الأخادعَ مطمئناً كسا الوجناتِ ديباجاً بهيا
ولم أرَ مثلهُ يأتي عُقوقاً ويَدْعوهُ الورى برّاً تقيا

وقال آخر : أبوك أوهى النجادُ عاتقه كم من كميّ أدمى ومن بطلِ
يأخذنَ من مالهِ ومن دمهِ لم يمس من ثأرهِ على وجلِ

﴿ وممـا قيل فى خطل الرأى قول الآخر ﴾

عُذرك عندي بك مبسوطُ والعتبُ عن مثلك محطوطُ
ليس بمسخوطٍ فعالُ امرىء كلُّ الذى يأتيهِ مسخوطُ

وقال آخر :

يا مَنْ يقلقله طنينُ ذبابِ ويفلُّ عزمته صَريرُ البابِ
ضربَ السرادقَ في رُواقي بابهِ والدارُ تعجزُ عن مقيلِ ذبابِ
وأقامَ للبوابِ حاجبَ حاجبٍ أرأيتَ حاجبَ حاجبِ البوَّابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

ألبانُ إبْلِ تَعِـلَّة بنِ مُساورٍ مادامَ يملكها عليَّ حَرامُ
وطعام عمرو ابن أوفى مثله ما دامَ يسلك في البطونِ طعـام
انَّ الذين يسوغ في أحلاقهم زادٌ يمنُّ عليهم للئامُ
لعنَ الالَه تعـِلَّةَ بنَ مُسـاورٍ لعنًا يشنُّ عليـهِ من قُـدَّام

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور فى ذلك قول الشاعر :

أرَى كلَّ إنسانٍ يرى عَيبَ غيرهِ ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خـيرُ من تخفى عليـهِ عيوبُهُ ويبدو له العيبُ الذى لأخيه

ولأبى دلامة (١) فى معناه :

إذا الناسُ غطونى تغطيت عنهمُ وإن بحثوا عنى ففيهم مباحثُ

---

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد ـ بالياء ـ وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ فى أيام بنى العباس وانقطع الى أبى عباس والمنصور والمهدى فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرتُ بئارهم ليعلمَ قومٌ ماتفسُ النبائث[1]

﴿ معنى آخر ﴾

صديقك حينَ تستغنى كثيرٌ وما لك عندَ فقرك من صديق
فلا تغضبْ على أحد إذا ما طوَى عنكَ الزّيارةَ عند ضيق

فى مدح قوادة حاذقة :

تكادُ لو لم تك إنسيةً تجرى من الانسانِ مجرَى الدم
لا تعصم الحسناءُ من كيدها ولو ثوَتْ فى منزلِ الأعصم

وقول الآخر فى ذلك :

تُسهّلُ كلَّ ممتنع عسيرٍ وتأتى بالمرادِ على اقتصادِ
فلو كلفتها تحصيلَ طيفِ الخيالِ ضحى لزارَ بلا رُقادِ

وقريبٌ من ذلك قول الآخر :

مَن ذمّ إدريس فى قيادته فانى شاكرٌ لادريس
منْ يستصعب فجاءَ به أطوعَ من آدمٍ لابليس
وكانَ في سرعةِ المجىءِ به آصف فى حمل عرشِ بلقيس

﴿ معنى آخر ﴾

ماازددتُ فى أدبى حرفاً أُسرُّ به إلا تزيّدتُ حرفاً تحته شوم
انّ المقدّم في حذقٍ بصنعته أنى توجّهَ منها فهو محروم

وقريب منه : ولرُبّما رُزقَ الفتى بسكوته ولربما حُرمَ الفتى ببيانه

ومن الجيد فى ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت فى امرءَين صناعةٌ وأحببتَ أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمالُ واسعٌ وحيث يكون الحذق فالرّزق ضيق

---

(١) في نسخة « النوابث » وفى الأغانى « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث »

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مال المرء لانتْ قناته ... وهانَ على الأدنى فكيفَ الأباعد

ومثله قول الآخر : المرء يكرمُ للغنى ... ويهان للعدم العديم

وقال آخر : غضبان يعلم أن المال ساق له ... مالم يسقه له علمٌ ولا أدب

فمن يكنْ عن كرام الناس يسألني ... فأكرم الناس من كانت له نشب

وقال آخر : كفى حزناً أني أروح وأغتدي ... ومالي من مالٍ أصون به عرضي

وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً ... وذلك لايغني الصديقَ ولايرضي

وقال آخر في معناه :

أجلك قومٌ حين صرت الى الغنى ... وكلُّ غنيٍّ في القلوب جليل

وليس الغنى إلا غنى زيَّنَ الفتى ... عشيةَ يقرى أو غداةَ ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالبُّ اللبيب بغير حظٍّ ... بأغنى في المعيشة من فتيل

رأيت الحظَّ يستر كل عيب ... وهيهات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجد أودع . وقال الحارث بن حلزة :

والعيش خيرٌ في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدَّا

وقلت : لكلِّ حرٍّ مبتلى ... يعيش في حال نكد

والنحسُ في طالعه ... أثبتُ من وصل وتد

فكن رقيعاً ساقطاً ... تصدُرْ بحظٍّ وترِدْ

وكنْ رفيعاً ماجداً ... واصبرْ على مالم ترد

هيهاتَ أن يحظى الفتى ... بجدٍّ سعد دونَ جد

وقال آخر : الجدُّ أنهضُ بالفتى من عقله ... فانهضْ بجدٍّ في الحوادث أوذر

وإذا تعسرت الأمور فأرجها ... واستأنفِ الأمرَ الذي لم يعسر

ماأقربَ الأشياءَ حينَ يسوقها قَدَرٌ وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل فى وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجهالُ أن يتهضموا أخا الحلم مالم يستعن بجهولِ

وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغنٍ أمتُّ القولَ منه بحلم واستمرّ على المقال
ومن يحلم وليسَ له سفيهٌ يلاقي المعضلاتِ من الرجال

وقال غيره: لابُدّ للسيدِ من أرماحِ ومن عديدٍ يتقى بالرّاح

ومن سفيهٍ دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وماالجودُ من فقرِ الرّجالِ ولاالغنى ولكنّهُ خيمُ النفوس وخيرُها
فنفسك أكرمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعدها تستعيرُها
وقد تخدعُ الدُّنيا فيمسي غنيها فقيراً ويغنى بعد بُؤسٍ فقيرُها
وكم طامعٍ فى حاجةٍ لاينالها وكم[1] آيسٍ منها أتاهُ بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجودماقيل فيه قول رسول الله ﷺ «المرءُ على دينِ خليله[2] »

ومن أقدم ماقيل فيه قول عدى بن زيد العبادى:

عن المرءِ لاتسألْ وأبصرْ قرينَهُ فانّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

---

(١) فى الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث «فلينظر أحدكم منْ يخالل»

رواه أبو داود والترمذى وحسنه والبيهقى والقضاعى وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرءِ لاتسألْ وسلْ عن قرينه فكلٌّ قرين بالمقارنِ يقتدى
فان كان ذا شرٍّ فجنبه سُرعةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى
اذا كنت فى قومٍ فصاحبْ خيارهم ولاتصحبِ الأردى فتردى مع الردى

وليس وصفه بالجيّد . وقال غيره :

ولا يسل الانسان إلا قرينهُ   وإنْ لم يكونا من قبيلٍ ولا بلد

﴿ المـأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر فى ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليتَ به   إنّ الفتى بابنِ عمّ السوءِ مأخوذ

ومن قديم ماقيل فى ذلك قول النابغة :

أحملتنى ذَنْبَ امرىءٍ وتركتَهُ   كذى العُرّ يكوى غيرُهُ وهو راتع

وقال غيره : إنى وقتلى سُليكاً ثم أعقلـه   كالثورِ يُضربُ لما عافتِ البقر

﴿ فى النهى عن الظلم قول الاول : ﴾

البغىُ يصرعُ أهله   والظـلم مرتعـهُ وخـيم

وقال النبى ﷺ « الظُّـلْمُ ظُـلماتٌ يومَ القِـيامَة »[1] . وقال بعضهم :

ظُـلمك من خُلقك مُستخرَجٌ   والظلمُ مشتقٌ من الظُّـلمة

وقلت فى عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسهِ   لأنصفَ الظالمُ فى نفسه

إن كانَ لايرحمُ فى يومهِ   لكانَ لايرحمُ فى أمسه

﴿ ماورد فى الجبن ﴾

وأفاتنا هجين بنى سُليم   يُفدّى المُهر من حُبّ الاياب

فلولا اللهُ والمُهرُ المُـفدّى   لأُبتَ وأنتَ غِربالُ الاهابِ

وقال آخر :

باتتْ تُشجّعنى هندٌ وقد علمتْ   أن الشجاعةَ مَقْرُونٌ بها العطبُ

---

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « إتَّقُـوا الظُّـلْمَ فانّ الظُّـلْمَ ظُلماتٌ يوم القيامة » .

يا هندُ لا والذى حجّ الحجيجُ لهُ ... ما يشتهى الموتَ عندى من له أدبُ

وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثله ... كأنى عُقابٌ عندَ تيمن كاسرُ

وقال آخر :

يقولُ لىَ الأميرُ بغيرِ شكٍّ ... تقدَّمْ حينَ جدَّ بنا المِراسُ

ومالى إن أطعتك من حياةٍ ... ومالى بعدَ هذا الرأسِ راس

﴿ ومن المضحكات قول الآخر ﴾

ألم ترنى وعمراً حينَ نغدو ... إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ

أسايرُه على يُمنى يديهِ ... وفيما بيننا رَجُلٌ ضريرُ

ومن المضحكات قول القاسانى في الجُبن والتطفيل :

أرى في النوم رُمحاً أو سِناناً ... فأسلحُ في الفراشِ على مكانى

ولكنى المُبارزُ حينَ أُدعى ... إلى أكل العصيدةِ والفرانى

وما عمروٌ هناك أشدَّ منى ... ولا العبسىُّ عنترة الطعان

ولا زيد الفوارسِ حينَ أدنو ... فألقى بالكلاكل والجران

ترانى عندها ليثاً نفيراً ... إذا ما اصطكَّ منى الماضغان

أشدُّ على الخبيصةِ لا أبالى ... بأىّ جنوبها وقعتْ بنانى

وكم طبق رَدَدْتُ وليسَ فيه ... من البقلِ المحصل حبتان

﴿ الخلق من الشياب ﴾

قال الحمدونى :

طالَ تردادُهُ إلى الرَّفو حتى ... لو بعثناهُ وحدَهُ لتهدَّى

وقال آخرُ : قال غسَّالىَ لما ... جئته قولاً صحيحا

ياعزيزى أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهرُ قول الآخر :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ... ملَّ من صحبة الزمان وصدّا
إن تنحنحت فيه ينحز عيراً ... أو تحركتُ فيه ينقدُّ قدّا

‹‹ من أحب لبناته الموت ››

قال بعض الأعراب :

اني وإن سِيقَ إليّ المهرُ ... ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهاري إليّ القبرُ

وقال عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلِّ أبي بنتٍ يُراعي شؤونها ... ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها ... وقبرٌ يُواريها وخيرُهما القبرُ

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فانه نعم الصهر فى الستر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى ... وتسويفُ النفوس من السوافي
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا ... فانَّ المبتليك هو المُعافى
وأصدقُ ماأبثك ان قلبي ... بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبي البغل :

باحَ ضميري بمُضمَرِ الأمرِ ... وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد المماتِ حادثةٌ ... وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ

وقال آخرُ: يا ناظراً فى الدين ماالأمر ... لاقدرٌ صحَّ ولا جبرُ
ماصح عندى من جميع الورى ... يُذكرُ إلا الموتُ والقبر

قبحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى الآخرة . وانما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

ل ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سوّيت بيني وبينه ... لما كان عدلاً أن نكون سواء

فكيف وقد أعليته وخفضتني ... فكنت له أرضاً وكان سماء

فصل آخر

كتب أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :

ياصديقي وأخي في ... كلّ مايعرو وشدّه

ليت شعري هل زرعتم ... بذر كتان المخدّه

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فرده وكتب اليه :

وأهديته زمناً فانيا ... فلا للركوب ولا للثمن

حملت على زمنٍ شاعراً ... فسوف يكافي بشعرٍ زمن

أبا الفضل ذمّاً وغرماً معاً ... فما كنت ترجو بهذا الغبن

ووعد رجل دعبلاً نعلا يهديها اليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدت النعل ثم صدفت عنها ... كأنك تشتهي شتما وقذفا

فان لم تهد لي نعلاً فكنها ... إذا أعجمت بعد النون حرفا

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إليّ أبو علي البصير يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

ياشقيقي وياخليلي إباءً ... المرجّى لكلّ خيرٍ ومير

أنت من أطيب الأنام بخوراً ... غير أني شممته عند غيري

وهو جمّ لديك فابعث بدرجٍ ... منه إن لم أكن أهديت طوري

فكتبت اليه :

قد بعثنا اليك منه بدرج ... وأزرناك منه أطيب زور

بين ندٍ وبينَ عودٍ مطرّاً ماله مشبهٌ بنجدٍ وغورِ
أنتَ منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونَورِ
ماتعدّيتَ فيه طوْرَكَ عندى فتبخر منهُ بأيمنِ طيرِ

وحدثنى أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثنى أبو دعامة الشاعرُ قال كتب العتابى إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من عمّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس اليك أجداهم بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى اليك ، ولذلك أقولُ :

ولقد بلوتُ الناسَ ثمّ سبرتهم ووصلتُ ماقطعوا من الأسباب
فاذا القرابةُ لاتُقرّبُ قاطعاً وإذا المودّةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ماراينا تضمينه هذا الكتاب وبالله التوفيق والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .


BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
دار الكتب المصرية
EGYPTIAN LIBRARY

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة


BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY

« فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف »

باعتبار الشهرة فى الأكثر

(اختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)
وأكثرها من استدراكات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر		الصفحة	السطر		الصفحة	السطر	
١	٤	عن نسختي	٤٣	١٢	في القدور	١٠٩	٢٠	زفته
٤	٢٣	أتى بمطر	٤٩	١١	المفضل النكرى	١٠٩	٢٢	ضرار الغطفانى
٦	٥	بمدامع لم	٥١	١	سعد بن	١١٠	١٥	كالفدن
٦	١٠	دوالح ضمنت	٥٣	٣،٤	عمرو بن	١١١	٢	على سواد
٦	١١	حفل اللقاح	٥٥	٧	الجرور	١١١	٤	عارضت
٦	١٢	سجم.. فواجم	٦٤	١٨	السواء عدونا	١١٢	١٩	تعلق بزى
٧	٨	لدمات	٦٤	١٩	المؤنف	١١٤	٧	نهارش عنده
١٢	٢٢	بعميم النبت	٦٤	٢٠	شهاب	١١٤	١٨	نوادى.. تدقق
١٣	٩،٢٢	وحوذان	٦٤	٢١	كالسيور	١١٥	١	بقارح
١٥	٤	بن المعذل	٦٥	١	أحمر عاتر	١١٦	١٧	دكداك
١٥	٦	مغان	٦٦	١	تجرى	١١٨	٦	مناذر
١٥	١٢	وشت	٦٦	٦	جذل	١١٩	١	رهوا
١٦	٢٢	الحانى	٦٨	١٠	ابن شهاب	١٢١	٦	مضرحيات
١٧	١٣	وجنى رباها	٦٨	١١	وميض البيض	١٢١	١٢	يخفت مخيسة
١٨	١٤	تزحف	٧٠	٣	المضروط	١٢٢	١٧	حسبان
١٩	١	لمسجد	٧١	٨	أخذ من	١٢٣	١١	البيت جون
٢٠	٦	جاسد	٧٢	٨	الدم	١٢٤	١٨	أودى السفار
٢٠	٩	لؤلؤ كالاقحوان	٧٣	٨	وهشلشلة: مفرقة	١٢٥	٩	السباب
٢٠	١٢	مجتاز	٧٧	٢	كأطباء	١٢٥	١١	بباشرق
٢٣	١	المعذل	١٠٨	٥	عبدة بن الطبيب	١٢٧	٢١	جفار
٢٣	٨	تبارى.. مخذا	١٠٨	٢٢	الأسعر	١٢٨	٢٢	وفد الريح
٣٢	٢	ودستبوى	١٠٩	١٣	تاوز	١٣٢	٢٠	أظلافه تسق
٣٣	٨	على كرات	١٠٩	١٨	ثار عجاج	١٣٤	١٦،٢٠	قعساء
٣٧	٢٢	قرط	١٠٩	١٩	تنفش	١٣٥	٤	مثل الشراع

الصفحة	السطر	
١٤٠	١٣	فيه شنج
١٤٢	١٣	يتقيد
١٤٢	١٤	شنج
١٤٤	٤	كتحوط
١٤٥	٩	لهازمه ... فلطح
١٤٦	١٧	بالعظاءة التنضبة
١٤٧	١٠	لجرة
١٤٧	١١	على الجذل
١٥٠	١	تقافزت
١٥١	١٩	الشدق
١٥٢	٤	بعد شبيبة
١٥٥	٣	سواد اللمة
١٥٥	٦	بخطمة
١٧٢	١٠	بان الأمعروبان
١٧٥	٣	أبن مناذر
١٧٥	٧	الخريمي
١٧٥	١٥	عن شباة
١٧٥	١٨	وزدت بها زودتي

الصفحة	السطر	
١٧٩	٢٢	معز الدولة
١٨٣	١٨	تمر وأغفل
١٨٣	١٩	يفعل
١٨٣	٢٠	رام
١٨٥	٤	بسر بن ارطاة
١٨٧	٦	أرضأفيها
١٨٧	١٦	يحيى بن طالب
١٩٣	١٣	راح ركب
١٩٤	٩	بأخلاق
١٩٩	١٧	عيابها
٢٠١	٢١	أبو الشعر
٢٠٨	٢١	أفرنجمشك
٢٠٩	١٣	إشؤبوبه
٢١٥	١٨	مروان الجعدي
٢١٦	٨، ٩	مكمت
٢٢٠	١١	الزرق
٢٢٦	١٧	الارحبي
٢٢٦	٢٠	معشق

الصفحة	السطر	
٢٤٢	١٧	يداشلج
٢٤٢	١٨	وعند الشاه
٢٤٣	٥	من الغمى
٢٤٣	٦	بالكف أفطح
٢٤٣	٧	أبه .. يقدح
٢٤٤	١٢	الهديل
١٦	٢٣	ديم
٥٧	٥	يتأكل
٨٥	٩	ونواقدُ
٩٢	٦	الهزار
٩٦	١٦	ومواد
٩٦	١٧	وعدوّنا
١٣٧	١٢	وكباته
١٦٤	١٠	أدبُ
١٧٦	١٢	جذيمة

٢٤١ ٢٣ مجتاب شملة برجد بسرائه قذراً وأسلم ماسواه البرجد



(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
دار الكتب المصرية

(ن)

٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزرى (الورق الخشن ٢)
١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (وهو فى الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
٢٠٠ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع فى التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)
٣٠ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى
١٢ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو . .) للسيوطى
٢٠ ديوان المعانى (فى الشعر والنثر ونقدهما) لأبى هلال العسكرى .
٢ الطب الروحانى لابن الجوزى ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
١٥ شرح أدب الكاتب للجواليقى (الورق الخشن ١٠) .
١٥ تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد المسمى بالتقصى لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
٤ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .
٤ المبهج فى تفسير شعراء الحماسة لابن جنى ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .
٦ الانتقاء فى فضائل الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
٦ القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم ، والانباه على قبائل الرواه .
٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .
٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامى) .
١ الكشف عن مساوى المتنبى للصاحب بن عباد ، وذم الخطأ فى الشعر لابن فارس .
٢٠ تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الأسمر ١٦) .
٣ شروط الأئمة الخمسة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى .
٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للذهبى .
٨ جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبى (وهو كمعجم للمثنيات العربية) .
٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى .
٧ رسائل تاريخية لابن طولون : الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون ، والشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية ، والمعزة فى تاريخ المزة ، والنكت التاريخية .
١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال .
٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠)
١ بيان زغل العلم والطلب للذهبى ، ٣ الدرة المضية فى الرد على ابن تيمية للسبكى .
٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبنى لغير الفاعل لابن علان ، ورسالة فى النحو للصناديقى
١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية ، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطى
٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادى .

OTHEQUE EGYPTIENNE

٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزري (الورق الخشن ٣)

١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (وهو فى الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء .

٢٠٠ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع فى التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)

٣٠ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى

١٢ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو . .) للسيوطى

٢٠ ديوان المعانى (فى الشعر والنثر ونقدهما) لأبى هلال العسكرى .

٢ الطب الروحانى لابن الجوزى ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .

١٥ شرح أدب الكاتب للجواليقى (الورق الخشن ١٠) .

١٥ تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد المسمى بالتقصى لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .

٤ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .

٤ المبهج فى تفسير شعراء الحماسة لابن جنى ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .

٦ الانتقاء فى فضائل الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .

٦ القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم ، والانباه على قبائل الرواه .

٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .

٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامى) .

١ الكشف عن مساوى المتنبى للصاحب بن عباد ، وذم الخطأ فى الشعر لابن فارس .

٢٠ تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الأسمر ١٦) .

٣ شروط الأئمة الخمسة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى .

٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للتدمى .

٨ جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبى (وهو كمعجم للمثنيات العربية) .

٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى .

٧ رسائل تاريخية لابن طولون : الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون ، والشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية ، والمعزة فى تاريخ المزة ، والنكت التاريخية .

١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال .

٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠)

١ بيان زغل العلم والطلب للذهبى ، ٣ الدرة المضية فى الرد على ابن تيمية للسبكى .

٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبنى لغير الفاعل لابن علان ، ورسالة فى النحو للصناديقى

١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية ، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطى

٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادى .

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE